

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
Faculté des sciences humaines et des sciences islamiques

قسم التاريخ وعلم الآثار

واقع مجتمع الجنوب الجزائري خلال الفترة الاستعمارية (1852م- 1914م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في التاريخ
تخصص: تاريخ معاصر

إعداد الطالب	تحت إشراف
عبد الله بكوش	أ.دة/فتيحة سيفو

لجنة المناقشة

أ. د/أيت حبوش حميد	جامعة وهران 01	رئيسا
أ. دة/ سيفو فتيحة	جامعة وهران 01	مشرفا ومقررا
أ.دة/مجدوب كريمة	جامعة وهران 01	مناقشا
أ. د/جيلالي بلوفة عبد القادر	جامعة وهران 02	مناقشا
أ. دة/حباش فاطمة	جامعة تيارت	مناقشا

الموسم الجامعي (1444هـ - 1445هـ/2022م - 2023م)


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى شهداء الأمة الإسلامية...

إلى كل روح شهيد دفع حياته ثمنا لتعيش الجزائر...

رحم الله شهداء الجزائر وجعل مثواهم الجنة....

كلمة شكر

اشكر الله العلي القدير الذي وفقني لإتمام هذا العمل.

أتقدم بجزيل الشكر للأستاذة المشرفة أ.دة سيفو فتيحة على تكرمها بالإشراف على هذه الأطروحة، لما أبدته من سعة صدر وحسن التوجيه والإرشاد، الذي أفادنا كثيرا في إخراج هذا العمل.

أتقدم بجزيل الشكر للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة:

ا.د أيت حبوش حميد، ا.دة مجدوب كريمة، ا.د بلوفة جيلالي عبد القادر، ا.دة حباش فاطمة، على تفضلهم بمناقشة هذه الأطروحة.

كما اتقدم بجزيل الشكر للاستاذ الدكتور" بن جبور محمد" رئيس مختبر مصادر وتراجم على تسخير إمكانيات المختبر لاخراج هذا العمل.

قائمة الرموز والمختصرات

بالفرنسية	
A.N.A	Archives National Algérienne (الأرشيف الوطني الجزائري)
A.W.O	Archives de wilaya d'Oran (أرشيف ولاية وهران)
A.W.C	Archives de wilaya de Constantine (أرشيف ولاية قسنطينة)
B.S.G.A.O	Bulletin de la Société de Géographique et d'archéologie province d'Oran (نشرية الجمعية الجغرافية والأثرية بمقاطعة وهران)
B.S.G.A	Bulletin de la Société de Géographie d'Alger (نشرية الجمعية الجغرافية في الجزائر)
B.S.G	Bulletin de la Société de géographie Paris (نشرية الجمعية الجغرافية- باريس)
B.L.R.F	Bulletin des lois de la République française (نشرية قوانين الجمهورية الفرنسية)
J.O.R.F	Journal officiel de la République Française (الجريدة الرسمية للجمهورية الفرنسية)
C.C.D.S	Centre Culturelle et de Documentation Saharienne (المركز الثقافي للوثائق الصحراوية)
G.G.A	Gouvernement Général de l'Algérie (الحكومة العامة الجزائرية)
R.A	Revue Africaine (المجلة الإفريقية)
R.A.C	Revue Algérienne et colonial (مجلة الجزائرية والاستعمارية)
R.O.A.C	Revue de l'Orient de l'Algérie et des colonies (مجلة الشرق والجزائر والمستعمرات)
T.	Tome (المجلد)
N°.	Numéro (العدد)
P.	Partie (الجزء)
P.	Page(الصفحة)
PP.	pages successives (صفحات متتابعة)
Éd	Éditions (الطبعة)
V.	Volume (المجلد)
Op.cit.	المرجع السابق
Ibid.	نفسه

بالعربية	
ج	**الجزء**
مج	**المجلد**
ط	**الطبعة**
ع	**العدد**
د. ت	**دون تاريخ**
د.م. ن	**دون مكان نشر**
د.د. ن	**دون دار نشر**
صص	**من الصفحة إلى الصفحة**

مقدمة

شكل الجنوب الجزائري هدفا هاما في المشروع الاستعماري الفرنسي نظرا لأهميته الجيوإستراتيجية، فبعد أن أتم احتلاله لمدن الشمال في ستينيات القرن19م؛ واصل المستعمر الفرنسي عملياته التوسعية نحو الجنوب، لإكمال مشروع الاحتلال الشامل للجزائر، خصوصا وأن للجنوب موقعا استراتيجيا هاما، كونه سيصبح طريقا رابطا بين مستعمرات فرنسا في الشمال الإفريقي ومستعمراتها بإفريقيا الغربية، لذا كثفت السلطات الفرنسية من إرسال البعثات والرحلات الاستكشافية، مُستعينة بجملة من الباحثين، المغامرين، الأجانب، رجال الدين،بالإضافة إلى العسكريين، من أجل القيام بدراسات ميدانية دقيقة حول جغرافية وثروات ومنافذ الجنوب الجزائري، والتركيز أكثر على دراسة مجتمعه من مختلف النواحي، بحكم أنه هو المستهدف من عملية الاحتلال.

فبعد احتلال مناطق الجنوب الجزائري؛ ركز المُستعمِر اهتماماته لترسيخ وجوده الاستعماري بالجنوب بإخضاع مجتمعه، باستهداف هويته ومقوماته الشخصية من دين وأعراف وثقافة وتاريخ، والعمل على تحطيمها وتشويهها عن طريق تطبيق مجموعة من السياسات المختلفة: الإدارية، الاقتصادية، الثقافية والقضائية...، فقد كان لهذه السياسات انعكاسات مختلفة أثرت على واقع مجتمع الجنوب الجزائري في جميع مجالاته الحياتية: الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية، وانطلاقا من هذا السياق جاء عنوان دراستنا: "**واقع مجتمع الجنوب الجزائري خلال الفترة الاستعمارية 1852م-1914م**".

لعل أهم الأسباب والدوافع التي كانت وراء اختيار هذا الموضوع، تتمثل في الدوافع الذاتية وهي الرغبة في مواصلة الجهود المبذولة لكتابة تاريخ الجنوب خصوصا التَأريخ لمجتمعه، أما فيما يخص الدوافع الموضوعية؛ فمنطلقها أن جل الدراسات التاريخية الجزائرية تُركز بالدرجة الأولى على التأريخ للجانب العسكري والسياسي للجنوب، فحين نجد أن التأريخ للجانب الاجتماعي، الثقافي، الصحي والاقتصادي للجنوب، قد حظي بالنَزر اليسير من الدراسات، لذا حاولنا أن نتطرق إلى تلك الجوانب- المشار إليها- علنا نضيف شيئا جديدا، أو نبدي وجهة نظر أخرى.

نلخص أهمية الموضوع في نقطتين أساسيتين هما:

- يُشكل تاريخ مجتمع الجنوب الجزائري حلقة من حلقات تاريخ المجتمع الجزائري خلال العهد الاستعماري 1830م- 1962م.

- السياسة الاستعمارية في الصحراء الكبرى بما فيها الجنوب الجزائري خلقت أزمات مازلنا نعيش أثارها إلى يومنا هذا، من بين تلك الأزمات نجد: أزمة الحدود مع المغرب الأقصى.

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى:

- التعرف على البنية الاجتماعية لمجتمع الجنوب، والتي شكلتها مجموعة من الأعراق صهرتها بوتقة الزمن، مما أوجد تركيبة اجتماعية متباينة، قوامها رابطة الدم ودرجة الانتساب إلى البيت النبوي، والمكانة الدينية، وقد اختلف تلك التركيبة من منطقة إلى أخرى.

- معرفة السياسات المُتبعة من طرف الإدارة الاستعمارية تجاه مجتمع الجنوب، التي كان الغرض منها محاولة إخضاعه بشتى الطرق والوسائل، مما أدى بروز جملة من الانعكاسات أثرت على عدة جوانب من حياة المجتمع، وأدت في نهاية المطاف إلى تحطيم بنيته الاجتماعية وخلخلة منظومته الثقافية.

- الدور الذي لعبه مجتمع الجنوب في مسيرة النضال الوطني الجزائري ضد الاستعمارللحفاظ على مقومات الهوية الوطنية.

- التأكيد أن الوحدة السياسية بين مجتمع الجنوب الجزائري ونظيره مجتمع الشمال كانت موجودة –وإن لم تتجسد على أرض الواقع –، فقد شكلت العقيدة الدينية منطلقها وأوجدتها ضرورة محاربة العدو المشترك وهو الاحتلال الفرنسي، وقد تَجسد ذلك في المقاومات الشعبية التي كانت قواعدها الخلفية مدن وواحات الجنوب الجزائري، ومددها البشري سكانه.

تنحصر هذه الدراسة في إطار زمني محدد مابين 1852م- 1914م، حيث تمثل سنة 1852م احتلال مدينة الأغواط ، والأحداث التي تلتها فيما بعد كتوقيع معاهدة الحماية مع سكان وادي ميزاب سنة 1853م، تزامنا مع احتلال عدة مناطق في نفس السنة، كاحتلال تقرت،وادي سوف ومتليلي سنة 1853م...، الا ان البداية الفعلية لمشروع التوغل

الاستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري كانت بدايته باحتلال مدينة بسكرة سنة 1844م، بالنسبة لسنة 1914م فهي السنة التي شارك فيها سكان الجنوب –كمجندين في الجيش الفرنسي– في جبهات القتال المتعددة بالقارة الأوربية خلال الحرب العالمية الأولى، وعودتهم إلى الجزائر بعد نهاية الحرب متأثرين بالفكر التحرري، أما الإطار المكاني للموضوع فهو الجنوب الجزائري، كجزء من جغرافية الجزائر.

إن موضوع واقع مجتمع الجنوب الجزائري خلال الحقبة الاستعمارية، من بين المواضيع الهامة، في تاريخ الجزائر، نظرا لما شهده هذا المجتمع من تغيرات جذرية شملت مختلف ميادين حياة أفراده نتيجة السياسة الاستعمارية، التي أثرت في بنيته الاجتماعية، ونشاطه الاقتصادي، ومنظومته الثقافية، ومن هنا فان إشكالية الدراسة تتمحور حول رصد وتحليل **انعكاسات السياسة الاستعمارية على واقع مجتمع الجنوب الجزائري ما بين (1852-1914م).**

وتدخل في إطار هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية:

_ما هي المراحل السياسة والإدارية التي مَّر بها مجتمع الجنوب؟

_ ما هي الأعراق والفئات التي شكلت البنية الاجتماعية لمجتمع الجنوب؟

- كيف كان الوضع الصحي لسكان الجنوب؟ وما هي الإجراءات الوقائية التي اتخذتها السلطات الاستعمارية في هذا المجال؟

_ما هي أبرَز الأنشطة الاقتصادية التي مارسها سكان الجنوب؟ وكيفأثرت السياسة الاقتصادية الفرنسية عليها؟

_ كيف مارس سكان الجنوب نشاطهم الثقافي في ظل المشروع الثقافي الفرنسي؟ وما أبرز النخب الوطنية بالجنوب التي تركت بصمتها في تاريخ الجنوب الجزائري؟

بناء على ما تقدم، اعتمدنا في بحثنا على المنهج التاريخي الذي يقوم على تتبع الظواهر التاريخية والتعرف على جزئياتها وتحليلها، وكذلك المنهج الإحصائي الذي استوجب استعماله لقراءة الأرقام والمعطيات الكمية التي وردت في الموضوع، كما اعتمدنا على المنهج المقارن

في مقارنة هاته الإحصائيات.

وبناء على هذا قسمنا بحثنا إلى مقدمة وفصل تمهيدي وأربع فصول وخاتمة

فتطرقنا في الفصل التمهيدي المعنون ب:"**الجنوب الجزائري والرحلات الاستكشافية الفرنسية 1830م- 1914م**"، إلى الإطار الجغرافي الحالي للجنوب الجزائري من موقع، تضاريس، المناخ والغطاء النباتي، ثم انتقلنا للحديث عن الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الجنوب، مركزين فيها على دوافعها، وأهم روادها المتمثلين في الفرنسيين والأجانب، وأبرزنتائجها.

جاء الفصل الأول بعنوان: "**الوضع السياسي لمجتمع الجنوب الجزائري 1852م- 1914م**"، تطرقنا من خلاله إلى: مراحل التوسع الاستعماري في الجنوب بداية 1844م إلى غاية سنة 1914م، وأبرز المقاومات الشعبية بالجنوب، والتي شارك فيها أغلب سكانه للوقوف في وجه هذا التوسع، وكذا نظام المكاتب العربية التي طبقته السلطة الاستعمارية في مختلف مدن وواحات الجنوب قصد ضمان خضوع المجتمع لسلطتها، ثم انتقلنا إلى الحديث عن التنظيم الإداري للجنوب الذي استحدثته السلطة الاستعمارية سنة 1902م، ليجعل هذا الأخير من الجنوب الجزائري إقليما مستقلا بذاته، له ادارة وميزانية خاصة به.

وفي الفصل الثاني والذي عنوناه ب:"**الوضع الاجتماعي لمجتمع الجنوب الجزائري 1852م- 1914م**"، تناولنا فيه البنية الاجتماعية لبعض مدن وواحات الجنوب: وادي سوف، تقرت، توات...، والتي توفرت حولها المادة العلمية، ورصدنا إحصائيات السكان بناء على المعطيات الواردة في مؤلفات الرحالة، أو ملفات الإدارة الاستعمارية الخاصةبالفترة الممتدة من سنة 1852م إلى غاية سنة 1914م، ثم تعرفنا على الوضعية الصحية للمجتمع، والأمراض والأوبئة المنتشرة بين أفراده، وكيفية تعامل الإدارة الاستعمارية معها، ثم ختمنا الفصل بالتطرق إلى دراسة نماذج من الأساليب القمعية والزجرية تجاه مجتمع الجنوب الجزائري، المتمثلة في: النظام القضائي الزجري، فرض الضرائب والتجنيد الإجباري، الموجهة أساسا لتحطيم بنيته.

وركزنا في الفصل الثالث المعنون ب: "**الوضع الاقتصادي لمجتمع الجنوب الجزائري 1852م-1914م**"، على دراسة مختلف الأنشطة لمجتمع الجنوب، المتمثلة في: الزراعة، الصناعة، التجارة والرعي، مبرزين التباين بين كل منطقة من مناطق الجنوب وتميزها بنشاط دون الأخر،كما عرضنا نماذج من المشاريع الاقتصادية الفرنسية في الجنوب، سواء في الجانب الزراعي، الصناعي أو التجاري، ورصدنا في الأخير انعكاسات التدخل الاستعماري في اقتصاد الجنوب الذيغير من نمط حياة السكان بما يتماشى مع متطلبات الاقتصاد الاستعماري الرأسمالي.

أما في الفصل الرابع والأخير، المعنون ب: "**الوضع الثقافي لمجتمع الجنوب الجزائري 1852م- 1914م**"، فقد افتتحنا الدراسة بالحديث عنالسياسة الثقافية الفرنسية تجاه مجتمع الجنوب، المتمثلة في النشاط التنصيري، وكذا فرض التعليم الحكومي الفرنسي في مدن وواحات الجنوب، ثم عرضنا النشاط الثقافي لمجتمع الجنوب، كالتعليم العربي المتمثل في: تحفيظ القران الكريم، تعليم اللغة العربية والشرع الإسلامي، والذي كان يتم تدريسه بالكتاتيب، الزوايا والمعاهد الإسلامية، كما تطرقنا أيضا إلى دراسة جوانب من عادات وتقاليد مجتمع الجنوب المتمثلة في مراسيم الزواج ونوعية اللباس، وفق ما ذكرته بعض الكتابات الفرنسية،كما تطرقنا إلى دراسة أبرز النخب الوطنية التي تركت بصمتها في تاريخ الجنوب، والتي كان على رأسها الشيخ أطفيش، الذيوقف بالمرصاد للسياسة الاستعمارية بوادي ميزاب، وعرضنا ثلاث نماذج لمؤلفات مؤرخي الجنوب، لما لها من أهمية علمية للتأريخ للجنوب الجزائري، وفي الأخير قدمنا إحصائيات لمريدي الطرق الصوفية الواسعة الانتشار في الجنوب، بالنسبة لانعكسات السياسية الثقافية الفرنسية على مجتمع الجنوب، فستتجلى نتائجها مع مطلع ثلاثنيات القرن العشرين.

وختمنا بحثا بمجموعة من النتائج المتوصل إليها.

ننوه إلى أننا استبدلنا مصطلح "**الواقع**" بمصطلح "**الوضع**" في عَنْوَنَة الفصول، لكي تكون الدراسة أكثر عمقا في كل فصل من فصول الأطروحة، كما استعملنا

مصطلحي:"الجنوب القسنطيني (الصحراء الواقعة جنوب عمالة قسنطينة)" و" الجنوب الوهراني (الصحراء الواقعة جنوب عمالة وهران)، وهي مصطلحات كَثر استخدامها في كتابات الإداريين والعسكريين الفرنسيين المتداولة بينهم؛ فالحدود السياسية للجنوب الجزائري خلال القرن 19م كانت غير واضحة المعالم وتشكلت متزامنة مع التوسع الاستعماري الأوربي والتوسع الاستعماري الفرنسي في الصحراء الكبرى الإفريقية.

اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على جملة من المصادر والمراجع والتي لا يسعنا المجال لذكرها جميعا وسنركز على أهمها:

فمن ناحية المصادر اعتمدنا على:وثائق من المركز الأرشيف الوطني الموجودة بالجزائر العاصمة منها سلسلة"**E**" من" أرصدة الحكومة العامة الجزائرية **Fonds du G. G. A**" التي يبلغ تعدادها ما يفوق ألف علبة أرشيفية، ركزنا منها على علبتين ارشيفيتين احتوتا على مجموعة من منشورات تحمل عنوان: "عرض الوضع العالم لأقاليم الجنوب الجزائري **Exposé de la situation générale des Territoires du Sud de l'Algérie**"، والتي اطلعنا على أعداد منها في أرشيف ولاية قسنطينة، كما استعنا بمجموعة من الوثائق من أرشيف ولاية وهران، لعل أبرزها: "نشرية الجمعية الجغرافية والأثرية بمقاطعة وهران**B.S.G.A.O**"، وقد أفادتنا تلك الوثائق–السابقة الذكر– كثيرا من ناحية الإحصائيات الواردة بها، والتي تنوعت مابين إحصائيات: اقتصادية، سكانية، طبية...، كما اعتمدنا على كتابات الفرنسيين من عسكريين، مهندسين ومغامرين، أطباء وحكام، على رأسها نجد: كتاب الصحراء الجزائرية**"Le Sahara Algérien"** لأوجين دوما (EugèneDaumas)، وكتاب:**" Documents pour servir à l'étude du Nord Ouest africain** الوثائق المستخدمة في دراسة شمال غرب أفريقيا" للحاكم العام "جول كامبو(Jules Cambon)"، فهو الأخر احتوى على إحصائيات متنوعة حول النشاط الاقتصادي لمجتمع الجنوب، ساعدتنا كل تلك الإحصائيات سابقة الذكر في إثراء موضوع الدراسة.

بخصوص المراجع فقد تنوعت مابين كتب، مقالات، رسائل وأطروحات جامعية ومداخلات ولايسعنا المجال لذكرها جميعا، لذاسنذكر أبرزها: مقال "**الصحراء الجزائرية: دراسة في الجغرافيا**" لمحمد رشدي جراية الذي تعرف من خلاله على الاطار الجغرافي الحالي للجنوب الجزائري من مناخ وتضاريس والثروة الحيوانية والنباتية التي يزخر بها الجنوب، واعتمدنا أيضا على كتاب "**الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837م-1934م**"للمرحوم إبراهيم مياسي، وقد ساعدنا هذا الكتاب في تتبع حركة التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري، كما اعتمدنا على أطروحة لعبد القادر مرجاني: "**السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19م**"، التي استفدنا منها كثيرا في التعرف على ابرز السياسات التي طبقتها فرنسا في الجنوب الجزائري، وانعكاساتها السلبية على مجتمع الجنوب.

لا يخلو أي بحث علمي من الصعوبات فقد واجهتنا جملة من الصعوبات نخلصها فيما يلي:

- **الجانب الميداني:**

تعذر زيارة دور الأرشيف ما وراء البحار أو حتى أرشيف الدول المجاورة كتونس مثلا، نظرا للحالة الوبائية التي عشتها دول العالم، بسبب "**جائحة كورونا**"، لذا جرى الاقتصار على دور الأرشيف المحلي-الأرشيف الوطني والولائي-رغمالعراقيل الإدارية التي بها.

- **الجانب المتعلق بالموضوع:**

- تشعب موضوع الدراسة، وتداخل أحداثه السياسية، العسكرية، الاقتصادية والاجتماعية، وذلك يتطلب وقتا طويلا وجهدا كبيرا يتعدى المجهود الفردي، مما يستوجب التخصص لدراسة مونوغرافية كل منطقة من مناطق الجنوب على حدة.

الفصل التمهيدي:

الجنوب الجزائري والرحلات الاستكشافية الفرنسية (1830م-1914م)

أولا: الإطار الجغرافي الحالي للجنوب الجزائري

ثانيا: الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الجنوب الجزائري (1830م-1914م)

أولت السلطة الاستعمارية الفرنسية اهتماما كبيرا بالجنوب الجزائري منذ البدايات الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، وقد ازداد اهتمامها أكثر بعدما قَدم لها الرحالة والمستكشفون الأوربيون والفرنسيون تقارير استخباراتية تفيد بأن الجنوب الجزائري يَملك مخزونا كبيرا من الثروات الطبيعية والطاقوية وحتى البشرية، وبالتالي سخرت السلطة الاستعمارية كل الوسائل والأساليب لإخضاعه، لذا لابد من التعرف على جغرافية الجنوب الجزائري وأبرز الشخصيات التي قامت باستكشافه.

أولا: الإطار الجغرافي الحالي للجنوب للجنوب

1) الموقع:

يُعد الجنوب الجزائري جزءا من الصحراء الكبرى الإفريقية التي تمتد من المحيط الأطلسي شمالا إلى بلدان الساحل جنوبا، وتبلغ مساحتها 8 ملايين كلم^2، يشترك فيها كل من المغرب الأقصى، الصحراء الغربية، الجزائر، ليبيا، مصر، موريتانيا، مالي، النيجر، تشاد والسودان[(1)].

حدود الصحراء الجزائرية تنطبق مع الحدود السياسة للدولة، فيحدها من الشرق: تونس، ليبيا ومن الغرب: المغرب الأقصى والصحراء الغربية ومن الجنوب: النيجر، مالي، موريتانيا، أما حدها الشمالي فهو طبيعي ويتمثل في سلسلة الأطلس الصحراوي، وتبلغ مساحتها حوالي 1987600 كلم^2 أي ما نسبته 90 % من المساحة الكلية للجزائر المقدرة بحوالي 2381741 كلم^2[(2)].

2) التضاريس:

تتميز تضاريس الصحراء الجزائرية بالبساطة مقارنة بالمنطقة التلية الشمالية، فالسمة البارزة التي يتمتع بها سطحها، تتمثل في الرتابة والبساطة والابتعاد عن التعقيد، لكن ذلك لم يمنع من

(1) أحميد، عميراوي، زواية سليم، قاصري محمد السعيد: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844م- 1916م، دار الهدى، الجزائر، 1992، ص 10.

(2) محمد رشدي، جراية:« الصحراء الجزائرية: دراسة في الجغرافيا »، مجلة البحوث والدراسات، جامعة الوادي، ع24، 2017، ص 343.

تنوع معالمها، حيث تنتشر العروق، الرق، الحمادات، الأحواض والمنخفضات والمنحدرات، إضافة إلى بعض الهضاب وبعض الجبال القليلة الارتفاع ذات التركيبة البركانية، وتنقسم الجنوب الجزائري بناء على معالم السطح وبنيته الخارجية إلى ثلاث مناطق متباينة هي[1]:

1.2) الصحراء المنخفضة الشرقية:

تحدها شمالا الحافة الأطلسية الجنوبية وجنوبا مرتفعات الهقار، ومرتبطة إحداها بالأخرى من الشمال إلى الجنوب جانبيا بتضاريس المناطق المجاورة، تتوفر على المياه الباطنية،وتظهر بها بعض الشطوط، أهمها شط ملغيغ الذي يقع دون مستوى سطح البحر بحوالي−31متر، وهو أخفض مكان بالجزائر كلها، يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب حوالي 700 كلم، أما عرضها تقريبا حوالي350 كلم، ارتفاعها عموما منخفض جدا،ويبلغ حوالي100متر بوادي سوف وحوالي 200متر بورقلة، أما وسطها فتغطيه رمال العرق الشرقي الكبير في شكل أقواس تدعى الكثبان الرملية، وتنقسم إلى عدة مناطق أهمها [2]:

- **منطقة سوف:**

تقع في الطرف الشرقي للعرق الشرقي الكبير يحدها غربا شط وادي ريغ، شط ملغيغ وشرقا غرسة وشط الجريد، وجنوبا الحدود الليبية، وجبال النمامشة شمالا لتنتهي مع حدود بلاد ميزاب شرقا، وتقدر مساحتها بحوالي80000 كلم^2 أرضها بساط من الرمل المفروش تغطيها الكثبان الرملية المتحركة، حيث يبلغ ارتفاعها في بعض المناطق أحيانا، حوالي 100متر.

- **منطقة ورقلـة:**

تقع على الحواف الغربية للعرق الشرقي الكبير يمر بها وادي ميه، تكثر بها واحات النخيل.

- **منطقة الزاب (الزيبان):**

كان المصطلح قديما يشمل منطقة أوسع تمتد من بسكرة إلى سهول الحضنة ومدنها الواقعة على السفوح الأطلسية الجنوبية، لكنها اليوم فهي تطلق على مدينة بسكرة والمناطق المحيطة بها

---

(1) محمد رشدي، جراية:« الصحراء الجزائرية ...، المرجع السابق، ص 343.

(2) نفسه، ص ص 343- 344.

كالزيبان الظهراوي، الزيبان الشرقي والزيبان الغربي، تشتهر بنخيلها وجودة تمورها[1].

2.2) الهضاب الصخرية الشمالية (الوسطى والغربية):

تُشكل كتلة واحدة تمتد من هضبة ميزاب شرقا إلى حمادة "غير(guir)" عند الحدود المغربية غربا، ومن سفوح الأطلس الصحراوي الغربي شمالا، وهي منطقة مرتفعة لا يتجاوز الارتفاع فيهامابين 600 متر و700متر،بينما تنحدر الوديان فيها من الغرب إلى الشرق وأهم مناطق هذا الإقليم هي[2]:

-سلاسل أوغرطة والساورة:

تُكون خط يمتد من سفوح الأطلس الغربي إلى الطاسيلي، يبلغ عرضها في المتوسط 125كلم، تختفي سلسلة أوغرطة في الشمال تحت الحمادات، يحدها من الشرق وادي الساورة الذي يفصلها عن العرق الغربي الكبير.

-العرق الغربي الكبير:

سلاسل من الكثبان الرملية تمتد من بني عباس بأقصى الجنوب الغربي حتى هضبة المنيعة شرقا، ويضمعرق الشيخ وعرق إيقدي بالحدود الجزائرية الموريتانية، ويحيط بالحافة اليسرى لوادي الساورة، ويواصل امتداده إلى غاية حواف هضبة ميزاب شمالا وكتلة تادمايت جنوبا متخذا شكل الهلال، تبلغ مساحته حوالي 80000 كلم^2[3].

-هضبة ميزاب:

تقع في الشمال والوسط الصحراء، مكونة سلسلة مرتفعات تنتهي جوانبها بمنحدرات شديدة وعورة تسمى الباطن، تشق سطحها وديان زقرير، النساء ووادي ميزاب، لتتقاطع في مناطق تدعى الشبكة، وتكسوها كتل صخرية تسمى الكور.

-حمادة غير(guir):

تقع بين سفوح الأطلس الغربية وجبال أوغرطة، أي الشمال الغربي من منطقة إيرفود،

---

[1] أحميد، عميراوي: المرجع السابق، ص ص 25- 31.

[2] محمد رشدي، جراية:« الصحراء الجزائرية ...، المرجع السابق، ص ص 344- 345.

[3] نفسه، ص 345 .

وهيرواسب تتكون من الحجر الرملي والحصى الأحمر الخشن[1].

-هضبة تادمايت:

تَقع الهضبة في الجنوب الغربي للصحراء وتَتخذ شكل طية أرضية مرتفعة تحمل اسمتادمايت، تطل حافتها الغربية على وادي قورارا وسبخة تيميمون، أما جنوبا فتطل على سلسلة منخفضات تديكيلت الصغيرة، ويحدها في جنوبها الغربي منخفض توات، وتلتقي هضبة تادمايت بالساورة في الشمال الغربي للصحراء وبعرق شاش في أقصى جنوبها الغربي.

3.2) مرتفعات الجنوب الشرقي الجبلية (الهقار-الطاسيلي):

تُعتبر كتلة الهقار المحاطة بهضبة الطاسيلي مركز وسط الصحراء الكبرى، تبلغ مساحتهاحوالي 300000 كلم^2، وتُعد جبال الآتاكور قلب الهقار، من ابرز قممها: قمة تاهات 3006 متر، قمة إيلمان 2732 متر وقمة أزيكرام 2728 متر.

يحد منطقة الهقار من الشمال والشرق والجنوب الإنجرافات الواضحة المتمثلة في حواف النطاق الطاسيلي القديم المتكون من مرتفعات متدرجة نزولا إلى الخارج، أما إلى الداخل فهي ترتفع تدريجيا، وبهذا تنقسم إلى قسمين، طاسيلي داخلية و أخرى خارجية، وبالاتجاه غربا يبدأ النطاق الطاسيلي في الاختفاء، وأهم مناطق هذه الصحراء الجبلية هي:

-الآتاكور:

رأس الهقار ووسطه يصل ارتفاع سطحها إلى 1000متر، وتمتد إلى الجنوب الشرقي عبر مرتفع ريفسا، ثم جنوب الجنوب الشرقيحتى حواف الرق بها قمة تاهات، كما تبرز بها فوهات البراكين القديمة بارتفاع 400 متر فوق سطح الهضبة القديمة.

-آناحف:

سلسلة طويلة من الهضاب المتصلة إلى الشرق من الآتاكور وتمتد من الشمال إلى الشمال الغربي للمرتفعات وجنوب جنوبها الشرقي والى غاية منخفض سروانوت الفاصل بين الهقار والناجر[2].

---

[1] محمد رشدي، جراية: « الصحراء الجزائرية ...، المرجع السابق، ص 345.

[2] نفسه، ص 346.

-تترروفت:

أشد الجهات قحولة، تقع غربي الكتلة الوسطى بين أحنات وأدرار الإيفوراس، يبلغ عرضها 500 كلم تنعدم بها الحياة النباتية والحيوانية.

-الأمـادرور:

تمتد هضبة الأمادرور شمال كتلة الآتاكور، وهي رق صحراوي لا أثر للماء أو النبات فيه، توجد بها سبخة ملحية.

-طاسيلي النـاجر:

تمتد طاسيلي الناجر من وادي إغرغار إلى غاية فزان بليبيا، يتراوح عرضها من 60 إلى 150كلم، أما ارتفاعها فيصل إلى1200 متر.

-أحنـات:

سلسلة تقع شمال غرب الهقار على الامتداد الجنوبي الشرقي، وهي تمتد 200 كلم من جنوب الطاسيلي إلى غاية أمقيد بعرض 10 إلى 15 كلم، يبلغ ارتفاعها 650 متر، وترتبط بسلسلة تترروفت.

-طاسيلي الجنوب:

تقع جنوب الهقار، وهي امتداد للنطاق الطاسيلي المحيط بها، تفصلها مساحات الرق المتكونة من الحصى والأحجار الرملية تتخللها رؤوس جبلية مدفونة في الرمل والحصى مثلما هو الحال في عين قزام [1].

4.2) الأودية:

تَنبع الأودية الصحراوية من سلسلة الأطلس الصحراوي تصب في بعض الأحيان في الشطوط، وأحيانا تختفي وسط الرمال وتتميز:

- ليس لها جوانب ولا حدود معينة ومضبوطة.
- عديمة الانتظام وفجائية الفياضات، حتى أنها تأتي على المنازل والخيام وحتى قطعان الماشية

---

(1) محمد رشدي، جراية:« الصحراء الجزائرية ...، المرجع السابق، ص 346.

والمزروعات.

وتنقسم الأودية حسب مناطق منابعها إلى نوعين:

أودية السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي: تسير على طول السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي، وتغور مياهها في الرمال لتظهر بشكل جديد على شكل عيون وأبار تقوم عليها واحات النخيل مثل ما هو في وادي ميزاب، أهم هذه الأودية نجد: وادي جدى، الطويل، العرب، الأبيض، زرقون، سوقر، الناموس، ووادي الساورة.

أودية الهقار: تظهر في شكل شبكة منحدرة في عدة اتجاهات أهمها: وادي تافاساست الذي يربط الهقار بدولة النيجر[1].

3) المناخ:

عرف الجنوب الجزائري مناخا مطيرا رطبا في العصور الغابرة، لكن منذ الألف السابعة قبل الميلاد بدات موجة الجفاف التدريجي في الزحف، فاختفت الغابات الكثيفة لتحل محلها السافانا لكن موجة التصحر تسارعت حتى الألف الأولى قبل الميلاد حيث أخذت الصحراء شكلها الحالي، أما حاليا فيسود الصحراء مناخ يمتاز بالبساطة والاطراد المتشابه في مساحات واسعة[2].

حالة التصحر التي عليها الصحراء اليوم ترجع في الأساس لعامل المناخ، وخاصة نسبة التساقط الضئيلة جدا، ودرجة التبخر قوية تضر بالنبات ولا يوفر لها شروط الحياة، خاصة عامل الرطوبة المفقودة، كما أن سلسلة جبال الأطلس تشكل حاجزا أمام المؤثرات المناخية المتوسطية وتمنعها من التوغل صوب الداخل، فتقف حاجزا أمام الرطوبة للوصول إلى المناطق الصحراوية.

عُموما يمتاز مناخ الجنوب الجزائري بالجفاف وقلة الأمطار تدريجيا من الشمال إلى الجنوب حيث لايزيد متوسطها سقوطها السنوي عن 100ملم، وإن هطلت فلا تكون إلا بعد سنوات، وسرعان ما يتبخر بفعل ارتفاع درجة الحرارة، والذي يقدر له الوصول إلى الأرض تبتلعه

---

(1) أحميد، عميراوي: المرجع السابق، ص 14.

(2) محمد رشدي، جراية: الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث 6100 ق.م – 1000 ق.م، تحت إشراف أ. د/ عبد العزيز بلحرش، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، تخصص تاريخ الحضارات القديمة، جامعة منتوري- قسنطينة، السنة الجامعية، 2007- 2008، ص ص 26- 29.

الرمال[1].

يبلغ معدل التساقط السنوي 30 ملم في تندوف، و61 ملم في غرداية، 170 ملم في الأغواط و60 ملم في تمنراست، فقد تكون نسبة التساقط في هذه الأخيرة في العام الذي يلي 4 ملم، في حين قد ينقطع بالأعوام الأخرى، ومن ثَم يبدو واضحا بقاء عامل التفاوت في نسب التساقط مؤثرا على مناخ الصحراء بصفة عامة.

تعتبر درجة الحرارة هي الاخرى من العوامل المؤثرة في مناخ الصحراء، إذ يبلغ متوسطها درجتها صيفا حوالي 38°مئوية وشتاءا حوالي 13°مئوية، بينما يبلغ المدى الحراري السنوي 25°مئوية، لكنها قد تصل إلى أقصاها صيفا عند منتصف النهار فتصل إلى حوالي 60°مئوية او80°مئوية، أما تحت الظل فتبلغ ما بين 50°مئوية إلى 55°مئوية، وقد تتناقص ليلا حيث يبلغ متوسط الفارق بين الليل والنهار 36°مئوية.

تهبط درجة الحرارة في الشتاء خاصة في الليل إلى درجة الصفر، وفي المناطق المرتفعة كالهقار إلى ـ 60°مئوية، كما تصبحشدة الحرارة خطرا مع هبوب الرياح الحارة كرياح الشهيلي أحيانا، مما يؤدي إلى كوارث مثل إبادة قوافل البدو الرحل أو موت حيواناتهم على الأقل، ولهذا نجد مناطق شاسعة في الصحراء غير آهلة، وخالية من الحياة تماما، أشهرها منطقة تترروفت بالجهة الغربية للجنوب الجزائري[2].

4) الغطاء النباتي والثروة الحيوانية:

1.4) النبات:

النباتات الصحراوية عموما قصيرة وهزيلة تنمو مبعثرة بشكل متباعد قد تفصل بينما مساحات جرداء، منها نباتات قصيرة العمر، تنمو عقب سقوط المطر مباشرة وتكمل دورتها وتزول بسرعة، لكن تبقى جذورها مدفونة في التربة كي تستطيع العودة إلى الحياة والنمو مرة أخرى، عند سقوط المطر في الموسم القادم[3].

---

[1] سمير، بوريمة، محمد لهادي لعروق: أطلس العالم والجزائر، دار الهدى، الجزائر، 1998، ص 15.
[2] سمير، بوريمة، المرجع لسابق، ص 15.
[3] نفسه، ص 18.

أما النباتات الصحراوية المعمرة؛ فتتأقلم مع ظروف الجفاف بعدة طرق فبعضها يضرب بجذوره الطويلة في الأرض بحثا عن الرطوبة كالنخيل، أو يَكون سميك الأوراق ليُخزن فيها المياه كالتين

الشوكي والصبار، وبالجنوب الجزائري مساحات شاسعة قد تخلو من النبات تماما، ورغم ذلك فليست كلها خالية من النبات، بل تنبت في بعض المناطق من أرضها أشجار ونباتات عشبية متنوعة، ففي ضواحي غرداية يوجد حوالي 300 نوع من النباتات، وهو نفس العدد تقريبا في جهات بني عباس، بينما لا يتعدى مجمل عدد النباتات بشمال الصحراء 500 نوع[1].

أهم نباتات الصحراء نجد: الحلفاء، البشنة، الصفار، العرفج، السمهري، العضيد والسعد، الحارة، النتين، ذنب الفأر، كرش الأرنب، الخبيز، بوقريبة، القريطفة،النصى، القطف، النمص الطازية، المنتينة، اللبين، الحاذ، الغبيثاء، الازول، السويدة، القصيبة، سيف الغراب، النجم، اللافة، الشيح، الحرمل، الفيجل، الضمران، الفطر (الكمأة)، و الحنظل (العلقم)، الدسلس، العقفارية، الخدة، الخذلانة، الحميض، البدانة، البهمة، أما أشجارها فالأهم شجر النخيل وهو يزرع عادة في الواحات، بالإضافة إلى النخيل يوجد شجر الرتم، العرعار، الطرفاء، الأبهل، الرند (القار)، الخروع...[2].

2.4) الحيوانات:

أثبتت الاكتشافات من خلال البقايا التي يعثر عليها بالصحراء على وجود حيوانات كثيرة ومتنوعة عاشت بها، والتي لم يعد لها في وقتنا الحالي أية وجود، منها: الفيل، الجاموس، الحمار الوحشي، الزرافة، الأسماك، فرس النهر، الكركدن، التماسيح، الظباء، السلاحف، بالإضافة إلى الأسد والضبع والفهد وإبن آوى وغيرها من الحيوانات المفترسة[3].

---

[1] سمير، بوريمة، المرجع السابق، ص 18.

[2] محمد رشدي، جراية:« الصحراء الجزائرية ...، المرجع السابق، ص 352.

[3]Laquiérs, E: «Le préhistorique dans le Sahara et le haut-pays Oranais », R.A, A. Jourdan, Libraire-éditeur - Algérie, N°.50, 1906, pp 204-233,Voir aussi: Voinot, (Lieutenant): « Quelque dessin et inscription sur le préhistorique du Sahara centre», R.A, A.Jourdan, Libraire-éditeur - Algérie, N.°70,1929, pp 347-357.

أهم حيوانات الصحراء في الوقت الحالي نجد: الظباء، الغزلان، الماعز، الدمان وهي تعيش بالعرق الشرقي الكبير وعرق أمقيد ما عدا الأروية والدمان بمرتفعات الهقار والطاسيلي، وبعض القوارض كالأرانب البرية، الجربيل والجربوع، الفأر ذو الشعر المشوك، القنفذ والجمل، أما الحيوانات المفترسة فمعظمها انقرض كالأسد والضبع المرقط والفهد[1].

أما الموجودة بكثرة نجد:الثعالب، الفنك، إبن آوى والذئب، أما الطيور التي تستوطن الصحراء بصفة دائمة أهمها: الغراب، الباز، العقاب، الصقر، الشاهين، الرخمة، القبرة، القليعي، الحمام[2].

---

[1] محمد رشدي، جراية:« الصحراء الجزائرية ...، المرجع السابق، ص 352.

[2] نفسه، ص 353.

ثانيا: الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الجنوب الجزائري (1830م- 1914م)

1) دوافعها:

اندفعت دول أوربا للاستعمار في شتى بقاع العالم بما فيها القارة الإفريقية، واحتد التنافس والصراع بينها على مناطق النفوذ في القارة بما في ذلك الصحراء الكبرى الإفريقية، وافتتحت فرنسا نشاطها الاستعماري في شمال إفريقيا باحتلال الجزائر في جويلية سنة 1830م، بعد أن وفرت كل العوامل والظروف لذلك، واستغلت قضية المروحة المفتعلة، لتتملص من أداء ما عليها من الديون للجزائر ولتجد مبررا للعدوان، وبعد أن تم لها السيطرة على القسم الشمالي للجزائر، تحمست لضم الجنوب الجزائري لتتم السيطرة على كامل التراب الجزائري، مدفوعة بعدة أهداف أبرزها:

1.1) الاقتصادية:

تعتبر التجارة الصحراوية الدافع الحقيقي لتوغل فرنسا في الجنوب الجزائري، لذا انكب الرحالة الفرنسيون على دراسة الإمكانيات الاقتصادية التي تتوفر عليها هذه المناطق الصحراوية، وعلى مصادر المياه والثروات المعدنية والمنتوجات الزراعية[1].

في تقرير المارشال "جان دو ديو سولت " (JeandeDieu Soult) وزير الحربية إلى الملك "لويس فيليب" والذي وضح أهداف التوسع جنوبا[2] بقوله:" إن الصحراء الجزائرية أو بعبارة أخرى كل المناطق الواقعة جنوب التل الجزائري يجب أن تشكل نوعا ثالثا من المناطق الإدارية، إذ لا يمكن توظيف الأوروبيين في هذه المناطق، وحتى الجيش لا يدخلها إلا بصعوبة متقاطعة إما لإقرار الأمن أو التهيئة للظروف التجارية التي ستفتح لنا طرقا هامة نحو إفريقيا السوداء... "، ويصب التقرير الذي أرسله الوالي العام بيجو إلى الماريشال سولت في نفس الاتجاه، وفيه يقول: "وبسيطرتنا على هذه المناطق تنفتح لنا آفاق واسعة لازدهار تجارتنا وربطها بإفريقيا الغربية..."[3].

---

(1) محمد، بليل :« مقاومة الجزائريين لسياسة التوسع الاستعماري بالجنوب الشرقي للجزائر 1850م – 1918م من خلال الوثائق الأرشيفية »، مجلة روافد للبحوث الدراسات ، جامعة غرداية، ع02، ديسمبر 2016، ص ص 12- 13.

(2) عبد القادر، بوباية: « دور الرحالة والمستكشفين في حركة التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية » ، مجلة عصور جديدة ، جامعة وهران، ع06، 2012، ص 20.

(3) Mangin, E: «Notes sur l’histoire de Laghouat, 1erP », R. A, A. Jourdan, Libraire-éditeur - Algérie, N°38, 1894, p87.

2.1) الإستراتيجية:

الهدف الأساسي لفرنساهو التوسع وضم المزيد من الأراضي، وذلك باستكشاف المناطق الصحراوية، وإمكانيتها الاقتصادية والبشرية، ودراسة المظاهر الجغرافية المختلفة للجنوب الجزائري، كما اقترن أيضا بدراسة المجموعات البشرية، والتعرف على عاداتها وتقاليدها، وتاريخها السياسي والحضاري، وأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، لذلك فكرت فرنسا بمشاريع اقتصادية ضخمة لربط مستعمراتها الجزائرية بالصحراء الكبرى، من خلال التفكير ببناء شبكة من طرقات السكك الحديدية العابرة للصحراء (Transsaharien) تمتد من مدن الشمال الجزائري كالجزائر العاصمة والبليدة و وهران نحو الواحات الجزائرية ، ومن ثم نحو عمق الصحراء الكبرى وإفريقيا الغربية[1].

3.1) الأمنية:

توفير الأمن للمعمرين وللمناطق التي يتواجدون بها في الشمال، لأن مقاومات الشعب الجزائري في الشمال كانت سببا في تحول الواحات الصحراوية في الجنوب إلى معاقل للثوار الذين كانوا يفرون إليها للاعتصام والاستعداد لمواجهة العدو، ولذلك عزم الفرنسيون على التوسع في أعماق الجنوب، وبخاصة بعد ثورة سكان واحة الزعاطشة بمنطقة بسكرة عام 1849م، وثورة الشريف محمد بن عبد الله بالأغواط وورقلة وتقرت، وثورات أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني ما بين 1864م- 1908م، ومما حتم هذا الأمر أيضا تعرض بعض الحملات الفرنسية إلى هجمات المقاومين الجزائريين في أعماق الصحراء[2]، لذا أصدر البرلمان الفرنسي سنة 1844م قانونا يقضي بمد الاحتلال نحو الجنوب، بإنشاء المراكز العسكرية في المدن الصحراوية [3].

يقول الرحالة الألماني " جيرهارد رولفز" في هذا الخصوص: " قبل كل شيء على الفرنسيين أن ينقلوا حدودهم إلى نهاية وادي الساورة، فمن هناك بالضبط تبدأ كل المصاعب والفوضى، ومادام الفرنسيون لم يستولوا على هذه الحدود الطبيعية؛ فلن يكون هناك أي هدوء دائم في جنوب

---

[1] عبد القادر، بوباية : المرجع السابق، ص ص 20- 21.

[2] نفسه، ص 20.

[3] جمال، قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص140.

مقاطعة وهران... " [1]، ويشاطره نفس الرأي تصريح النقيب " هنري وولف (Henri Wolff) " سنة 1848م، بقوله: "... لن تكون مستعمراتنا الإفريقية هادئة حقيقة إلا حينما يرفرف العلم الفرنسي في الصحراء على قصر عين صالح ... " [2].

2) روادها:

مع مطلع القرن 19م تزايد اهتمام فرنسا بالصحراء الكبرى بما فيها الصحراء الجزائرية، وبعد نجاح حملتها على الجزائر سنة 1830م زاد اهتمامها أكثر بالصحراء الجزائرية خصوصا وأنها أدرجتها ضمن المناطق الواجب إخضاعها عسكريا، ولتحقيق ذلك تم إنشاء جمعيات جغرافية وأنثروبولوجية، أبرزها: "الجمعية الجغرافية " بباريس سنة 1821م، " الجمعية الأنثروبولوجية " بباريس سنة 1859م وجمعيات جغرافية أخرى في مختلف مدن فرنسا كمدينة ليون، بوردو، مرسيليا وليل ما بين 1873م- 1882م، كما انشأ الفرنسيون" لجنة الاستكشاف العلمي للجزائر 1837م "، و جمعية "جغرافيا الجزائر" سنة 1879م [3].

وعمدت أيضا إلى إرسال جواسيس تحت غطاء البعثات الاستكشافية العلمية، فيما بين 1830م حتى حدود 1914م، وقد ضمت البعثات الاستكشافية ضباط عسكريين، مبشرين، مهندسين، مغامرين، تجار، رحالة جزائريين عملاء وأوربيين مرتزقة من جنسيات مختلفة، حركتهم ومولتهم جهات رسمية كالحاكم العام ووزارة الأشغال العمومية، بالتنسيق مع جمعيات مختصة في

العاصمة باريس وغيرها من المدن الفرنسية لانتداب مستكشفين لتحقيق أغراض اقتصادية وعسكرية توسعية[4].

كانت الصحراء الكبرى منطقة مجهولة تماما لدى الأوروبيين قبل بداية حركة الكشوف الجغرافية، تنحصر معارفهم عنها في معلومات قدمها الجغرافيون الإغريق والرومان والعرب

---

[1] عبد القادر، بوباية : المرجع السابق، ص21.

[2] الطاهر، موساوي: « الصحراء الجزائرية من الاستكشاف إلى التوغل والاحتلال 1828م- 1934م »، المجلة الخلدونية، جامعة ابن خلدون- تيارت، ع07، ديسمبر 2014، ص 322.

[3] نفسه، ص 315.

[4] الطاهر، موساوي : المرجع السابق، ص ص 316- 317.

المسلمين، فالاهتمام الأوروبي بالجنوب الجزائري كان سابقا للاحتلال الفرنسي للجزائر؛ فقد شجعت الرحلات الاستكشافية الأوربية للصحراء الكبرى، الفرنسيين لخوض غمار الاستكشاف.

فافتتحوا نشاطهم الاستكشافي للصحراء الإفريقية برحلة "روني كايييه (René Caillié)"؛ فكان أول مغامر فرنسي يتوغل إلى أعماق الصحراء الكبرى، حيث عبرها من السنغال إلى تمبوكتو مارا بمنطقة توات فيما بين 1824م–1828م، مقدما بذلك لحكومته معلومات جغرافية قيمة حول المناطق الصحراوية بالجنوب الغربي الجزائري[1]، استفاد منها المستكشفون على اختلاف جنسياتهم الذين ساروا على منواله، أبرزهم:

1.2) الفرنسيون:

1.1.2) العسكريون والمهندسون:

أ) أوجين دوما (Eugène Daumas):

قاد فيما بين 1843م – 1845م عدة بعثات استكشافية منطلقا من مدينة الجزائر باتجاه مناطق مختلفة من صحراء الجنوب القسنطيني؛ فخلال رحلته الأولى استكشف ورقلة، الأغواط، غرداية ووادي ميزاب، وفي رحلته الثانية استكشف منطقة المسيلة، بوسعادة، الزيبان، بسكرة وتقرت، أما في الرحلة الثالثة؛ فاستكشف الطريق الرابط بين بسكرة والأغواط مرورا بسيدي خالد، مسعد، قصر الحيران والأغواط، مستكشفا بذلك منطقة أولاد نايل، كما سلك الطرق الرابط بين تقرت والأغواط، تقرت وغرداية، تقرت وورقلة، بسكرة وغرداية، مستكشفا منطقة وادي سوف[2].

اهتمأوجين دوما بعدها برحلاته الاستكشافية نحو صحراء الجنوب الوهراني، حيث استكشف منطقة جبال العمور، جبال كسال، استيستن، بوعلام، الغاسول، بريزينة، وقصور وواحات منها: واحة الأبيض سيدي الشيخ اربوات، الشلالة القبلية، الشلالة الظهرانية، عسلة، بوسمغون، تيوت، عين الصفراء، سفيسيفة، مغراوة الفوقاني والتحتاني، وفي رحلة أخرى توجه من سفيسيفة إلى فقيق المغربية سالكا طريقة عبر بلاد ذوي منيع ومناطق من توات: محارزة، قورارة، أقيروت، توات،

---

(1) إسماعيل، العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص ص 69- 72.

(2) Dumas Melchior Joseph Eugène : Le Sahara Algérien , Fortin, Masson et C^{ie}, Paris, 1845, pp 15 - 205, Voir aussi: الطاهر،موساوي : المرجع السابق، ص 317.

تيديلكت، تميمون إلى أن وصل لعين صالح، كما استكشف مناطق أخرى خلال رحلته الثانية لعين صالح منها: تاقدامت، استيستن، الغاسول، وادي ميه، جبل باتن، طريق البيوض و تميمون، متليلي تيميمون مرورا بمنطقة الشعانبة بورقلة، متليلي، المنيعة، طريق تميمون وعين صالح وطريق متليلي وعين صالح[1].

قدم أوجين دوما[*] خلال رحلاته وصفا دقيقا لواحات وقصور صحراء الجنوب الوهراني، وذكر وصنف قبائل المنطقة كقبائل الشعانبة وأولاد سيدي الشيخ وحميان وغيرها، في أبرز مؤلفاته:

- Le Sahara Algérien(الصحراء الجزائرية).

- Mœurs et Coutumes de L'Algérie: Tell, Kabylie, Sahara.

– العادات والتقاليد الجزائرية: التل، القبائل، الصحراء.

ب) لويس أوجين كافينياك (Louis Eugène Cavaignac):

قاد بعثة استكشافية سنة 1847م نحو صحراء الجنوب الوهراني، واستكشف جبال الأطلس الصحراوي وقصور وواحات عسلة، تيوت، مغرار التحتاني ومغراوة الفوقاني، عين الصفراء وسفيسيفة، حيث تَمكن من دراسة الشطوط والمرتفعات ودعم كتاباته برسومات وخرائط لمسالك رحلته[2]، من خلال مؤلفه الذي حمل عنوان:

- Expédition du Général Cavaignac dans le Sahara Algérienen Avril et Mai 1847.

–حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية خلال شهري أفريل وماي 1847م.

---

[*]**أوجين دوما 1803م- 1871م:** ولد بمدينة ديلمونت في سويسرا، التحق بالجيش الفرنسي سنة 1835م، عين قنصلا لدى الأمير عبد القادر بعد توقيع معاهدة تافنة سنة 1837م ، عينه الجنرال بيجو مسئولا عن المكاتب العربية سنة 1841م، وفي سنة 1850م عين على رأس مصلحة الجزائر في وزارة الحربية، ثم تم ترقيته إلى مدير الشؤون الجزائرية ومستشارا للدولة الفرنسية ونائبا في مجلس الشيوخ سنة 1852م، ألف عدة مؤلفات حول المجتمع الجزائري من عادات وتقاليد، وعقائد وغيرها، ينظر: زاجية هرباش: « الصحراء الجزائرية في كتابات المستشرقين الفرنسيين دوماس نموذجا »، مجلة عصور جديدة، جامعة وهران، ع06، 2012، ص ص 29- 30.

[1]Dumas Melchior, Joseph Eugène:Op.cit.pp 209-344, Voir aussi: Dumas Melchior Joseph Eugène: Mœurs et Coutumes de L'Algérie Tell, Kabylie, Sahara, Librairie de L. Hachette et Cie, Paris, 1853, pp1- 386,Voir aussi:.الطاهر،موساوي : المرجع السابق، ص ص 317- 318

[2]Félix, Jacquot: Expédition du Général Cavaignac dans le Sahara Algérien en Avril et Mai 1847, Gide et J. Baudry, Libraires-éditeurs, Paris, 1849, pp1- 344.

ت) لويس جوزيف دو كولمب (Louis Josèphe De Colombe):

كُلف سنة 1856م من قبل السلطات الفرنسية بالجزائر بمهمة التعرف على الواحات وطرق القوافل التجارية، فاستكشف بذلك قصور توات، قورارة، تيديلكت [1]،وقد دون ذلك في مؤلفه:

- Explorations des Ksour et du Sahara de la Province d'Oran.

- استكشاف القصور وصحراء مقاطعة وهران.

ث) هيببولي ميرشير (Hippolyte Mircher):

قاد بعثة استكشافية رفقة "بولينياك (Polignac)"، المهندس "دو فاتون (De Vatonne)"، الطبيب "هوفمان (Heffman) "،" إسماعيل بوضربة " إلى غدامس عام 1862م، وتمكنت البعثة من إبرام معاهدة مع زعيم طوارق أزجر"اخنوخن" يوم 26 نوفمبر 1862م التي نصت على فتح أبواب التجارة والأسواق للبضائع الفرنسية في بلاد الطوارق وحماية المفوضين الفرنسيين وتقديم العون والمساعدة لهم، عند عودته استكشف منطقة وادي سوف، بسكرة، شط ملغيغ، أيضا تمكن المهندس "دوفاتون" من دراسة مصادر المياه ، وجمع الطبيب "هوفمان" ملاحظات طبية، إلى جانب ذلك أجرت البعثة دراسات على المناطق الصحراوية التي مرت بها من الناحية الاجتماعية والتجارية وعلاقاتها مع بلاد السودان [2]، وقد دون هذه الملاحظات في مؤلفه بعنوان:

- Mission de Ghadamès (septembre, octobre, novembre et décembre 1862).

- بعثة غدامس (سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر وديسمبر 1862م).

ج) بول صوليي (Paul Soleillet):

قام في أواخر سنة 1872م برحلة من الجزائر العاصمة إلى عين صالح، استكشف خلالها الأغواط، غرداية ثم متليلي، ومع مطلع سنة 1873م استكشف ورقلة والمنيعة ولما وصل مشارف عين صالح منعه أهلها من دخولها فاضطر إلى العودة من حيث أتى، رغم ذلك فقد قدم في

---

(1) الطاهر، موساوي : المرجع السابق، ص 318.

(2) Hippolyte, Mircher: Mission de Ghadamès (septerbre, octobre, noverbre et décerbre 1862), Rapport officiel et document à l'appui, Typographie declaux, Alger, 1863,pp 1-317.

كتاباته معلومات هامة حول المناطق الصحراوية التي استكشفها [1]، من مؤلفاته:

- L’Afrique Occidentale: Algérie, Mzab, Tidikelt.

-غرب إفريقيا: الجزائر، ميزاب، تيديلكت.

- Exploration du Sahara Central: Voyage de Paul SoleilletD’Alger À L’Oasis D’in-Salah, Rapport Présenté À La Chambre de Commerce D’Alger.

- استكشاف وسط الصحراء: رحلة بول صوليي[*] من الجزائر إلى واحة عين صلاح، تقرير مقدم إلى غرفة تجارة الجزائر.

ح) كُورنيال تروملي (TrumeletCorneille):

عسكري فرنسي، انضم إلى "الجمعية التاريخية" مما أتاح له الفرصة للقيام ببعثات استكشافية وان اتخذت طابع حملة عسكرية باتجاه منطقة نقوسة ورقلة لإخضاعها من جديدة، حيث انطلقت الحملة من سعيدة سنة 1862م، ثم توجهت إلى الجنوب الشرقي، مرورا بغداير غوزران، إقليم فضالة، وادي الناصر، العسكورة، وادي حمويد، وادي الملح، المنيعة، وادي سيدي مناع، وادي متليلي، مدينة متليلي، قري وادي ميزاب (بني يزقن، غرداية، مليكة، بونورة، العطف)، وادي النمل، وادي النساء، وادي الحاسي، ورقلة ووصولا إلى نقوسة ، ثم اتجهت الحملة شمالا مرورا بالأغواط، تاجموت، قصر سيدي بوزيد، تيارت وصولا إلى مدينة الجزائر، وقد دون تروملييه ملاحظاته حول المناطق التي اجتازها من حيث طبيعة الجو والأرض والغطاء النباتي ونوعية التضاريس [2]، وحتى أنه ذكر أسماء القبائل القاطنة بالمناطق الصحراوية في مؤلفه المعنون:

---

[1] Paul, Soleillet: L’Afrique Occidentale: Algérie, Mzab, Tidikelt, Avignon Imprimerie de F. Seguin Aîné, Paris, 1877, pp 1-276, Voir aussi: Paul Soleillet: Exploration du Sahara Central: Voyage de Paul,Soleillet D’Alger À L’Oasis D’in-Salah, Rapport Présenté À La Chambre de Commerce D’Alger, Typographie et Lithographie, a Jourdan , Alger, 1875,pp 1-142.

[*] **بول صوليي 1842م- 1888م:** ولد بنيم بفرنسا التحق بالجيش الفرنسي سنة 1870 ، كانت له رغبة كبيرة في الترحال والمغامرة، قام بثلاث رحلات خلال حياته، ينظر: عبد القادر مرجاني: « الصحراء الجزائرية من خلال الكتابات الأوربية خلال القرن 19م"بول صوليه أنموذجا " »، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، ع22، 2018، ص 148.

[2] Corneille, Trumelet(colonel): Les Français Dans Le Désert Journal d’une expédition aux limites du Sahara algérien , Garnier Frères, Libraire- éditeurs, Paris, 1863, pp173-440.

- Les Français Dans Le Désert (Journal d'une expédition aux limites du Sahara algérien).

– الفرنسيون في الصحراء (يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية).

خ) بول فلاتزر (Paul Flatters):

كلف " فلاتزر " بدراسة إمكانية إنشاء سكة حديدية في جنوب ورقلة، لذا قام سنة 1880م برحلة باتجاه جنوب ورقلة، فانطلق ببعثته من ورقلة مارا بمنطقة ميزاب، العطاف، غرداية، بريان ثم الأغواط، حيث قدم وصفا للكثبان الرملية، الصخور، الأودية، الأشجار، الحدائق بوادي ميزاب وغيرها من المناطق التي زارها[1].

أما رحلته الثانية فكانت ما بين سنتي 1880م– 1881م باتجاه بلاد الطوارق، فانطلق من ورقلة مارا بوادي ميه، حاسي عبد الكريم، هضبت تادميت، حاسي المقسم، أمقيد، هضبة تينقارت، سبخة أمدغور، تماسنين، لكن التوارق قاموا بقتل فلاتزر وبعض رفاقه عند وصولهم إلى بئر الغرامة سنة 1881م، على الرغم مما حدث، إلا أن البعثة قامت بمسح 1200 كلم من الطريق المخططة لبناء السكك الحديدية عبر الصحراء ووضع أساس لمشروع سكة حديدية يمتد بين ورقلة وأمقيد على مسافة 600 كلم، وقدمت أيضا دراسات حول الجغرافيا والجيولوجية وأحوال الطقس والنبات والحيوان للمناطق المكتشفة، وتعرفت على طريق القوافل بين المنيعة وورقلة، عين صالح وأدلس، عيسو وغات الليبية، حيث الفت دراسات حول فلاتزر بعد مقتله أهمها دراسة" هنري بوسولاغ (Henri Bosselard) " الذي نشر مؤلفا حول رحلة " فلاتزر" [2]، حمل عنوان:

-Les Deux Missions Flatters au Pays Des Touareg Azdjer et Hoggar.

– بعثتا فلاتزر إلى بلاد الطوارق أزجر والهقار.

د) شوازي أوغوست (ChoisyAuguste):

بعد طرح مشروع إنشاء سكك حديد صحراوية في الجنوب الشرقي الجزائري من قبل وزارة

---

[1] Henri, Bosselard: Les Deux Missions Flatters au Pays Des Touareg Azdjer et Hoggar, 2em Éd , Librairie Furme Jouvet et Cie, Éditeurs , Paris, 1889, pp 2-50.

[2] Henri, Bosselard: Op.cit, pp 76- 175.

الأشغال العمومية، كلف " شوازي" سنة 1880م باستكشاف طريقين مقترحين لبناء السكة الحديدية وهما: طريق الأغواط إلى المنيعة وطريق بسكرة إلى ورقلة، فانطلقت بعثته من الأغواط إلى المنيعة، حيث استكشف منفذا بين العروق بعرض 1500متر يسمح بانجاز خط سكة حديدية، ومن المنيعة توجه إلى ورقلة ثم بسكرة مرورا بوادي ريغ، تمكن خلالها من إحصاء سكان الواحات بين ورقلة وبسكرة وعدد نخيلها، وقدم معلومات قيمة حول إمكانية انجاز خط حديدية في طريق بسكرة و ورقلة، وضرورة التحكم في تجارة منطقة ميزاب، وادي سوف والزيبان(1).

ذ) فكتور كولونيو (Victor Colonieu):

كلف سنة 1860م بإبرام علاقات تجارية مع سكان توات وقورارة لاحتكار التجارة نحو بلاد السودان، لذا قام برحلة لاستكشاف قورارة وتوات، انطلاقا من الأبيض سيدي الشيخ إلى غاية وصوله إلى تيميون حيث رفض أهلها فتح الأبواب لقافلته فاضطر للمغادرة متوجها إلى تاورسيت، تيمي، توات، اوقيرت، حيث عومل بنفس الطريقة أينما حل، لذا قررالعودة إلى الأبيض سيدي الشيخ، تمكن خلال رحلته من تدوين ملاحظات عن الطبيعة والسكان، وذكر النشاط التجاري لتلك المناطق من خلال الحديث عن السلع والأسعار ومراكز التبادل، وهو ما ورد ذكره في مقاله المنشور في مجلة "الجمعية الجغرافية بباريس" سنة 1893م(2)، تحت عنوان:

-Voyage au Gourara et à l’Auogurout (رحلة إلى قورارة وأوقيرت).

- Voyage dans le Sahara algérien، de Géryvilleà Ouargla.

-رحلة في الصحراء الجزائرية من جريفيل الى ورقلة(3).

ر) مرسال بالا (Marcel Palat):

اهتم باستكشاف عين صالح، فأنطلق سنة 1885م من العاصمة إلى البيض مارا بكل

(1) الطاهر، موساوي : المرجع السابق، ص 319.

(2) Victor, Colonieu: « Voyage au Gourara et à l’Auogurout », B.S.G, T14,Société de géographie,Paris, 1893, pp53- 97.

(3)Victor, Colonieu: « Voyage dans le Sahara algérien, de Géryvilleà Ouargla », le Tour de Monde, paris, 1862, pp 161- 199.

من:المنيعة، بريزينة، وادي أولاد سقيور، حاسي بوزيد، قورارة، واحة تحنتس، قصر سموته، تيديلكت، غير انه تعرض إلى الاغتيال قبل وصوله إلى عين صالح، وبذلك يكون قد استكشف الطريق الرابط بين البيض وعين صالح، وتعرف على قصور والواحات في الطريق الرابط بينهما.

ز) دو بونشيال أدولف (Duponchel Adolphe):

قام المهندس" أدولف دوبونشيال Adolf Duponchel " بدراسة مشروع السكة الحديدية العابرة للصحراء لربط المستعمرات الفرنسية بغرب إفريقيا ببعضها البعض، إضافة إلى مشاريع أخرى في هذا الصدد، تسعى كلها إلى ربط الجزائر بمستعمرة السنغال وبلاد السودان[1].

من اجل تحقيق هذه المشاريع كلفت وزارة الأشغال العمومية هذا الأخير بقيادة بعثة إلى الصحراء الجزائرية فيما بين 1878م–1879م لدراسة إمكانية مد الخطوط السكة الحديدية عبر الصحراء، غير انه لم يتوغل في أعماق الصحراء وتوقف في حدود الأغواط ، وأصدر كتابا ضمنه تقارير حول خطوط المواصلات بين الجزائر وبلاد السودان[2]، حمل عنوان:

- Le Chemin de Fer Transsaharien: Jonction Colonial, entre l'Algérie et le Soudan, Etudes Préliminaires du Projet et Rapport de Mission, avec Cartes Générale et Géologique.

– خط السكة الحديدية العابرة للصحراء: الضم الاستعماري بين الجزائر والسودان، دراسات تمهيدية لمشروع وتقرير البعثة، مع خرائط عامة و جيولوجية.

2.1.2) المنصرون والأدباء:

أ) جون هاربيال (Jean Hurabielle):

منصر مسيحي فرنسي الاصل، عضو في فرقة الآباء البيض التي أسسها الكاردينال شارل

---

[1] فتيحة، يطو:« الصراع الدولي على الطرق التجارية في الصحراء الجزائرية » ،المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية ، جامعة جيلالي ليابس – سيدي بلعباس، مج1، ع1، ص ص 363- 365.

[2] Adolphe, Duponchel: Le Cherin de Fer Trans-saharien, Jonction Colonial, entre l'Algérie et le Soudan, Etudes Préliminaires du Projet et Rapport de Mission, avec Cartes Générale et Géologique, Topographie et Lithographier de Boehm, Paris, 1878,pp 1- 361.

لافيجري سنة 1869م، شغل منصب كاتب الكاردنال لافيجيري، زار مناطق الجنوب الشرقي انطلاقا من بسكرة ووادي سوف، ووادي ريغ لمرتين: المرة الأولى مابين 1889م-1890م، والمرة الثانية مابين 1896م- 1897م متنكرا بصفة سائح، حيث سجل معلومات جغرافية ومناخية للمناطق التي زارها[1]، ومدونا ذلك في مؤلفه بعنوان:

- Au Pays du bleu Biskra et les oasis envrounantes.

-في بلاد بسكرة الزرقاء والواحات المجاورة.

ب) شارل دو فوكو[*] (Charles de Foucauld):

بداية من سنة 1885 قام بجولة في الجنوب الجزائري، وفي عرض الصحراء من المغرب الأقصى إلى تونس، مارا ببني عباس، الاغواط، غرداية، متليلي، القولية، ورقلة، تقرت، الجنوب التونسي حتى قابس.

سنة 1886م اخذ طريق التدين وبدأ نشاطه التنصيري في بني عباس فيما بين 1901م-1905م، و بتشجيع من الضابط "لابرين" نقل نشاطه إلى الهقار ليستقر هناك بين قبائل الطوارق، وتستر تحت غطاء التدين ليقوم بجمع المعلومات السياسية والعسكرية والاجتماعية المتعلقة بمجتمع طوارق الهقار، واستمر إلى غاية مقتله عام 1916م[2] تاركا وراءه مؤلفاته لعل أبرزها:

- Dictionnaire Touareg - Français (قاموس طارقي – فرنسي).

ت) أوجين فرومنتان (Eugène Fromentin):

رسام وكاتب فرنسي ، ولد في لاروشيل بفرنسا (1820م – 1876م)، قام بثلاث رحلات

---

[1] Jean, Hurabielle: Au Pays du bleu Biskra et les oasis environnantes,Augustin Challamel Éditeur,Paris, 1899,pp 1- 209.

[2] حاج إبراهيم، حاج أمحمد: المؤسسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية في نهاية القرن 19م مزاب و الأهقار نموذجا ، تحت إشراف ا.د/ فاطمة الزهراء قشي، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة2، السنة الجامعية، 2011-2012، ص ص 101- 106.

[*] **شارل دو فوكو 1858م – 1916م:** ولد بستراسبورغ، والتحق بمدرسة سان سير الفرنسية ووصل إلى رتبة ملازم أول بعدها طرد من الجيش بسبب سلوكه الفوضوي، في 1881م أعيد تجنيده، ومابين سنتي 1882م- 1883م وبالتنسيق مع الشركة الفرنسية=

إلى الجزائر الأولى سنة 1846م زار خلالها الجزائر العاصمة والبليدة لمدة أسبوعين، ومابين سنتي 1847م– 1848م عاد إلى الجزائر للمرة الثانية وزار خلالها كل من مدينة الجزائر، البليدة، تيبازة، سكيكدة، قسنطينة، عن مليلة، باتنة، القنطرة وبسكرة التي وصلها في 23 فيفري 1848م وأقام بها حتى17 أفريل 1848م، خلال فترة مكوثه زار بعض واحات بسكرة كواحة سيدي عقبة، طولقة، ثم عاد إلى قسنطينة عبر بريكة والوطاية، بعد أربع سنوات عادة إلى الجزائر في رحلتهالثانية سنة 1852م زار خلالها كل من: البليدة، المدية، قصر البخاري، عين وسارة، الجلفة، سيدي مخلوف، حتى مدينة الأغواط حيث زار قريتي تاجموت، عين ماضي[1]، بعد وفاته ترك عدة أعمال تؤرخ لهذه الرحلات لعل أبرزها:

- Un été dans le Sahara (صيف الصحراء).

3.1.2) المغامرون:

ا) دو بونمان (BonnemainDe):

قادته بعثته الاستكشافية سنة 1856م نحو غدامس الليبية – بأمر من الحاكم العام بالجزائر - لدراسة المنطقة الواقعة بين واد سوف وغدامس دراسة جغرافية، ومعرفة أبعادها ومصادر مياهها، وتحديد موقعها بالنسبة للتجارة مع بلاد السودان، فاستكشف المناطق الواقعة بين واد سوف وغدامس، فقدم بذلك وصفا لواد سوف وذكر معلومات عن قبائلها وعلاقتها التجارية مع مدينة قسنطينة.

ب) هنري دوفري (Henri Duveyrier):

قاد رحلته لأغراض تجارية في الصحراء مابين 1859م–1860م فاستكشفعدة مناطق من الصحراء الجزائرية منها: بسكرة، قرارة، غرداية، متليلي، القليعة، الأغواط، توقرت، وادي سوف،

= سافر في رحلة إلى المغرب الأقصى للاستكشاف والتجسس، بعدها اختار حياة التدين وتقرب من الكنائس في باريس وروما مابين 1884م– 1897م ، ليتخرج برتبة قس سنة 1901م ويختار الاستقرار ببني عباس للقيام بمهمة التبشير من سنة 1901م إلى غاية 1903م، ثم كلف من طرف الضابط " لابرين " لنقل نشاطه إلى الهقار حيث استقر هناك بداية من سنة 1904 إلى غاية اغتياله بتمنراست عام 1916م، ينظر: عبد السلام بوشارب: الهقار أمجاد و أنجاد، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1986، ص ص 110- 111.

[1] عيسى، عطاسي : صورة الجزائر في أدب الرحلات الفرنسي " صيف في الصحراء " لفرومنتين نموذجا،تحت إشراف.د/ احمد منور، رسالة ماجستير في تخصص الأدب العربي، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 2005- 2006، ص ص 11- 12.

ممهدا بذلك السبيل لعقد معاهدة غدامس بين فرنسا والطوارق عام 1862م[1]، وقد ذكر هذه المناطق في كتابه:

-(استكشاف الصحراء: طوارق الشمال). Exploration du Sahara: les Touareg du Nord -

ت) فلامو جورج بارتيليمي (FlamandGeorges Barthélémy):

تعتبر بعثة فلامو سنة 1899م حملة عسكرية في الأساس هدفها احتلال عين صالح، حيث انطلقت الحملة من ورقلة متجهة إلى عين صالح، عبر حاسي اينغل، حاسي سوقي، حاسي المقر، رق الجمار، وادي مسين، واحة إيقوستين حيث تعرضت في هذه الواحة لمقاومة شديدة من طرف سكانها، وبفضل وصول تعزيزات العسكرية الفرنسية من المنيعة تم القضاء على المقاومين، الأمرالذي مكن " فلامون " من احتلال عين صالح سنة 1900م،بعد الحملة قدم" فلامون " تقريرا للحاكم العام شمل جميع ملاحظاته الجغرافية والطبوغرافية، والإمكانيات الاقتصادية للمناطق التي زارها[2].

ث) كاميي دولس (Camille Douls):

قام بعدة رحلات استكشافية باتجاه صحراء المغرب والصحراء الغربية والجنوب الغربي الجزائري فيما بين 1887م– 1889م، فاستكشف في رحلته الأولى سنة 1888م منطقة تندوف، فوصف وذكر أهلها، أما رحلته الثانية إلى تمبوكتو شمال مالي عبر منطقة توات فاستكشف وادي الساورة، واحة رقان وأولف، وفي طريقه من واحة أولف إلى واحة أقبي تم اغتياله [3]، ابرز مؤلفاته التي يتطرق فيها إلى الجنوب الجزائرينجد دراسته المنشورة في مجلة "الجغرافية بباريس"، تحت عنوان:

- Voyage d’Exploration à Travers le Sahara Occidental et le Sud Marocain.

– رحلة استكشاف عبر غرب الصحراء وجنوب المغرب.

---

[1] A.W.C: Henri, Duveyrier: Les Touaregs du nord, Challamel, Paris,1864,pp 1- 477.

[2] إبراهيم، مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881م-1912م، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص 65.

[3] Camille, Douls: «Voyage d’Exploration à Travers le Sahara Occidental et le Sud Marocain » B.S.G, T9, Société de géographie, Paris, 1898, pp 437- 469.

ج) دورنو دوبير (Dournaux Dupéré) وأوجين جوبار (JoubertEugène):

في إطار سعي فرنسا لتأسيس شبكة من العلاقات التجارية بين مستعمراتها في إفريقيا الغربية خدمة لمصالحها الاقتصادية، كلف سنة 1874م كل من "دورنو دوبير" و "جوبار" بمهمة استكشافية في الصحراء الإفريقية بصفة عامة مرورا بالصحراء الجزائرية، حيث استكشفا معا في طريقهما بسكرة، توقرت، الوادي، تماسين، منطقة اغرغار وحاسي العشية [1].

ح) غاستون ميري (Gaston Méry):

كلف سنة 1892م من طرف شركة" مقاولة ورقلة – السودان" بمهمة استكشاف المناطق الواقعة بين ورقلة وبلاد الطوارق، في إطار انجاز خط سكة حديدية من بسكرة إلى ورقلة وتوسيع النشاط التجاري مابين ورقلة وبلاد الطوارق، لأجل ذلك استكشف منطقة وادي سوف، حاسي الندة، تقرت، حاسي ميلود، حاسي الناصر، منطقة الغور، حاسي أولاد صالح، عين الطيبة، البيوض، سبخة الطارفة، وادي اغرغار، ولكن لم يكمل غاستون رحلته إلى بلاد الطوارق، واستخلص نتيجة هامة مفادها إمكانية مد خط سكة الحديد مابين عين الطيبة وتماسين في اتجاه بلاد الطوارق.

مابين سنتي 1892م – 1893م كلف غاستون أيضا من طرف شركة" مقاولة ورقلة- السودان"، للتوجه إلى بلاد طوارق ازجير من اجل التفاوض مع زعمائها للحصول على ترخيص للقوافل الفرنسية كي تعبر أراضيهم إلى بلاد السودان، من اجل انجاز المهمة انطلق من بسكرة إلى الوادي مارا بحاسي مي، حاسي بلحيران، وادي اغرغار، مويلح معطا الله، إلى بلاد الطوارق حيث حصل من زعمائهم على ضمان مرور وأمن القوافل الفرنسية العابرة لبلادهم، وحين عودته استكشف بحيرة منخوع، منطقة عين الحجاج، كما قام بانجاز خرائط لتلك المناطق وأعطى وصفا للظروف الجوية والتركيبة الجيولوجية لتلك المناطق[2].

خ) برنار دتانو (D'AttanouxBernard):

كلف سنة 1894م من قبل "مقاولة ورقلة – السودان" باستكشاف جنوب بسكرة وواحات وادي ريغ وبلوغ بلاد طوارق ازجير، وفي طريقه إلى بلاد طوارق أزجير استكشف، حاسي بلحيران،

---

[1] الطاهر، موساوي : المرجع السابق، ص 320.
[2] نفسه، ص 320.

حاسي مخنزة، حاسي الطويل، عين الطيبة، مويلح معطا الله، تماسين، وادي اغرغار، تابلبالت، عين الحجاج، ودخل بلاد طوارق ازجير عير وادي انيفي، ووصل إلى منطقة منخوع حيث أجرى هناك مفاوضات مع زعماء الطوارق من اجل ربط علاقات تجارية مع بلاد السودان وذلك باجتياز بلادهموقد نجح في ذلك، بعد عودته استكشف طريق منخوع، عين صالح، تابلبالت، تماسنين، تابنكورت، حاسي بلحيران حتى وصوله إلى تقرت[1]، ودون رحلته في كتاب بعنوان:

−Voyage D'exploration chez les Touareg (رحلة استكشاف إلى طوارق).

د) فرناند فورو (Fernand Foureau):

قاد " فرناند فورو "عدة بعثات استكشافية في الجنوب الجزائري في الفترة مابين 1883م− 1898م، بتكليف من الحاكم العام بمهمة استكشاف منطقة تقرت وإمكانية مد خط سكك الحديد بين ورقلة وعين صالح، وعلى هذا الأساس سلك الطريق المؤدي إلى عين صالح، انطلاقا من غرداية، مارا بحاسي الملح، حاسي تويزة، عين الطيبة، منطقة تادمايت وتقرت.

في سنة 1892م كلف من قبل وزارة الأشغال العمومية والحاكم العام بقياد بعثة ثانية لاستكشاف المنطقة الواقعة بين حاسي المسقم وتماسين، حيث انطلق من بسكرة متجها نحو حاسي بلحيران، مويلح معطا الله، ابنكورت، تماسين، ثم غير طريقه نحو الجنوب الغربي حيث استكشف حاسي تين سيغ، أبار البيوض، حاسي مسقم، وبحاسي المسقم أنهى رحلته وقفل راجعا إلى تقرت، خلال البعثة تمكن من إجراء حسابات الارتفاعات والمنخفضات، تحديد الاتجاهات وتسجيل معدل الحرارة بالمناطق التي مر بها[2].

مابين سنتي 1892م− 1893م كلف من جديد بقيادة بعثة ثالثة، هدفها استكشاف الطريق بين ورقلة وغدامس من اجل التفاوض مع طوارق أزجير في قضايا تجارية وأمنية، فانطلق من بسكرة مارا بعين الطيبة، البيوض، تماسنين، حاسي تابنكورت، حاسي إمولاي، وصولا بغدامس حيث استقبله سكانها الطوارق ودخل معهم في مفاوضات، وبذلك يكون قد استكشف الطريق الرابط بين ورقلة وغدامس، وخلال الرحلة قدم ملاحظات جغرافية بالمناطق التي مر بها.

---

(1)الطاهر، موساوي : المرجع السابق، ص 320.

(2) نفسه، ص 321.

في البعثة الرابعة التي قادها مابين سنتي 1893م- 1894م، توجه نحو منطقة الأير ببلاد الطوارق، منطلقا من بسكرة باتجاه المنيعة، حاسي الحاج موسى، حمادة تادمايت، منطقة عين صالح، تماسين، ثم تاسيلي ازجير حيث اخذ الإذن من زعماء طوارق المنطقة بعبور أراضيهم للتوجه إلى منطقة الاير، وفي طريقة إليها اعترضته إحدى قبائل الطوارق ومنعته من مواصلته رحلته، فاضطر للعودة إلى بسكرة، ودون خلال رحلاته معلومات جغرافية وفلكية بالمناطق التي مر بها، واستطاع أن يضع خريطة للصحراء رسم فيها حوالي 4000 كلم من المسالك التي عبرها، وذكر قبائل طوارق ازجير ومنطقة التاسيلي[(1)].

خلال سنتي 1895م-1896م قاد بعثة استكشافية خامسة باتجاه بلاد الطوارق، لكن لم يتجاوز جنوب العرق الكبير، حيث أوقف رحلته الحاكم العام لكون بلاد الطوارق كانت تمر بظروف سياسية صعبة.

كلف من جديد من قبل " الجمعية الجغرافية " بباريس سنة 1897م للقيام برحلة أخرى لأقصى الجنوب الجزائري، حيث انطلق من بسكرة نحوعين الطيبة، البيوض، تماسين، عين الحجاج، بئر منخور، حاسي تاسينجة، حتى وصل إلى بلاد طوارق ازجير أين تفاوض مع زعماء حول القضايا التجارية، ثم عاد إلى بسكرة ، تمكن في هذه الرحلة من استكشاف نحو 440 كلم من المسالك وتحديد مستويات الارتفاع والانخفاض المناطق التي زارها، ووضع خرائط ورسومات لها، كما قدموصفا للآبار ومصادر المياه وطبيعة الجو، وسجل أسماء مختلف نباتات المنطقة في بلاد الطوارق [(2)]،من أبرز مؤلفاته:

- Rapport sur ma Mission au Sahara et chez les Touareg Azdjer Octobre1893 – Mars 1894.

- تقرير عن مهمتي في الصحراء لدى طوارق أزجر أكتوبر 1893م - مارس 1894م.

[(1)] Fernand, Foureau : Rapport sur ma Mission au Sahara et chez les Touareg Azdjer, Octobre 1893-Mars 1894, Augustin Challamel Éditeur, Paris, 1894,pp 1- 274.

[(2)] Fernand, Foureau : Mission chez les TouaregMes deux itinéraires Sahariens d'octobre, 1894-Mia 1895, Augustin Challamel Éditeur, Paris, 1895,pp 1- 195.

- Une Mission Chez les Touareg (مهمة عند الطوارق).

- scientifiques de la Mission les documents Saharienne 1903 – 1905.

– (المهمة العلمية حول الوثائق الصحراوية 1903م – 1905م).

ذ) فيكتور لاغو (Victor Lageu):

أثناء رحلاته عبر الصحراء الجزائرية لأغراض تجارية إلى غدامس الليبية خلال سنتي 1875م– 1876م، وإلى عين صالح سنة 1877م، مر في طريقهعبر بسكرة، زاوية تماسين، وادي اغراغار، حاسي العشية، ومع عودته استكشف وادي سوف، تقرت وطريق وادي ريغ، ورقلة، تيديلكت ووادي ميه، حيث تمكن من معرفة طرق تجارية جديدة وإجراء دراسات حول المناطق التي عبرها، وقدم وصفا لمدينة تقرت وذكر سكانها وطريقة الري وتقسيم المياه، مع وصف واحة تماسين وحاسي بوثين، [1]في مؤلفه بعنوان:

- Le Sahara Algérien 1874-1878 (الصحراء الجزائرية 1847 –1878).

ر) إدوارد فوجيل (Edouard Vogel):

انطلقت ببعثته من طرابلس مارا بمناطق الجنوب الجزائري، وعند وصوله لمدينة وادي سوف سنة 1856م لقي حتفه[2].

2.2) الأوربيون:

على غرار المستكشفين الفرنسيين، وظفت السلطة الاستعمارية مجموعة من المستكشفين الأوربيين من مختلف الجنسيات في مشاريع التوغل نحو الجنوب الجزائري، لعل أبرزهم:

أ) جيرهارد رولفز (Gerhard Rohlfs):

مستكشف من أصل ألماني، انخرط في اللفيف الأجنبي الفرنسي، شارك في العمليات العسكرية لاحتلال بلاد القبائل، وتعلم خلالها اللغة العربية، واكتسب معرفة بعادات وتقاليد السكان، ثم ترك اللفيف الأجنبي سنة 1861م ليدخل مجال المغامرة والاستكشاف، بدأ رحلته سنة 1862م من تافيلايت بالمغرب الأقصى لكن رحلته فشلت بسبب شكوك سكان منطقة تافيلايت بإسلامه

---

[1] الطاهر، موساوي : المرجع السابق، ص 316.

[2] يحي، بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 80.

فأسروه، وبعد إطلاق سراحه أكمل طريقه باتجاه القنادسة، فقيق، منطقة عين الصفراء، الشلالة، البيض وصولا إلى الشمال.

رغم فشل هذه الرحلة قرر "رولفز" القيام برحلة جديدة إلى تمبوكتو عن طريق الصحراء الجزائرية، ولكن ثورة أولاد سيدي الشيخ عام 1864م منعته من ذلك، وعندئذ غير مسار رحلته انطلاقا من تافيلايت بالمغرب الأقصى، مارا بتوات، إيقلي، بني عباس، أدرار ومن هناك وصل إلى عين صالح سنة 1864م،[1] وقد دون رحلته في مؤلف بعنوان:

- voyages et explorations au Sahara (رحلات واستكشافات في الصحراء).

ب) أوسكار لانز (Oskar Lenz):

مستكشف من اصل نمساوي، أوكلت له الجمعية الإفريقية لألمانيا في خريف 1879م مهمة دراسة مختلف مرتفعات الأطلس المغربي والمناطق الجنوبية القاحلة وخاصة من تندوف إلى تمبكتو، فانطلق من المغرب الأقصى سنة 1880م، بداية من مدينة طنجة إلى منطقة تندوف، ومنها إلى مدينة تمبكتو، ثم اتجه إلى المراكز الفرنسية بالسنغال حتى شواطئ المحيط الأطلسي،[2] وقد دون رحلته في مؤلفه[3] الذي حمل عنوان:

-Tombouctou: Voyage au Maroc au Sahara et au Soudan.

– تمبكتو: رحلة إلى المغرب في الصحراء والسودان.

ت) إيزابيل إبرهاردت(Isabelle Eberhardt):

مراسلة صحفية من أصول ألمانية روسية، سافرت إلى الجزائر لأول مرة سنة 1897م، وعادت إليها سنة 1900م من تونس لتسافر من الجزائر العاصمة، وتنطلق باتجاه تقرت ثم الوادي ومنها إلى مناطق أخرى من الجنوب الجزائري، عرف عنها ارتدائها زي الرجال وتسمت باسم "سي

---

(1) مصطفى، بن واز :« المستكشفون الأوربيون للصحراء الجزائرية : جرهارد رولفز و اوسكار لانز نموذجان »،المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران، مج10، ع11، 2014، ص ص 339- 343.

(2) نفسه، ص ص 343- 345.

(3) Oscar, Lenz : Tombouctou, Voyage au Maroc, au Sahara et au Soudan, T1, Paris, Librairie Hachette et C^{ie}, 1886,pp 1- 415, Voir aussi: Oscar, Lenz : Tombouctou, Voyage au Maroc, au Sahara et au Soudan, T2, Paris, Librairie Hachette et C^{ie}, 1887,pp 1- 433.

محمود السعدي"، ويقال انها اعتنقت الإسلام ، وكانت خلال رحلتها تُدون كل ما شاهدتها في العديد من الصحف والمجلات، مما أثار حولها الكثير من الشكوك و الشبهات على أن تكون جاسوسة تعمل لصالح الألمان، مما اضطر السلطات الفرنسية لإجبارها على مغادرة الجزائر عام 1901م[1].

و عادت من جديد الى الجزائر وتزوجت من احد جنود الصبايحية الجزائريين للحصول على الجنسية الفرنسية، وكذا الاستقرار في الجزائر وتم لها ذلك سنة 1902م، عملت بعدها مراسلة للأخبار، مما أعطاها دفعا جديدا لرحلة استكشاف مدن وواحات الجنوب الجزائري؛ ففي سنة 1903م، أرسلت إلى الجنوب الوهراني كمراسلة حرب لتغطية معارك الجيش الفرنسي مع المقاومة الشعبية وكذا الصراع الحدودي بين السلطة الاستعمارية بالجزائر والسلطنة المغربية، أقامت بعدها في عين الصفراء سنة 1903م إلى غاية وفاتها غرقا باجد اودية المنطقة سنة 1904، [2] من أهم مؤلفاتها حول الجنوب الجزائري كتاب:

-Sud Oranais (الجنوب الوهراني).

ث) هنري بارث (Heinrich Barth):

مستكشف من اصل ألماني، قام برحلتين الأولى سنة 1849م من طرابلس عبر غدامس وغات بفزان الليبية، والثانية سنة 1855م إلى تشاد و تومبكتو عبر قورارة وتوات وتيديكلت[3].

3.2) الرحالة الجزائريون:

استغلت فرنسا كل الوسائل العلمية، الثقافية، السياسية، الاقتصادية وحتى الاجتماعية، لبلوغ هدفها وهو اختراق والسيطرة على كامل الصحراء الجزائرية، فكان الرحالة الجزائريين أحد وسائلها، حيث عمل الكثير من الجزائريين في خدمة الاستعمار الفرنسي كجواسيس لنقل أخبار المناطق

---

(1) أبو القاسم، سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي1830- 1954، ج6 ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت، 1998، ص ص 388- 389.

(2) أحسن، دواس : صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين مقاربة، سوسيو ثقافية، تحت إشراف ا.د/ الأخضر عيكوس ، رسالة ماجستير في تخصص الأدب المقارن ،جامعة منتوري- قسنطينة السنة الجامعية، 2007-2008، ص ص 209- 210 .

(3) إسماعيل، العربي: المرجع السابق، ص 72.

التي زاروها لصاح السلطات الفرنسية، فجاءت رحلاتهم وفق رغبة وأهداف المحتل الفرنسي، [1] من أبرزهم:

ا) الحاج عبد القادر بن أبي بكر هيبة الله الشريف التواتي:

في إطار المسح الأنثروبولوجي، الطوبوغرافي، والاقتصادي للجنوب الجزائري، قدمت دراسات عديدة من طرف الفرنسيين حول المناطق الصحراوية، أمثال الجنرال دوما وغيرهم، رغم ذلك بقيت هذه المناطق مجهولة المعالم بشكل كبير بالنسبة للفرنسيين، لذا استدعي الحاج عبد القادر أبي بكر التواتي من طرف الضابط الفرنسي " بواسوني (Boissonet)" المقيم بقسنطينة، وكلفه بالتوجه نحو بلاد السودان، وتدوين أبجدية الطوارق وقائمة بأسماء زعماء المناطق الصحراوية وزوده بمبلغ 500 فرنك لمصاريف الرحلة؛ فانطلق الحاج عبد القادر أبي بكر التواتي سنة 1849م.

انطلق من بسكرة سالكا طريق تقرت وتماسين، أين أجرى اتفقا مع فرسان من الشعانبة ليصطحبوه إلى ورقلة ومنها، نقوسة، ميزاب، متليلي، المنيعة، تيميمون، أولف، عين صالح، تيت، أقبلي، الغرابة، وَلان، تنزروفت، بئر أمنغان، بئر تانتينة، حدود بلاد الطوارق، دشرة المبروك، أبو عجابية، حتى دخوله مدن بلاد السودان كتنبكتو، سانساندي، سيغو ومنطقة قِني.

وقد ذكر صاحب الرحلة معلومات جغرافية واقتصادية هامة بالمناطق التي عبرها، وأعد قائمةبأسماء زعماء مدن وواحات الصحراوية التي لا يتسع المجال لذكر كامل أسماءها [2].

ب) إسماعيل بوضربة[*]:

قام المارشال راندو بتكليفه سنة 1858م بمهمة استكشافية إلى مدينة غات الليبية واستكشاف

---

[1] سميرة، دعاشي: « الاستثمار الفرنسي للجزائريين في مهمة اختراق الصحراء الجزائرية خلال القرن التاسع عشر ميلادي »،مجلة تاريخ العلوم، جامعة زيان عاشور – الجلفة، ع11، مارس 2018، ص 160.

[2] سميرة، دعاشي :« الاستثمار الفرنسي...، المرجع السابق، ص ص 162- 164.

[*] **إسماعيل بوضربة :** ولد بمرسيليا بتاريخ 25 / 01 / 1823م من أم فرنسية وأب جزائري، انخرط في الجيش الفرنسي ما بين 1853م- 1855م، وشارك في الحملة الفرنسية على تقرت، وشغل منصب مترجم عسكري لدى المكتب العربي، ينظر: سميرة، دعاشي: نفسه، ص 173.

شمال منطقة أزجير، والتفاوض لعقد معاهدة تجارية تخدم التجارة الفرنسية بالمنطقة، ابتدأ " إسماعيل بوضربة " رحلته من مدينة الأغواط مارا بنقوسة، الرويسات، سلول زنون، سلوسل أزال، الكثبان الرملية تسمى ألوج، عين الطيبة، البيوض، تماسنين، الطير، خنفوسة، توسكرين، مالوا، تابلبالت، عين الحجاج، وادي تاجران، وادي تيجوجلت، وادي إيليزي، عقلة سيدي علي النحاوي، وادي تاخمالت، وادي تارات، إداريت إيتيجران، وادي تيخسين، مسيكة، قصر لجنون حتى وصل إلى مدينة غات، حيث استقبله زعيم الطوارق "إيخنوخن" وتفاوض معه بشان إقامة علاقة تجارية بينه وبين فرنسا.

الأهداف التي حققتها السلطات الفرنسية من رحلة " إسماعيل بوضربة "، هي تحويل تجارة القوافل باتجاه الجزائر بدلا من الجنوب الليبي، وذلك بتوقيع معاهدة غدامس في 26 ديسمبر 1862م مع الطوارق فيما بعد[1].

ج) الشيخ سيدي محمد الطيب بن إبراهيم:

كلف برحلة إلى غدامس وغات بطرابلس الغرب (ليبيا)، فانطلق من ورقلة مارا بحاسي مولاي، حاسي القنامي، حاسي أولاد صالح، حاسي الداوي، حاسي لخضر، غارة الذياب ليصل إلى غدامس، ثم ينطلق نحو غات، قدمت رحلته وصفا شامل لطبيعة الأرض التي عبرها من ورقلة إلى غدامس وغات[2].

3) نتائجها:

1.3)الإقتصادية:

لقد حققت فرنسا هدفها الأسمى وهو احتكار تجارة القوافل التجارية؛ بناء على الدراسات العلمية التي قدمها الرحالة المستكشفين، فعل سبيل المثال لا الحصر نش الباحث الفرنسي براكس (Prax) دراسة حول "العلاقات التجارية الجزائرية مع مكة والسودان" سنة 1851م، فحين قام "هنري دوفري" برحلة إلى غدامس سنة 1859م، وجمع الوثائق والمعلومات التي نشرت سنة

---

(1) سميرة، دعاشي :« الاستثمار الفرنسي ...، المرجع السابق، ص ص 165- 168.

(2) نفسه، ص ص 169- 170.

1864م في كتاب عنوانه" توارق الشمال"، كما تحصل على معاهدة تجارية مع زعيم التوارق إيخنوخن سنة 1862، التي يلتزم بمقتضاها هؤلاء بأن يساعدوا مرور التجار الفرنسيين عبر أراضهم مع الالتزام بحمايتهم حتى وصولهم إلى بلاد السودان، ومن جهتها كلفت الغرفة التجارية بالجزائر بول صوليبه سنة 1874 بمهمة تقديم تقرير حول بعض المنتجات لسكان وسط الصحراء الكبرى[1].

كما تم إنجاز مجموعة من الدراسات والأبحاث، حيث درس الضابط أوجيرا (Augieras) المظاهر الطوبوغرافية والآبار المائية لمنطقة ورقلة، واهتم الباحث بربروجر (Berbrugger) بدراسة الآبار، والإنتاج الفلاحي لمنطقة وادي ريغ، واهتم برنارد دتانو بدراسة كيفية الاستغلال الاقتصادي لثروات المناطق الصحراوية، ودرس الباحث بيسي (Bisset) منطقة تديكلت من الناحية الجغرافية والبشرية ومصادر الثروة، ودرس كانسل (Cancel) جغرافية عرق إيقدي وواد الساورة، وتطرق الباحث كابوت ري (Capot Rey) لأهمية آبار وادي ريغ من الناحية الاقتصادية والسياسية، ودرس الباحث دوليك (Deluc) مصادر المياه في الجنوب الوهراني...[2].

2.3) العسكرية:

يقول فرناند فورو (Fernand Foureau) بقوله: "... إن أهم تساؤل بالنسبة للفرنسيين الذين يهتمون بالصحراء هو: ماذا نعمل من اجل أن تصبح الصحراء تحت قبضتنا؟ فمن أهم الوسائل لتحقيق ذلك أن نضغط ونضاعف جهود التوغل في الصحراء لاحتوائها، كما يجب إنشاء مجموعة من المراكز يجب أن تمثل خطا دفاعيا متينا أمام مقاومة سكان الصحراء"[3].

فالتوغل الفرنسي في الجنوب الجزائري جوبه بمجموعة من الانتفاضات والمقاومات الشعبية، مما دفع بالحكومة الاستعمارية الى السيطرة على المدن والواحات كمدينة بسكرة سنة 1844م،

---

[1] عبد القادر، بوباية : المرجع السابق، ص 26.
[2] يحي، بوعزيز: المرجع السابق، ص 89.
[3] الطاهر، موساوي : المرجع السابق، ص 322.

واحة الزعاطشة 1849م وواحة بوسعادة سنة 1849م، الأغواط سنة 1852م، ورقلة سنة 1853م، واد سوف وتقرت ومتليلي سنة 1854م، كما فرضت معاهدة على وادي ميزاب 29 أفريل سنة 1853م وعلى طوارق أزجر سنة 1864م، ثم التوغل في أقصى الجنوب واحتلال عين صالح سنة 1899م، توات 1901م، الهقار 1902م، بشار والساورة 1903م، تميمون 1904م، جانت 1913م، تمنراست 1914م، تندوف 1934م، ووضعت بها حاميات عسكرية لضمان أمن المعمرين، وقمع أية انتفاضة أو مقاومة قد يقوم بها مجتمع الجنوب مستقبلا [1].

---

[1] عبد القادر، بوباية : المرجع السابق، ص 27.

الفصل الأول:

الوضع السياسي لمجتمع الجنوب الجزائري(1852م- 1914م)

أولا: الاحتلال الفرنسي والمقاومات الشعبية (1852م- 1914م)

ثانيا:المكاتب العربية بالجنوب (1852م- 1914م)

ثالثا: التنظيم الإداري والمالي للجنوب الجزائري (1902م- 1914م)

أولا: الاحتلال الفرنسي والمقاومات الشعبية1852م-1914م

1) التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب 1852م-1914م:

إن تكامل وتزامن عمليات الاحتلال والتوغل العسكري الفرنسي نحو الجنوب الجزائري، يندرج ضمن إستراتيجيةالاحتلال الشامل للجزائر، والقضاء على المقاومات الشعبية، خصوصا وأنمدن وواحات الجنوب كانت مَلاجئ للمُقاومين سواءالمنسحبين من الشمال الجزائري أو المستقرين في الجنوب،(**ينظر ملحق رقم01**).

1.1) التواجد الاستعماري في الجنوب قبل سنة 1852م:

أ) احتلال بسكرة 1844م:

أسند الأمير عبد القادر قيادة مقاطعة الزيبان والصحراء الواقعة جنوب قسنطينة إلى محمد الصغير بن عبد الرحمان المدعو(أحمد بلحاج)، فقام بنشاط ثوري واسع ضد القوات الفرنسية، واهتم بتدعيم سلطة الأمير في المدن والواحات الشرقية المحاذية لإيالة تونس، وذلك بربط الصلات والعلاقات الحسنة بين الأمير وبايات تونس، ذلك أن منطقة وادي سوف مثلت الحدود الجنوبية الشرقية لدولة الأمير مع إيالة تونس؛ فبالرغم من الجهود الجبارة التي بذلها فإنه لم يستطع وقف تقدم القوات الفرنسية، التي تلقت مساعدة من عائلة بن قانة، واحتلت بسكرة بتاريخ 4 مارس 1844م [1].

ب) تدمير واحة الزعاطشة 1849م:

تدمير واحة الزعاطشة جاء نتيجة رفض سكان الواحة تسليم الشيخ بوزيان للسلطات الفرنسية[2]؛ فهذا الأخير كان يمثل نائب الأمير عبد القادر في منطقة الزاب، وكرد فعلقام الضابط "دوبسكيت" (Dupesquet) بتوجيه قوة عسكرية نحو الواحة[3]، إلا أنه تراجع عندما علم بمدى جاهزية السكان للمقاومة، اتسعت مقاومة سكان واحة الزعاطشة لتشمل منطقة الزيبان، أولاد نايل، الحضنة، بوسعادة، وكذلك الأوراس، وذلك راجع للدعم الذي حظيت به المقاومة من طرف

---

[1] إبراهيم، مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837م – 1934م، دار هومه، الجزائر، 2005، ص ص 43- 57.
[2] عيسى، جعنيط: « مقاومة سكان الواحات للاحتلال الفرنسي في القرن 19م، ثورة الزعاطشة، أسبابها، تطورها »،مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر،ع09 ، 1995، ص 143.
[3] نفسه، ص 143.

مجموعة من الشيوخ الطرق الصوفية كالشيخ "سي عبد الحفيظ" مقدم الطريقة الرحمانية في الأوراس والشيخ "حامد بلحاج" ببوسعادة و"بن الجودي" شيخ أولاد زيان، كما أنه يمكن تقسيم مراحل التي عرفتها الثورة إلى ثلاث مراحل:

– المرحلة الأولى: تبدأ بوصول القوات الفرنسية إلى واحة الزعاطشة، والتي كانت بقيادة القائد "كاربيسيا " (Carpésie) في 16 جويلية سنة 1849م، وبعد معارك طاحنة مع السكان، أسفرت عن هزيمة الجيش الفرنسي ومقتل عدد كبير من جنوده، فاضطر قائد الحملة إلى سحب قواته.

– المرحلة الثانية: بعد الانتصار الذي حققه ثوار واحة الزعاطشة، قام الجنرال "هيربيون" (Herbillon) الذي كان حاكما على قسنطينة، وبمعية قوة عسكرية تضم مايقارب 5000 جندي، فرض حصارا عسكريا على الواحة لرفض سكانها الاستسلام،واستمر الحصار من 20 أكتوبر إلى غاية 28 من نوفمبر1849م.

– المرحلة الثالثة: تمثلت في هجوم القوات الفرنسية الكاسح على الواحة يوم 29 نوفمبر 1849م، حيث أصدر الجنرال" هيربيون" تعليمات تقضي بالقضاء على جميع سكان الواحة وتحطيم جميع المنازل، لتقتحم القوات الفرنسية الواحة، وتَحدث اشتباكات داخلها، أسفرت هذه الاشتباكات عن مقتل أكثر من 800 قتيل من بينهم الشيخ "بوزيان" وابنه، وتم طمس معالم الواحة، أما الفرنسيين فقدرت خسائرهم بمقتل 10 ضباط وجرح 60 آخرين، ومقتل 156 جنديا و جرح 740 آخرين [1].

ت) احتلال واحة بوسعادة 1849م:

تزامنت الحملة الفرنسية على واحة بوسعادة مع حرب الإبادة التي شنها الجيش الفرنسي ضد سكان واحة الزعاطشة، ومن ثمة فان هذه كانت الحملة ترمي إلى نفس الأهداف الجارية في إقليم الزيبان، بمعنى الحيلولة دون انتشار مقاومة الشيخ بوزيان إلى مناطق أخرى، لاسيما وأن هذه المقاومة لقيت استجابة كبيرة وتطوع إليها الكثير من جهات عدة بما في ذلك سكان واحة بوسعادة [2].

---

[1] عيسى، جعنيط :المرجع السابق، ص ص 143- 149.

[2] خميسي، سعدي: بوسعادة في العهد الاستعماري 1849م- 1939م، تحت إشراف ا.د/ عبد القادر مولاي، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر2، السنة الجامعية، 2016-2017، ص ص 42- 43.

حيث أن هذه الأخيرة قد قامت فيها ثورة بقيادة "محمد علي شبيرة"، فلما سمع بثورة " الشيخ بوزيان" قام بالدعوة لها ومساندتها، وذلك بإرسال النجدة إلى الواحة ومهاجمة الحامية الفرنسية لمدينة بوسعادة سنة 1849م، وقد تلقى الدعم من قبائل أولاد نايل وبعض سكان النواحي المجاورة للواحة، وعلى اثر ذلك تلقت قوات الحامية الفرنسية هي الأخرى مساعدة سكان بعض المناطق المجاورة كالبرج ومنطقة مجانة من أجل فك الحصار عن الحامية، وبهذه المساعدة تمكنت القوات الفرنسية بقيادة العقيد "دوما (Dumas)" من دخول الواحة، الذي تم في 14 نوفمبر 1849م، وفرض على سكانها ضرائب ثقيلة، قدرت بحوالي 8000 فرنك، كما أُجبروا على التخلي عن بعض ممتلكاتهم مما جعل البعض منهم يهاجر إلى تونس [1].

2.1) التوسع الاستعماري في الجنوب بداية سنة 1852م إلى غاية سنة 1914م:

أ) مجزرة مدينة الأغواط 1852م:

تكبدت القوات الفرنسية خسائر عدة على يد المقاوم الشريف "محمد بن عبد الله" بالأغواط، وضمن إستراتيجية القضاء على ثورة الشريف "محمد بن عبد الله"، عملت السلطة الاستعمارية إلى التعجيل باحتلال مدينة الاغواط، فبتاريخ 3 ديسمبر 1852م حوصرت المدينة بالجيوش الفرنسية التي كانت تحت قيادة "الجنرال بليسي (Péllissier)" قائد الحملة و"الجنرال بوسكرين (Bouskarene)" وجيش أخر قدم من بعض مدن الشمال بقيادة "الجنرال يوسف (Yusuf)" وجيش جاء من بوسعادة بقيادة الرائد "بَان (Pein)"، وفي يوم 04 ديسمبر 1852م، تمكنت القوات الفرنسية من دخول المدينة، فهبّ سكانها للدافع عنها ضد المحتلين، وجرت الاشتباكات داخل شوارع المدينة وبساتينها، وذهب ضحية هذه المواجهة 2500 قتيل من أهل المدينة من مجموع 3600 شخص أي أكثر من ثلثي السكان، بالإضافة إلى عدد غير محدود من الجرحى، واستمرت القوات الفرنسية تعيث قتلا وفسادا في المدينة أكثر من أربعة أيام بعد سقوط المدينة [2].

---

[1] خميسي، سعدي: المرجع السابق، ص ص 43- 45.

[2] محمود،علالي« التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية -الأغواط أنموذجا- »، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، جامعة الأغواط، مج 1، ع1، جانفي 2019، ص ص 146- 147.

ب) معاهدة الحماية مع بني ميزاب 1853م:

لجأت الإدارة الاستعمارية في عدّة مناسبات إلى المناورة والتفاوض لابرام المعاهدات كلما اقتضت الضرورة، فبعد أن تحقق أهدافهامن المعاهدات، تلجأإلى إلغائها، وهذا ما فعلته بمعاهدتها مع الأمير عبد القادر على سبيل المثال.

بعد احتلال الأغواط فرضت القوّات الفرنسية ضغطا عسكريا على منطقة وادي ميزاب، وذلك تحديدا قبل وخلال فترة مناقشة عقد المعاهدة محليّا، مما جعل أعيان المنطقة يرضخون لعقد الاتفاق لسببين هما:

السبب الأول: التهديد العسكريّ الذي تعرّضوا له، وهو ما دفعهم إلى اتّخاذ أيّة وسيلة لإيقاف زحف القوّات الفرنسيّة ولو تطلب ذلك الحصول على عهد الأمان، فحسب معلومات استخباراتية فرنسية كشفت عنها مراسلة من الجنرال حاكم قسنطينة إلى الحاكم العام بالجزائر بتاريخ 12 جانفي 1853م، جاء فيها تبيان أغراض بني ميزاب من عقد المعاهدة مع فرنسا، وذلك بعد كَشف أحد المخبرين لفحوى اتّصالهم بقائد المقاومة بالأغواط بن شهرة، قائلا: "...اتصلوا ببن شهرة قائد لرباع، وبيّنوا له الوضعية الصعبة التي أصبحوا عليها بعد السيطرة على الأغواط، وأنّ فرنسا بعد هذا الاحتلال سوف تتجه نحو الجنوب، وجدوا أنّ أفضل وسيلة لإيقاف هذا التقدّم هو إعلان التبعية لها..."[1].

السبب الثاني: الحصار الاقتصادي الذي فرضته السلطة الاستعمارية على وادي ميزاب بعد احتلالهم للأغواط سنة 1852م، حيث يُقر بذلك الحاكم العام بالجزائر في تقريره المرُسَل إلى المارشال" فايون (Vaillant)" وزير الحربية، حيث يقول: "إنّ رفض الشروط من طرف بني ميزاب سيشكّل معوّقا كبيرا لعلاقاتهم التجارية، لأنهم مجبرون على المرور عبر الأغواط، وأخذ الإذن من قائدها، الأوامر التي أصدرُتها في هذا الشأن تهدف إلى حدّ من الاتجار بموادّنا المصنّعة، ومنع وصول المواد الغذائية القادمة من التلّ، والضروريّة جدّا بالنسبة لبني مزاب "[2].

---

(1) ناصر، بالحاج: « السيطرة الفرنسية على منطقة وادي مزاب فيما بين 1853م-1882م »،مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عبد الحميد مهري– قسنطينة، مج 6، ع1، جوان 2020، ص 354.

(2) نفسه، ص 354.

تم حسم الأمر في وادي ميزاب بين أعيان السكان وتم الاتفاق على عقد معاهدة مع السلطات الاستعمارية، وقد مثّل سكان وادي ميزاب وفد عن القرى السبع، أما الفرنسيّين فمثلهم "الرائد دوباراي (Du Barail)"،وتم توقيع المعاهدة يوم 29 أفريل 1853م بالاغواط، والتي تضمنت ما ما يلي: حفظ بلادهم، احترام معتقداتهم، صيانة عوائدهم، تتدخل أبدا في أمورهم الداخلية، تترك للمدن السبعة حرية تعيين فيما بينها القسط الذي تتحمله كل مدينة من الضريبة السنوية المقدرة ب 45ألف فرنك[1]، وان تلتزم وادي ميزاب بأن تغلق أبوابها، وتوصد أسواقها في وجه أعداء فرنسا، أما السلطة الفرنسية فإنها تقتصر على حفظ النظام العام ورعاية حقوق الفرنسيين بالمنطقة [2].

ت) احتلال ورقلة 1853م:

كانت ورقلة موقعا استراتيجيا للمقاوم"الشريف محمد بن عبد الله" وصديقه "بن شهرة"، وعليه فقد أخذ يعد العدة والعتاد، ويجمع الأتباع والأنصار، ويعمل على استمالة القبائل الموالية للسلطة الاستعمارية، وأصبح يهدد النفوذ الفرنسي بالمنطقة، خاصة وانه دخل في أول معركة مع القوات الفرنسية يوم 22 ماي 1852م بمنطقة متليلي.

أمام هذه التهديدات كان على السلطة الاستعمارية الإسراع لإخضاع منطقة ورقلة والسيطرة عليها قبل أن تتحول إلى قاعدة ثورية للمقاومة الشعبية، وعلى اثر ذلك قام الحاكم العام "راندو (Alexander Randon)" بتجهيز ثلاث فرق عسكرية؛ الأولى: قادمة من وهران بقيادة "الجنرال يوسف" والتي تمركزت بالجلفة، والثانية قادمة من معسكر بقيادة "بليسي (Péllissier)" والتي تمركزت بالبيض، والثالثة قادمة من المدية بقيادة "ماكماهو(Mc Mahon)" والتي تمركزت بالجنوب القسنطيني.

لم يكترث الشريف محمد بن عبد الله بهذه الإمدادات العسكرية، بل واصل هجوماته على الفرنسيين والموالين لهم وكبدهم خسائر كبيرة، الأمر الذي دفع بالسلطة الاستعمارية إلى الاستنجاد بمُعونيها في المنطقة وفي مقدمتهم "سي حمزة ولد بوبكر" الذي عينوه خليفة على المنطقة الممتدة

---

[1] Brahim, ben Youb: Histoire du M'zab Beni-Isguen, Imprimerie Schwab-Welling, Constantine, 1890, p11.

[2] فتيحة، يطو: « معاهدة الحماية بين وادي ميزاب وفرنسا حقيقتها وعلاقتها بنظام الإلحاق »، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية ، جامعة جيلالي ليابس – سيدي بلعباس ،ع01، 2009، ص ص 65- 68.

ما بين الجلفة والحدود المغربية كمكافأة له على اشتراكه في إخضاع منطقة الاغواط سنة 1852م، فانطلق مُدعما بقوات فرنسية قدرها 2000 فارس و200 من المشاة، وسار نحو واحة نقوسة، حيث اخضع في طريقة قصر متليلي إلى أن وصل نقوسة فأخضعها في 5 ديسمبر 1853م رفقة الفرق العسكرية الفرنسية التي لحقت به بقيادة ديريو (Durieu)، دوباراي(Du Barail) ونيكو(Niqueux) وبعدها إلى ورقلة لاحتلالها، حيث دخل في معارك طاحنة ضد الشريف محمد بن عبد الله في منطقة الرويسات بورقلة، والتي انتهت بانهزام هذا الأخير بتاريخ 27 جانفي 1854م، وسقوط ورقلة[1].

بعد سقوط مدينة ورقلة في يد القوات الفرنسية سنة 1854م، تحركتالقوات باتجاه منطقتي وادي ريغ ووادي سوف لاستكمال عملية الغزو الاستعماري، تاركة عملائها يحكمون المدينة، غير أن الوضع الأمني لم يستقر في ورقلة مما دفع بالقوات الفرنسية بالعودة إلى ورقلة سنة 1857م لاستتباب الأمن وفرض السيطرة من جديد[2].

ث) احتلال تقرت 1854م:

كان حاكم تقرت عام 1854م هو الشيخ سلمان الجلابي الذي رفض التعاون مع الفرنسيين، وفتح أبواب مدينته للمقاومين خاصة الشريف محمد بن عبد الله و بن ناصر بن شهرة، وكان تصرفه هذا عاملا قويا حفز الفرنسيين على الإسراع بإخضاع تقرت، وبالفعل توجهت إليها قوات عسكرية آتية من بوسعادة بقيادة العقيد "ديفو"، وقوات أخرىقادمة من الأغواط بقيادة " القائد جيري"،كما تعززت تلك القوات بكتائب وطوابير عسكرية بقيادة " بَانْ (Pein)" والثاني بقيادة "دوباراي"(Du Barail) والثالث بقيادة "مرمي"(Marmier)، والتحمت هذه القوات مع جيش سلمان والشريف محمد بن عبد الله، وجيش النجدة الذي قدم من وادي سوف تلبية لنداء سلمان، ووقعت المعركة في نواحي المقارين في المكان المعروف ببورخيص بتاريخ 29 نوفمبر1854م[3].

---

[1] رضوان، شافو: « الاحتلال الفرنسي لورقلة وضواحيها، قراءة في الدوافع والمراحل »، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المركز الجامعي بالوادي، ع02، ديسمبر 2011، ص 87.

[2] نفسه، ص87.

[3] علي، غنابزية: مجتمع واد سوف من الاحتلال الفرنسي إلى الثورة التحريرية الجزائرية 1300ه – 1374ه / 1882م- 1954م، تحت إشراف ا.د/ عمر بن خروف، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 2008-2009، ص 19.

انتهت المعركة بانتصار القوات الفرنسية، وفرار سلمان الجلابي والشريف محمد بن عبد الله إلى تقرت والاعتصام بها، وتعرضت هذه الأخير لحصار من طرف القوات الفرنسية، حيث غادرها الشيخ سلمان والشريف محمد بن عبد الله تقرتيوم 2 ديسمبر 1854م، لتسقط في يد القوات الفرنسية يوم 5 ديسمبر 1854م، وبسقوطها سَهل على القوات الفرنسية مواصلة زحفها نحو" وادي سوف".

ج) احتلال واد سوف 1854م:

بعد تمكن القوات الفرنسية من إسقاطإمارة بني جلاب بتقرت، ترك العقيد "ديفو" بعض قواته بتقرت للمحافظة على الأمن، وقاد بقية جيشه نحو وادي سوف بتاريخ 10 ديسمبر 1854م، وقضى سبعة أيام بضواحي الوادي في الصراع مع المدافعين؛ لما عجزت مقاومة السكان عن رد زحف القوات الفرنسية، مما مكن هذه الأخيرة من التقدم نحو منطقة "كوينين" ومنها انتقلت إلى مدينة الوادي لتحتلها يوم 14 ديسمبر 1854م[1].

ح) احتلال متليلي 1854م:

احتلال مدينة متليلي يدخل ضمن إستراتيجية التوسع التي انتهجتها فرنسا تجاه الجنوب الجزائري من جهة، ومن جهة أخرى كانت متليلي تمثل ملجأ للمقاومين والثائرين كالشريف محمد بن عبدالله الذي عسكر بها عام 1851م واتخذها قاعدة لإمداد المقاومة في الاغواط قبل احتلالها.

لكل تلك الأسباب رأى الحاكم العام للجزائرآنذاك راندو(Randon) بضرورة توجيه حملة عسكرية لتأديب سكان متليلي الشعانبة المساندين لثورة شريف محمد بن عبدالله؛ فانطلقت الحملة العسكرية بطابورين بقيادة النقيب دوريو (Durrieu) القائد العسكري للأغواط، يتكون الطابورين من طابور معسكر تحت قيادة الرائد نيكو (Niqueux) والذي انطلق من سعيدة ، والطابور الثاني تحت قيادة الرئد دوباراي (Du Barail) والذي انطلق من الاغواط، ووصلتالحملةإلىمدينة متليلي، ودخلتها دونمقاومة تذكر بتاريخ 20جانفي 1854م، ذلك راجع إلى تدخل سي حمزة بن بوبكر، وبالتالي أضحى شعانبة متليلي خاضعين للسلطةالاستعمارية، بعدها انسحبت الحملة من متليلي

---

[1] علي، غنابزية: مجتمع واد سوف ...، المرجع السابق، ص 19.

يوم 22 جانفي 1854م بعد أن دفع أهلها جزية رمزية[1].

خ) معاهدة غدامس مع طوارق الازجر1862م:

سعت فرنسا للبحث عن طرق جديدة للتجارة الفرنسية عبر الصحراء الكبرى، لذا سارعت السلطة الاستعمارية بالجزائر إلى محاولة كسب زعماء الطوارق، وذلك باستدعائهم إلى العاصمة وإلى باريس وربط الصداقة معهم؛ ونتيجة لذلك قَبِل بعض زعماء الطوارق إبرام معاهدة تجارية مع فرنسا خصوصا زعماء طوارق الازجر المنتشرين في صحراء طرابلس الغرب وبعض واحات الجنوب الجزائري، وعليه قامت السلطات الاستعمارية بتشكيل البعثة المراد إرسالها لإبرام المعاهدة التجارية، وقد ضمت هذه البعثة مجموعة من الأعضاء البارزين، لعل أبرزهم:

- هيببولي ميرشير (Hippolyte Mircher) قائد سرية الأركان، مرافق جنرال الفرقة العسكرية.
- دي مارتيمراي (De Martimprey) نائب حاكم العام .
- دي بولينياك (De Polignac) نقيب الأركان، منتدب بالمكتب السياسي للشؤون العربية.
- دي فاتون (De Vatonne) طبيب عسكري.
- إسماعيل بوضربة، مترجم عسكري.

انطلقت البعثة من العاصمة الجزائر عن طريق البحر، متوجهة إلى ميناء طرابلس يوم 28 سبتمبر 1862م، وبعد أيام اتجهت نحو غدامس يوم 04 أكتوبر، ووصلتها يوم 21 أكتوبر، حيث اجتمعت البعثة مع الوفد التارقي المكون من: الحاج "جابور" رئيس قبيلة آمانغازاتن، والشيخ "عثمان المرابط" الزعيم الديني لتيماسينين لقبيلة ايفوغاس، وعمار الحاج أخ ايخنوخن ونائبا عنه، وبعد محادثات طويلة، تم توقيع الاتفاقية بتاريخ 22 نوفمبر1862م، حررت هذه الاتفاقية باللغتين الفرنسية والعربية في ست صفحات رسمية مضافا إليها أربعة مواد إضافية، تمحورت حول[2]:

1- إقرار الصداقة والتبادل بين السلطات الفرنسية ورؤساء مختلف قبائل الطوارق.

2- يمكن للطوارق أن يمارسوا العمل التجاري في كل أسواق الجزائر دون قيد أو شرط ما عدا أداء

---

[1] لكحل، الشيخ : مقاومة منطقة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي في الفترة مابين1851م-1908م، تحت إشراف د/ محمد الزين، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي ليابس- سيدي بلعباس، السنة الجامعية، 2017-2018، ص ص 96- 97.

[2] إبراهيم، مياسي: الاحتلال الفرنسي ...، المرجع السابق، ص 415.

المكوس العادية.

3- يلتزم الطوارق بتسهيل وحماية عبور المفاوضين الفرنسيين لبلادهم ذهابا وإيابا إلى بلاد السودان، وحماية بضائعهم التجارية على أن يدفعوا المكوس العادية.

4- تلتزم السلطات الفرنسية وزعماء الطوارق بفتح طرق التجارة للفرنسيين إلى السودان وإصلاحها وتحديدها، وتحديد المكوس وضبطها وإصلاح الآبار وإزالة كل العراقيل في وجه نشاط التجار الفرنسيين [1].

أما البنود الإضافية الملحقة فتحتوي على:

1-بموجب التقاليد القديمة المنظمة للعلاقات التجارية بين دول شمال إفريقيا ومختلف قبائل الطوارق، تبقى قبيلة اخنوخن مكلفة بضمان المرور لقوافل الفرنسيين التجارية عبر بلاد أزجر وتستمر العلاقات القائمة اليوم كما هي بين عائلات أزجر، الشعانبة والسوافة.

2- من أجل الضمانات الأمنية، تدفع القوافل التجارية الذاهبة إلى السودان، ضريبة إلى اخنوخن أو وكلائه، أو ورثته على أن تحدد قيمتها فيما بعد.

3- تسوى الخلافات التي قد تنشب بين الطرفين بالود والإنصاف من طرف الشيخ أو ممثليه بمقتضى العادات المعروفة في البلد.

4- يلتزم الشيخ اخنوخن والزعماء السياسيون الآخرون لطوارق أزجر بربط علاقة جيدة مع طوارق قبيلة كيل اوي من أجل تهيئة الظروف الحسنة للمفاوضين الفرنسيين لكي يمروا في سلام بقوافلهم عبر بلاد آيير [2].

نلاحظ من خلال هذه الاتفاقية، أن لقبائل طوارق الأزجر نفوذ واسع في الصحراء الكبرى، وذلك راجع لقدرتها على فرض سيطرتها على الطرق التجارية الصحرواية، والتحكم بها لتأمين الحركة التجارية بين فرنسا وبلاد السودان، كما نلاحظ أيضا أن فرنسا تعترف بسيادة امنوكال (الحاكم) أزجر على أراضيه وكل الحقوق التي تعود إليه من ضرائب الحماية والتجارة، لكن هذه الاتفاقية لم تكن سوى هدنة مؤقتة بالنسبة للسلطة الاستعمارية، فالهدف كان العبور إلى بلاد

---

(1) Hippolyte, Mircher: Op.cit. pp 16- 21.
(2) Ibid. pp 22- 25.

السودان وجمع أقصى ما يمكن من المعلومات حول المنطقة كما يبدو ذلك في البند الثالث من الاتفاقية، الذي ينص على التزام الطوارق بحماية الذين يأتون بصفة مفاوضين في أراضيهم، أي لابد من استغلال الدور المهم الذي يلعبه الطوارق كوسيط بين الجنوب الجزائري وبلاد السودان[1].

د) احتلال تيدليكت 1899م- 1900م:

تهيأت السلطة الاستعمارية لاحتلال منطقة تيدليكت، عبر إرسالها بعثة علمية استكشافية بقيادة فلامون (Flamen)، حيث انطلقت البعثة من ورقلة إلى عين صالح عاصمة منطقة تيديكلت ووصلتها يوم 04 نوفمبر1899م، ورافقت البعثة حملة عسكرية بقيادة النقيب بان (Pein)رئيس المكتب العربي بورقلة، كما أعطيت أوامر لفرقة الصباحية الصحراوية التي كانت بقيادة النقيب جرمان (Germain)، بالالتحاق بالبعثة والتدخل وقت الضرورة [2].

أدرك سكان عين صالح أنها حملة عسكرية وليست بعثة علمية فاستعدوا للمقاومة، وبعد اشتباكات دامية تمكنت القوات الفرنسية من التغلب على المقاومين في معركة إيقسطن، وتتمكن القوات الفرنسية من دخول المدينة يوم 30 ديسمبر 1899م؛ لتجددت المناوشات من جديد بين القوات الفرنسية وسكان المدينة يوم 04 جانفي 1900م قرب قصر الدغامشة، التي انتهت بهزيمة المقاومين والسيطرة التامة على عين صالح، حيث فرض على سكانها دفع ضريبة مقدارها 09 آلاف فرنك فرنسي، المساهمة في بناء تحصينات للقوات الفرنسية، وبذلك أصبح الطريق ممهدا لاحتلال إقليم توات[3].

ذ) احتلال توات 1900 م:

كان لانتصار القوات الفرنسية في معركة الدغامشة يوم 04 جانفي 1900م فاتحة لدخولهم إلى منطقة توات حيث انطلق الجنرال" سرفيار" إلى رقان آخر واحة في أقصى جنوب توات يوم3 جويلية 1900م، وبعدها انطلق شمالا عبر واحات المنطقة إلى مدينة أدرار عاصمة الإقليم

---

[1] مرموري، أحمد: التوراق بين السلطة التقليدية والإدارة الاستعمارية في بداية القرن العشرين، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010، ص 163.

[2] إبراهيم، مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي ...، المرجع السابق، ص ص 108- 109.

[3] نفسه، ص ص 109- 110.

ليحتلها سنة 1901م[1].

ر) احتلال الهقار 1902م:

نظرا لأهمية أراضي الطوارق التي كانت تمثل نقطة عبور القوافل التجارية نحو بلاد السودان، حاول الطوارق المحافظة عليها، وذلك بطرد وإبعاد وصدّ كل غريب وطئت أقدامه أراضيهم، وهذا ما حدث مع القائد فلاتزر الذي تم قتله سنة 1881م.

بعد تمكن السلطة الاستعمارية من السيطرة على مناطق مثل: تيديكلت، قورارة، وإقليم توات، في الفترة الممتدة من سنة 1900م إلى غاية سنة 1902م، عينت الإدارة الفرنسية الضابط "لابرين" على رأس القيادة العسكرية التي استحدثت لإدارة الجنوب سنة 1902م، وقد عمل لابرين على جعل منطقة عين صالح قاعدة لقيادة عملياته العسكرية، لتبدأ عمليات التوغل نحو ارضي طوارق الهقار بداية من سنة 1902م، حيث أرسل القائد كوفي (capitaine Cauvet) فيلقا عسكريا تحت قيادة كوتينست (Lieutenant Cottenest) لملاحقة فرقة من طوارق الهقار قامت بغزو قافلة تابعة لعرب تيدكليت فانتصر عليهم في منطقة تيط سنة 1902م، حيث كلفت هذه المعركة الطوارق خسائر كبيرة، إذ بعد المعركة لم يبقى لهم سوى حلان: الحل الأول الخضوع والحل الثاني مواصلة الحرب؛ بعد معركة تيط توالت القبائل التارقية في طلب الصلح والأمان من السلطات الفرنسية، وبمساعدة أمنوكال (الحاكم) الهقار"موسى أق أمستانِ" تم توقيع معاهدة صلح بعين صالح عام 1904م، ومعاهدة صلح بتمنراست عام 1905م، فبمقتضى المعاهدتين أصبحت بلاد طوارق الهقار خاضعة للسلطة الاستعمارية [2].

ز) احتلال بشار 1903م:

كان حلول الطلائع الأولى للقوات الاستعمارية في بشار مع بداية النصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي؛ فبتاريخ11 يناير 1855م وصل النقيب الفرنسي دو كولمب (De Colomb) حيث اشتبك مع سكانها، ليعيد المحاولة في 18 مارس1857م، لكنها باء بالفشل، مما دفع بالسلطة الاستعمارية إلى إرسال حملة عسكرية أخرى بقيادة الجنرال "ومب فن (Wimpffen)"

---

[1] إبراهيم، مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي ...، المرجع السابق، ص ص 114- 117.

[2] نفسه، ص ص 517- 534.

التي استهدفت احتلال قصر بوكايس الواقع شمال بشار فاستولت عليه يوم 8 أفريل 1870م، وبعد يومين وصلت القوات الاستعمارية للقنادسة ثم إلى وادي قير لتشتبك مع سكانها في معركة العبادلة يوم 14 أفريل 1870م التي انتهت بهزيمة القوات الفرنسية؛ بتعيين الجنرال ليوتي حاكما على إقليم عين الصفراء سنة 1903م، كلف بتتبع فلول مقاومة الشيخ بوعمامة بمنطقة بشار، مثل قبائل ذوي منيع وأولاد جرير، وتم له احتلال قصر بشار سنة 1903م ليغير اسمه إلى اسم بشار كولومب [1].

س) احتلال الساورة 1903م:

عين السيد شارل جونار(Charles Jonnart) حاكما عاما على الجزائر للمرة الثانية سنة 1903م، فسارع إلى استكمال مشروع التوسع الاستعماري في الجنوب، وذلك عن طريق قيادته لقوات عسكرية في منطقة الساورة، فتعرض لهجوم سكانها المعروفين "بزناقة"، حيث كان رد قوات الفرنسية، هو القصف المدفعي للواحة يوم 04 جوان 1903م، مما اضطر السكان إلى طلب الأمان من الحكومة الفرنسية فمنحتهم إياه [2].

2) المقاومات الشعبية 1852م- 1914م:

شكل الجنوب الجزائري هو الأخر ميدانا للثورات الشعبية، وحلقة من حلقات المقاومة الجزائرية منذ نزول الحملة الفرنسية سنة 1830م،حيث عرف الجنوب ثورات متعددة، منها الثوراتذات النطاق الجغرافي والزمني الضيق كثورة الزعاطشة 1849م، وثورات أخرى شاسعة النطاق الجغرافي والزمني كثورة الشيخ بوعمامة 1881م– 1908م، فرغم فشل كل هذه الثورات إلا أنها عبرت عن الرفض القاطع للوجود الاستعماري، وساهمت في إبطاء سياسة التوسع العسكري الفرنسي في الجنوب حتى مطلع القرن العشرين.

أ) مساندة بن ناصر بن شهرة للثورات الشعبية 1851م– 1875م:

ينتمي بن ناصر بن شهرة إلى قبيلة الأرباع بنواحي الاغواط، أعلن ثورته عام

---

[1] محمد، برشان: الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في منطقة بشار 1903م-1962م، تحت إشراف ا.د/ بن نعيمة عبد المجيد، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، السنة الجامعية، 2012-2013، ص ص 53- 60.

[2] إبراهيم، مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي...، المرجع السابق، ص 118.

1851م،وتحالف مع الشريف محمد بن عبد الله، واتخذ مدينة الاغواط وورقلة مركزا لقيادة الثورة،إلى أن سقطت المدينتين على التوالي: مدينة الاغواط سنة 1852م ومدينة ورقلة سنة 1853م؛ فالتجأ إلى تونس ليعود بعدها إلى وادي سوف، ويشارك في معركة مقارين مع الشريف محمد بن عبد الله في نوفمبر 1854م، والتي على إثرها احتلت القوات الفرنسية وادي سوف سنة 1854م، بعد الهزيمة انسحب إلى تونس[1].

باندلاع ثورة أولاد سيدي الشيخ عام 1864م، عاد إلى الجزائر وشارك فيها، لينضم بعدها إلى ثورة بوشوشة عام 1869م، وكذا ثورة المقراني عام 1871م، وبعد فشل كل هذه الثورات التجاء إلى تونس، واخذ منها يناوش القوات الفرنسية إلى أن أرغمه باي تونس على الرحيل، فغادرها إلى بيروت ومنها إلى دمشق التي استقر بها حتى وافته المنية[2].

ب) مشاركة الشريف محمد بن عبد الله في الثورات الشعبية1851م– 1895م:

انطلقت هذه الثورة من ورقلة عام 1851م، بقيادة الشريف محمد بن عبد الله الذي ينحدر منأولاد سيدي أحمد بن يوسف فرع قبيلة الغسول المستقرين بعين تموشنت؛ امتدت ثورته لتشمل تقرت، وادي ميزاب،جبال العمور، أولاد نايل، مما دفع السلطات الفرنسية إلي حشد قوات كبيرة لقمع الثورة، وتجنيد القبائل الموالية لها كأولاد سيدي الشيخ، مما أسفر عن سقوط مدينة الاغواط سنة 1852م، وهزيمة الشريف محمد بن عبد الله في معركة واحة نقوسة بورقلة سنة 1853م، ليلتجأ بعدها إلى تونس.

عادالشريف محمد بن عبد الله إلى الجزائر في سبتمبر 1854م، ليستأنف ثورته بمنطقتي ورقلة وتقرت، لكنه هزم في معركة مقارين سنة 1854م، فانسحب إلى تونس تحت وطأة المطاردة، ثم عادة مرة أخرى إلى الجزائر عام 1858م، لكن أسر سنة 1861 على يد الباشاغا "سي بوبكر ولد حمزة "، فسلمه إلى السلطات الفرنسية ليوضع تحت الإقامة الجبرية في عنابة، بعدها تمكن من الفرار وانضم إلى ثورة أولاد سيدي الشيخ عام 1864م، ثم ثورة المقراني عام 1871م، ثم بعد فشل تلك الثورات فر إلى تونس، وواصل نشاطه الثوري المتقطع ضد القوات

---

[1] بشير، بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر من 1830 إلى 1989، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 132.

[2] نفسه، ص 132.

الفرنسية،في كل من تونس، وطرابلس الغرب (ليبيا)، إلى أن توفي سنة 1895م[1].

ت) مقاومتي أولاد سيدي الشيخ الأولى والثانية بالجنوب الوهراني 1864م – 1908م:

- الأولى: 1864م– 1881م:

منذ سنة 1840م أدركت الإدارة الاستعمارية مكانة أولاد سيدي الشيخ بفرعيها الشرقي والغربي من خلال التقارير التي كانت تردها من المكاتب العربية العسكرية في المناطق الشمالية الغربية، لذا حرصت السلطة الاستعمارية على إتباع سياسة تهدف إلى احتوائها بادئ الأمر– سنتطرق إلى هذا الموضوع في العنصر الموالي المعنون بعنوان المكاتب العربية بالجنوب–، ثم إضعاف قبيلة أولاد سيدي الشيخ بتشتيتها وضرب مواردها الاقتصادية، نتيجة اتساع نفوذها السياسي والديني في مناطق شتى من الجنوب الوهراني، إلى جانب الاحترام الذي حظيت به زاويتها بين القبائل الجنوب، وتَجسد تنفيذ السلطات الاستعمارية لهذه السياسة بداية بإبرام معاهدة "لالة مغنية" عام 1845م مع المغرب والتي اعترف فيها الطرفان بمسألة الحدود التي كانت قائمة بني البلدين قبيل الاحتلال، وحددا القبائل التي ستخضع لكل جانب[2]، وكان من نتائج هذه المعاهدة أن أضحت قبيلة أولاد سيدي الشيخ مقسمة على النحو الأتي:

الفرع الغربي: أولاد سيدي الشيخ الغرابة بقيادة سيدي الشيخ بن الطيب تحت حكم سلطان المغرب الأقصى.

الفرع الشرقي: أولاد سيدي الشيخ الشراقةبقيادة سي بوبكر الصغير وابنه حمزة، تحت حكم السلطة الاستعمارية بالجزائر.

إضافة إلى ذلك عمدت السلطات الفرنسية إلى الحد من النفوذ السياسي والديني لفرع أولاد سيدي الشيخ الشراقة باستعمال وسائل مختلفة منها:

11) تصفية شيوخ القبيلة، فعلى سبيل المثال لا الحصر: موت سي حمزة مسموماً بالجزائر العاصمة وهو تحت مسؤولية وحماية الفرنسيين بتاريخ 15 أوت سنة1861م، حيث ادعت

---

(1) بشير، بلاح: المرجع السابق، ص ص 129- 130.

(2) إبراهيم، مياسي: من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص ص 140-142.

السلطات الفرنسية بأنه مات بمرض الكوليرا، أو انه مات مسموماً من قبل زوجته المسماة "التالية بنت رابح".

2) اعتماد أسلوب الإذلال والإهانة تجاه زعماء القبيلة، كما حدث لسي بوبكر بن حمزة الذي منحته السلطات الفرنسية لقب باشاغا بدلاً من لقب الخليفة الذي كان يحمله والده قبل وفاته، وكذلك سي سليمان بن قدور الذي لم يمنحهوالآخرلقبباشاآغا[1].

3) الانتقاص من قيمة قبيلة أولاد سيدي الشيخ، حيث حرصت السلطات الفرنسية على تحطيم نفوذها السياسي والاجتماعي وتجاهل شخصية زعيمهم الباشآغا سليمان، وعزل سي الزبير عن آغوية ورقلة وتعويضه بأخيه سي لعلا، وكانت تهدف إلى ضرب أفراد الأسرة الواحدة من جهة وسحب آغوية ورقلة من دائرة نفوذهم، وربطها بمقاطعة قسنطينة من جهة أخرى، إلى جانب تعيين بعض القياد الجدد من القبائل المستقرة بضواحي البيض من طرف السلطات الاستعمارية دون الرجوع لاستشارة سي سليمان مما أثار حفيظته [2].

السبب المباشر للثورة هو الحادث الذي حصل يوم 29 يناير 1864م، حينما اجتمع عدد من أفراد عائلة أولاد سيدي الشيخ في ساحة مدينة البيض وكان معهم سي الفضيل كاتب الباشا آغا سي سليمان، وأخذوا يلعبون لعبة الهف وهي تشبه لعبة الشطرنج، فوقعت مشاجرة بين الصبايحي والسي الفضيل مما دفع إلى تدخل كل الصبايحية الذين كانوا معه، واقتادوه إلى مركز المكتب العربي أين تعرض للضرب.

لما علم سي سليمان بما جرى، أعتبر تلك إهانة له، فاستقال من منصب الباشاغا وسلك طريقاً مخالفاً لأبيه سي حمزة الذي كان متعاونا مع السلطة الاستعمارية، فعقد سي سليمان بن حمزة مجلساً حربياً أعلن فيه الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي، وكلف سي الفضيل بكتابة رسائل إلى الزوايا والقبائل والعروش يحثهم فيها على الجهاد، وهكذا انضمت إليه القبائل في كل مكان من الوطن: فروع قبائل أولاد سيدي الشيخ، أغواط اكسال، رزقيب، قرار، أولاد ميمون، أولاد زياد، أولاد

---

[1] إبراهيم، مياسي: من قضايا...، المرجع السابق، ص.ص 140، 143.

[2] نفسه، ص 143.

سرور، طرافي، مخادمة، بني إبراهيم، شعانبة متليلي، ورقلة، أولاد زايد، أولاد يحيى من المنيعة، حميان، ورزاينة من مشرية، أولاد يعقوب من آفلو، الحساسنة وأولاد خالد من سعيدة، أولاد بلغيات، البكاكرة من سيدي بلعباس، العبادلة من حمام بوحجر، ... [1].

أهم المعارك التي خاضها أولاد سيدي الشيخ: معركة عوينة بوبكر 08 أفريل 1864م، معركة قارة سيدي الشيخ عام 1865عم، معركة ماقورة 17 أفريل 1871م، وتمكنت السلطات الاستعمارية من قمعها نتيجة لتضافر عدة عوامل أهمها: انقسام قادتها واستسلام بعضهم، وانحياز عدد كبير من الخونة ضمن القبائل المنضوية تحت لواء الثورة إلى جانب السلطات الاستعمارية مما عجل في القضاء عليها [2].

- الثانية: مقاومة الشيخ محمد بن العربي بن حرمة (بوعمامة) 1881م-1908م:

تعتبر مقاومة الشيخ بوعمامة من أطول المقاومات الشعبية بالجنوب الجزائري التي واجهت الاستعمار الفرنسي، بحكم طول فترتها الزمنية المتمثلة في حوالي ربع قرن، بداية من عام 1881م إلى غاية عام 1908م، وقد عرفت الثورة بعدة عدة مسميات لدى المؤرخين الفرنسيين فتارة يطلق عليها اسم انتفاضة الجنوب الوهراني وتارة أخرى يطلق عليها اسم انتفاضة بوعمامة، كما نعتت بحركة 1881م، كما يتفق أغلب المؤرخين الجزائريين على اعتبار ثورة الشيخ بوعمامة هي امتداد لثورة أولاد سيدي الشيخ [3].

من الأسباب التي أدى إلى قيامها هو تضافر عدة عوامل من بينها: سياسة التوغل العسكري الفرنسي نحو الجنوب الذي وصل إلى مشارف قبيلة أولاد سيدي الشيخ الغرابة، إلى جانب القلائق التي زرعتها السلطة الاستعمارية من أجل تفرقة أفراد كلا قبيلتين أولاد سيدي الشيخ الشراقة والغرابة، كما أن فشل البعثة الرسمية لدراسة مشروع مد الخط الحديدي عبر الصحراء (Transsaharien) في الجنوب الوهراني سنة 1879م، أجبر البعثة على العودة بعدما تعرض

---

(1) يحي، بوعزيز: « أضواء على ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864م- 1881م »، مجلة الثقافة، وزارة الإعلام والثقافة- الجزائر، ع51، جوان 1979، ص ص 31- 45.

(2) نفسه، ص ص 46- 50.

(3) إبراهيم مياسي: « ثورة الشيخ بوعمامة 1881م-1908 »، حوليات جامعة الجزائر، جامعة الجزائر، ع02، 1986، ص 299.

لها سكان قرية تيوت، مما دفع بالحكومة الاستعمارية إلى إقامة مركز عسكري للمراقبة في قصر تيوت، الذي هو بجانب منطقة المغرار التحتاني مقر زاوية بوعمامة الذي أدى إلى زيادة القلق عند الشيخ بوعمامة والقبائل المستقرة بالمنطقة، يضاف إلى ذلك رحيل اغلب القوات الفرنسية من عمالة وهران إلى تونس سنة1881م لاحتلالها، مما أعطى ذلك دافعاً قويا للقيام بالثورة [1].

السبب المباشر لاندلاع المقاومة، هو مقتل الضابط الفرنسي وينبرير (Weinbrenner) يوم 22 أفريل 1881م مع أربعة من الصبايحية من حراسه، حينما حاول إيقاف نشاط الشيخ بوعمامة الثوري لدى قبائل المنطقة، بمحاولته اعتقال مبعوثيه لدى قبيلة الجرامنة وهما: "مرزوق السروري" و" الطيب بن الجرماني".

ما يميز مقاومة بوعمامة أنها تُعد من أعنف المقاومات التي ظهر في القرن التاسع عشر بعد مقاومة الأمير عبد القادر وأطولها، وتميزت بمرحلتين مرحلة الطابع الكفاحي من 1881م– 1883م، ومرحلة الطابع السياسي 1883م– 1908م، لكنها لم تحقق أهدافها لأنها واجهت عقبات منها: عدم اتحاد فرعي أولاد سيدي الشيخ وضغوط السلطان المغربي عبد العزيز [2].

ث) مقاومة محمد ولد علي بمنطقة النعامة 1881م– 1900م:

شهدت منطقة النعامة في جبل بني سمير ثورة بقيادة الشيخ "محمد ولد علي" من قبيلة أولاد عبد الله، على الحدود الجزائرية المغربية عام 1881م، وحتى وإن لم تكن بصدى مقاومة بوعمامة إلا أنها ضايقت السلطات الاستعمارية، فانتفاضة منطقة بني سمير وضعت فرنسا في مأزقين وهما:

– **المأزق الأول:** أن خط السكك الحديدية يمر على حواف جبل بني سمير، مما يهدد البعد الاستراتجي في توسيع النفوذ العسكري باتجاه الجنوب.

– **المأزق الثاني:** كون منطقة بني سمير منطقة حدودية الأمر الذي وضع فرنسا في موقع حرج تجاه السلطة المغربية، إن هي أقدمت على أي رد عسكري يعكر الصفوة بينهما.

---

[1] إبراهيم مياسي: « ثورة الشيخ ...، المرجع السابق، ص ص 299- 302.

[2] لمزيد من التفاصيل حول ثورة الشيخ بوعمامة، ينظر: عبد القادر، خليفي: المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص ص 65- 175.

هذه المعطيات جعلت القيادة العسكرية في العاصمة الجزائر تعمل على وضع حد لهذه الثورة قبل انتشارها، فبدأت بتكثيف العمليات والدوريات العسكرية على الجنوب الوهراني، بحيث قام الجنرال ريزبورغ (Risboug) قائد القطاع العسكري الوهراني بتوجيه برقية طارئة إلى القيادة العسكرية العليا والحاكم العام في الجزائر، يشرح فيها تدهور الوضع الأمني في الجنوب الوهراني حيث يقول:" إن مراكزنا تتعرض باستمرار، لهجوم الأشرار، وفي الأيام الأخيرة فقط كانت جنين بورزق هدفاً لهم... وأصبح من المحتم ملاحقة أماكن تمركزهم" [1].

بناء على التقرير وردت برقية مستعجلة من القيادة العسكرية العامة بالعاصمة، تحمل تعليمات باتخاذ إجراءات ردعية للحد من تفاقم المشكلة الأمنية في الجنوب الوهراني خصوصا منطقة عين الصفراء، وتنفيذا لتلك التعليمات أرسل الكولونيل بيلي (Bellet) قائد إقليم عين الصفراء العسكري ببرقية مماثلة إلى الجنرال ريزبورغ (Risbourg) تحمل في مضمونها خطة عسكرية تهدف إلى القضاء على تلك الثورة، مقترحاً انضمام كل من: الضابط بورتمان(Portman) الملازم الأول بريو (Beriru)، الضابط مارتن(Martin)، الضابط روزي(Ruse) والمترجم بروسار (Brosard)

حدد موعد انطلاق العملية العسكرية في أكتوبر 1900م على الساعة الرابعة والنصف صباحاً، فزحفت القوات الاستعمارية في الفاتح أكتوبر سنة 1900م من كل الجبهات بناءاً على المعلومات الإستخباراتية، لتطويق ومحاصرة محمد ولد علي وأتباعه، فانطلاقا من عين الصفراء قاد العقيد بيلي (Billet) فرقة من المشُاة متألفة من 200 جندي، وانطلق الملازم الأول بريو (Briau) من بني ونيف لاحتلال جنوب جبل بني سمير لمنع هروب الثوار، أما الملازم الأول مارتن(Martin) فتوجه بفرقته العسكرية من منطقة بن يخو الواقعة بين سفيسيفية والجنين بورزق في اتجاه معقل الثورقب جبل بني سمير، ودامت المعركة ليومين كاملين انتهت بسيطرة القوات الفرنسية على جبل بني سمير بتاريخ 03 أكتوبر 1900م [2].

---

[1] فطيمة الزهراء، حوتية : السياسة الفرنسية في الجنوب الغربي الجزائري وردود فعل الثورة التحريرية 1954م-1962م، تحت إشراف.د/ نظيرة شتوان ،أطروحة دكتوراه ل.م.د تخصص تاريخ الثورة التحريرية، جامعة جيلالي بونعامة- خميس مليانة، السنة الجامعية، 2016- 2017، ص 27.

[2] سعد، عبد المنعم: من تاريخ كفاح الجزائر، حروب قطاع وهران - العين الصفراء، المقاومة الشعبية 1830م- 1934م، ج1، دار القدس العربي، وهران، 2013، ص ص127- 132.

ج) محمد بن التومي بن إبراهيم (بوشوشة) 1869م– 1874م:

محمد بن التومي بن إبراهيم المدعو بوشوشة (الفارس)، ولد بقرية الغيشة بجبل عمور [1]، بدأ ثورتة عام 1869م عندما اتصل بن ناصر بن شهرة، وشرعا معا في توحيد الجهود، حيث تمكنا ما بين عامي 1870م– 1871م أن يهيمنا معا على مناطق عدة من الجنوب، فمع بداية عام 1870م حَرر بوشوشة المنيعة وعين صالح، وواصل تحركاته في ضواحي متليلي وورقلة، تقرت ووادي سوف، خاصة بعد انطلاق ثورة المقراني التي ارتبطت بمقاومة الجنوب ارتباطا وثيقا، حيث تمكن من تحرير تقرت وورقلة في 5 مارس 1871م، وعَين على ورقلة بن ناصر بن شهرة أغا [2].

نهاية سنة 1871م وبداية سنة 1872م، دخلت مقاومة الشريف بوشوشة مرحلة التقهقر والانكسار، حيث تمكنت القوات الفرنسية وأعوانها من إفتكاك مدينة تقرت بتاريخ 27 ديسمبر 1871 م، ومدينة ورقلة في معركة حاسمة بقيادة الجنرال دولاكروا بتاريخ 02 جانفي 1872م، مما جعله يواصل مقاومته ناحية عين صالح، منطقة كرزاز، قورارة وتوات عام 1873م، مما أدي بالقوات الفرنسية إلى مطاردته بقيادة الجنرال دولاكروا، إلى أن وقع أسيرا بعد معركة عين صالح يوم 13 مارس 1874م، أُخذ بعدها إلى سجن ورقلة بتاريخ 31 مارس 1874م، وتم نقله إلى سجن الأغواط، لينقل بعدها إلى قسنطينة أين حوكم هناك أمام مجلس عسكري، وصدر في حقه حكم الإعدام يوم 19 مارس 1875م، واعدم يوم 29 جوان 1875م[3].

ح) انتفاضة واحة العامري ببسكرة 1876م:

تعددت أسباب اندلاع انتفاضة واحة العامري، إلا أنها لم تختلف كثيرا عن المقاومات الأخرى التي قامت منذ أن نزلت الحملة الفرنسية بالجزائر سنة 1830م، بحيث أن جلها قام من أجل هدف واحد هو رفض الوجود الفرنسي وسياساته.

---

(1) صالح، فركوس: تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي، المقاومة المسلحة 1830م- 1962م، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2012، ص 235.

(2) علي، غنابزية : « المقاومة الشعبية بواد سوف وأثرها على العلاقات مع الجنوب التونسي 1854م- 1882م »، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بالوادي، ع04، يونيو 2010، ص ص 11- 12.

(3) صالح، فركوس: تاريخ جهاد الأمة...، المرجع السابق، ص 235.

قائد هذه الثورة هو الشيخ محمد يحي بن محمد، وهو شيخ لأولاد إدريس من أولاد بوزيد؛ شغل منصب كاتب للقائد بولخراص بن قانة، كان يلاحظ تجاوزات عائلة بن قانة في واحة العامري، المتمثلة في سياسة التجويع والتعذيب والقتل، كقتل شيخ مسعود بن يحي– الأخ الكبير لمحمد يحي قائد الثورة– الذي كان قاضيا بمدينة بسكرة، حيث وجهت أصابع الاتهام بقتله إلى الشيخ محمد الصغير بن قانة [1].

نتيجة لذلك أعلن الشيخ محمد بن يحي الثورة ضد الفرنسيين، حيث ما إن وصلت أنباء الثورة إلى مسامع السلطة الاستعمارية، حتى أعطت الأوامر للقوات الفرنسية بفرض حصار على الواحة في انتظار وصول الإمدادات العسكرية، امتد الحصار من 12 أفريل إلى غاية 28 افريل 1876م، مما دفع بسكان الواحة إلى الاستسلام في 01 ماي 1876م، حيث فرض على السكان غرامات مالية ضخمة، وتم تهجيرهم إلى مختلف مناطق القطر الجزائري، كما سويت المباني بالأرض وعرضت الواحة للبيع في المزاد العلني[2].

خ) مساندة شعانبة متليلي للمقاومات 1851م– 1908م:

انخرط شعانبة متليلي في جميع ثورات التي قامت بالجنوب، بداء بمقاومة الشريف محمد بن عبد الله 1851م–1861م، ومرورا بثورة أولاد سيدي الشيخ 1864م– 1881م وثورة محمد التومي بوشوشة 1869م– 1875م، ووصولا إلى ثورة الشيخ بوعمامة 1881م– 1904م، وذلك راجع إلى الدور الذي لعبه شيوخ المسجد العتيق بمتليلي بحثهم السكان على الانضمام لتلك الثورات الشعبية، و قيام أعيان منطقة متليلي بحشد المتطوعين لدعم الثورات، فعلى سبيل المثال لا الحصر: مساندة الشيخ بوعمامة في مقاومته بعد أن طلب الدعم والمساعدة من سكان متليلي من خلال رسالته المؤرخة في 28 ماي 1881م، فأسرع شعانبة متليلي لتلبية طلبه تحت قيادة مولاي إبراهيم قدور بن عمار [3].

---

(1) يحي، بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20م، ج1 ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009، ص ص 275- 279.
(2) نفسه، ص ص 279- 284.
(3) لمزيد من التفاصيل حول مقاومة الشعانبة ينظر: لكحل، الشيخ : المرجع السابق، ص ص 100- 219.

د) مقاومة طوارق الهقار1881م– 1914م:

بدأت أولى الاتصالات بين فرنسا والطوارق من خلال البعثات الاستكشافية التي كان ظاهرها خدمة البحوث العلمية، وباطنها التجسس على مقدرات المنطقة البشرية والعسكرية، وقد توجت هذه الاتصالات بإبرام معاهدة غدامس بين فرنسا وزعيم الطوارق "الشيخ إيخنوخن" في 22 نوفمبر 1862، والتي يلتزم فيها الطرفان بفتح طرق التجارة للفرنسيين إلى بلاد السودان، ومنذ ذلك التاريخ بدأت السلطة الاستعمارية في وضع مخططات للتوغل في بلاد الطوارق بالطرق السلمية دون إظهار النوايا الخفية للاستعمار[1].

فمخططات السلطة الاستعمارية، ما فتئت أن اكتشفها الطوارق مع مجيء أول فرقة عسكرية بقيادة المقدم فلاتزر(Flatters) سنة 1880م إلى منطقة الهقار، كان هدف حملة فلاتزر القيام بعملية استكشاف لمد طريق من الجزائر إلى النيجر ثم إلى تشاد؛ إلا أن إصرار المقدم فلاتزرعلى اصطحاب فرقة عسكرية ترافق أعضاء البعثة، أثار شكوك وريبة قبائل طوارق الهقار، ولما تأكدوا من أهدافها الحقيقية تقرر الهجوم عليها، وبالفعل كانت نهاية الحملة في بئر الغرامة عام 1881م، إذ تعرضت لكمين نصبه فرسان طوارق الهقار، على اثره ستة وثلاثون جنديا من بينهم فلاتزر، والملازم الأول " دِيانو" قائد القوة العسكرية، ولم ينج من هذا المصير إلا عدد يسير من الذين كتبت لهم النجاة؛ كانت هذه الواقعة بداية استفحال ظاهرة السخط والعداء لكل ما هو أوربي عامة والفرنسي بخاصة، إذ شهدت بلاد الطوارق سلسلة من الاغتيالات للأوربيين في الصحراء وتضاعفت كمائن الطوارق لكل المحاولات الفرنسية لاختراق الصحراء ومسالكها، وضلت السلطة الفرنسية تخشى المرور عبر أراضي الطوارق [2].

لم يحالفها الحظ إلا عندما حل الراهب " شارل دو فوكو" بمنطقة الهقار، والذي مهد من خلال الدور التجسسي الذي لعبه في إرسال معلومات جد هامة عن أوضاع المنطقة اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا، كانت عونا للمصالح العسكرية الفرنسية في وضع مشاريعها التوسعية، وبعد

---

(1) إبراهيم، مياسي: الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص ص 514- 515.

(2) هاشمي، أمال: « التوسع الفرنسي نحو منطقة الهقار »، مجلة عصور، جامعة وهران،ع18-19، ديسمبر 2012 ، ص ص 5-6.

التجربة الميدانية المريرة في التعامل مع قبائل الطوارق، راحت تبحث عن أساليب جديدة؛ ومن بينها تكثيف العمليات العسكرية وتقسيم الجيش إلى وحدات أو فرق قليلة العدد مهمتها مراقبة النقاط الإستراتيجية وتأمين الاتصالات[1].

إلا أن الطوارق واجهوا هذه الأساليب بتصميم أكبر على المقاومة والاستماتة في الدفاع عن بلادهم،وكبدوا القوات الفرنسية خسائر جسيمة في الأرواح والعتاد في عدة معاركأشهرها: معركة إليزي عام 1904م، ومعركة جانت عام 1909م وبعد احتلال القوات الفرنسية لتمنراست سنة 1911م، جرت معارك أخرى بين القوات الفرنسية والطوارق، منها: معركة إيسين عام 1913م، لتستمر المعارك إلى غاية عام 1923م بقيادة الشيخ آمود أق المختار[2].

[1] إبراهيم، مياسي: الاحتلال الفرنسي ...، المرجع السابق، ص ص 515- 531.
[2] نفسه، ص ص 531- 547.

ثانيا:المكاتب العربية بالجنوب 1852م- 1914م

اعتمدت السلطات الاستعمارية في جميع المدن الجزائرية على مساندين لها يقومون بتسيير شؤون القرى والقبائل يُدعون بالقياد أو الأغوات، وتتم ترقيتهم إلى مرتبة أعلى وهي: الباشاغا أو قايد القياد، ومهمتهم جميعا السهر على حفظ النظام في منطقة حكمهم، وإرسال تقاريرهم – إلى الإدارة الاستعمارية المحلية- عن كل ما يجري في قبائلهم وقراهم من حوادث، والإشراف على جمع الضرائب.

عملت أيضا على كسب العائلات والقبائل الجزائرية الكبرى إلى صفها، بحيث أسندت السلطة الاستعمارية إلى بعض أفرادها الوظائف والمناصب والقيادات، وأغدقت عليهم المال والجاه وعلقت لهم الأوسمة، وقد برزت في الجنوب الجزائري عائلات متنافسة على السلطة كعائلة: أولاد بوعكاز ، بن قانة، أولاد علاهم، ابن بابية، ابن جلاب، أولاد عطرود، أولاد مسعود وقبيلة أولاد سيدي الشيخ الغرابة والشراقة [1].

1) المكاتب العربية وقُياد العائلات المتنفذة بالجنوب:

سنركز على دراسة نماذج من العائلات المتنفذة بالجنوب، التي توفرت حولها المادة العلمية.

أ) قُياد عائلة بن قانة بصحراء الجنوب القسنطيني:

حظيت عائلة بن قانة بمكانة مرموقة في الصحراء الواقعة جنوب قسنطينة، كون بوعزيز بن قانة خال أحمد باي، وخلال مقاومة احمد باي انضمت عائلة بن قانة إلى صفوف المقاومين، لكن بعد احتلال مدينة قسنطينة سنة 1837م فر احمد باي إلى بسكرة للحصول على الدعم العسكري من قبائلها، وبعد محاولات عديدة لأحمد باي لتحرير قسنطينة من القوات الفرنسية انتهت كلها بالفشل، أدى ذلك بعائلة بن قانة في الزيبان إلى الاستسلام للقوات الفرنسية [2].

قام الماريشال "فالي" في مطلع سنة 1839م بتعيين بوعزيز بن قانة كخليفة للمنطقة الصحراوية الواقعة جنوب قسنطينة والتي تمتد على كامل الزيبان الذي يضم الزيبان الظهري

---

[1] عبد القادر، مرجاني: السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل الجزائري خلال القرن 19، تحت إشراف ا.د/ محمد مجاود، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي ليابس- سيدي بلعباس، السنة الجامعية، 2019-2020، ص 75.

[2] نفسه، ص ص 78- 79.

والقبلي والشرقي وكذا النمامشة الغرابة والعرب الرحل الشراقة والغرابة وقيادة أولاد جلال وسيدي خالد وأولاد زكري وكل صحاري الحضنة.

سعى ضباط المكاتب العربية بمقاطعة قسنطينة إلى دعم سلطة بوعزيز وتقويتها ضد الثائرين على الاستعمار وأعوانه ومن بينهم حلفاء الأمير عبد القادر وأتباعه، وذلك من اجل تثبيت ركائز الاحتلال بالبلاد والمحافظة على مصالح فرنسا الاقتصادية وغيرها إلى حين أن يمسك المُستعمر بزمام الأمور [1].

فعلى سبيل المثال كان خليفة الأمير عبد القادر محمد الصغير بن أحمد بلحاج ببسكرة في صراع مستمر مع بوعزيز بن قانة مدة سنتين (1842م-1844م) حول السيطرة على منطقة الزيبان دون أن يحسم الصراع لأحد الأطراف، ومن أجل الحيلولة دون زوال نفوذ عائلة بن قانة بالمنطقة، اضطر "الدوق دومال" للتدخل بحملة عسكرية في المنطقة احتل على إثرها مدينة بسكرة سنة 1844م، وعين بها الرائد توما (Thomas)، الذي أعطيت له تعليمات من أجل تسيير المدينة عسكريا وإداريا وإقامة ثكنة بالمدينة مهمتها ضمان بقاء سلطة بن قانة في المنطقة [2].

خلال شهر ديسمبر1845م تم إجراء تعديل إداري يخص دائرة بسكرة، فحددت من الشمال بجبال الأوراس وتقاطع القنطرة، ومن الجنوب بتقرت، ومن الشرق الجريد التونسي، ومن الغرب أولاد جلال، وكان امتدادها من الشمال إلى الجنوب 80 ميل، ومن الشرق إلى الغرب 90 ميلا، بمساحة 720 ميلا، وقسمت دائرة بسكرة إلى ستة قيادات كبرى هي:

1- قيادة بدو بسكرة تحت إدارة شيخ العرب بن قانة.

2- قيادة سي مقران.

3- قيادة أولاد جلال تحت إدارة الشيخ محمد الصغير.

4- قيادة تقرت ووادي سوف تحت سلطة عبد الرحمن بن جلاب.

5- قيادة جبل ششار التي وضعت تحت إدارة المرابط محمد بن الطيب.

---

(1) صالح، فركوس: إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي في ضوء شرق البلاد 1844م- 1871م، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 270- 271.

(2) نفسه، ص ص 272- 273.

6- قيادة أولاد صاولة التي تم إسنادها إلى عائلة بن شنوف وأحمد بن بوعبد الله.

هذا التنظيم قلص كثيرا من نفوذ قيادة عائلة بن قانة، بحيث أن القياد الجدد لم يكونوا مجرد موظفين فقط بل كانوا قياد مؤثرين في المنطقة [1]، وبتاريخ 30 أكتوبر 1849م[2] أجرت السلطة الاستعمارية تعديلا إداريا جديدا لإقليم الزيبان، كما يوضح الجدول التالي:

المنطقة	اسم القايد
بسكرة، أولاد جلال	سي محمد الصغير بن علي بن قيدوم بن قانة [3]
أولاد نايل، أولاد زكري	سي الحاج بن محمد بن قانة
البدو الغرابة	سي احمد بن الحاج بن علي بن قيدوم بن قانة
البدو الشراقة	سي علي بن قيدوم بوعزيز بن قانة
الزاب الشرفي، احمد خدو، وبني بوسليمان	فراح بن بوعبد الله واحمد باي شنوف
جبل ششار	سي محمد بن الطيب بن سيدي ناجي
الصحاري	سي بولكراز بن محمد بلحاج بن قانة
أولاد زيان	سي دراجي بن محمد بلحاج
واد ريغ	عبد الرحمان بن جلاب
أولاد مولات	المبارك بن الطيب

جدول أسماء القياد بصحراء جنوب قسنطينة سنة 1845م [4]

كل هذه القيادات كانت تحت وصاية المكتب العربي ببسكرة، وما تجدر الإشارة إليه أن قيادة عائلة بن قانة كانت تخضع في البداية إلى السلطات العليا بقسنطينة مباشرة، وبعد إجراء هذا التعديل خضعت هي الأخرى للمكتب العربي ببسكرة، **(ينظر الملحق رقم 02).**

لقد سعى أفراد عائلة بن قانة بكل الوسائل لوقف سياسة المكاتب العربية الرامية إلى تقويض سلطة قيادات العائلات الكبرى،ونظرا لشعور أفراد عائلة بن قانة بالمهانة والمرارة نتيجة الانتقاص من مكانتها في المنطقة تبنت سياسة اللامبالاة، وقد كتب الرائد سانت جرمان حوله قائلا : "إن شيخ العرب لم يعد في مستوى المهمة الملقاة على عاتقه ولا يسير أبدا وفق آرائنا "، بل إن قائد مقاطعة قسنطينة "هيربيون" ذهب أبعد من ذلك في تفكيره حول إمكانية تعويض شيخ العرب بإدارة المكتب العربي"، وبالفعل فخلال الفترة الممتدة من سنة 1856م إلى غاية مطلع القرن العشرين، فقدت عائلة بن قانة نفوذها وذلك بعد أن حدت السلطة الاستعمارية من نفوذها باستعمال سياسة

---

(1) صالح، فركوس :إدارة المكاتب ...، المرجع السابق، ص ص 285- 287.

(2) جريدة المبشر، 30 أكتوبر 1849م، ص 5.

(3) نفسه، ص 5.

(4) صالح، فركوس: إدارة المكاتب ...، المرجع السابق، ص ص 90- 91.

"فرق تسد" بتأجيج الصراع بينها وبين العائلات الكبرى بالمنطقة كعائلة أولادبوعكاز [1].

ب) قُياد عائلة أولاد بوعكاز بصحراء الجنوب القسنطيني:

إن عائلة أولاد بوعكاز لا تقل أهمية عن عائلة ابن قانة بالصحراء الواقعة جنوب قسنطينة، فقد حظيت بنفوذ أوسع منها، بحكم قدمها بالمنطقة ونسبها إلى قبائل بني هلال، حيث تعود أصولها إلى الحاج علي بن عكاز السخري الذواودي، وكان الذواودة يشرفون على المناطق الواقعة جنوب إقليم قسنطينة، حيث كانت تهيمن على منطقة الزاب ووادي ريغ حتى ورقلة، ونفوذ هذه العائلة يكاد يكون ضئيلا بمنطقة الزيبان أين تتمركز عائلة بن قانة [2].

نتيجة لضعف النفوذ العثماني بالجنوب الجزائري والتنافس الشديد بين العائلتين عائلة بوعكاز وعائلة بن قانة، فُسح المجال للصراع الطويل والدموي بين عائلتي بوعكاز وبن قانة، وبلغ هذا الصراع أشده أيام حكم صالح باي قسنطينة في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، ذلك أن تقريب إحدى العائلتين، أو إبعاد أخرى كان يتوقف على مصالح البايات، وفي فترة الاحتلال الفرنسي وخاصة في فترة إدارة المكاتب العربية، تعاظمت سلطة العائلات والزوايا المتعاونة مع فرنسا[3]، حيث قسمت السلطة الاستعمارية المنطقة من جديد في 30 أوت 1849م، فوزعت سلطة الزاب الشرقي وجبل أحمر خدو على ثلاث قيادات: منطقة جبل ششار أخضعت لأحمد بن صر التابع لابن قانة، والتراب الشرقي لأحمد باي بن شنوف التابع لبوعكاز، واحمر خدو لفرحات بن عبد الله التابع لابن قانة[4]، هذا الصراع والتطاحن على السلطة في الصحراء الواقعة جنوب إقليم قسنطينة ساعد الاستعمار الفرنسي على تثبيت احتلاله بالمنطقة، **(ينظر الملحق رقم 02).**

بعد تعيين النقيب "سانت جرمان(Sait Germain)" الذي خلف "الرائد توما" في قيادة مدينة بسكرة خلال شهر جويلية سنة 1845م،كان يطمئنباستمرار بوعزيز بن قانة ويبدي له ثقته ومساندته له ضد طموحات أولاد بوعكاز في السيطرة على صحراء الجنوب القسنطيني، لكن بعد

---

(1) صالح، فركوس :إدارة المكاتب...، المرجع السابق، ص ص 287- 288.

(2) Féraud, L. Charles: «Notes historiques sur la province de Constantine. Les Ben-Djellab, sultans de Touggourt 5emP », R. A, A. Jourdan, Libraire-éditeur - Algérie, N°26, 1882, pp 376- 386.

(3) صالح، فركوس :إدارة المكاتب...، المرجع السابق، ص 297.

(4) جريدة المبشر، 30 أوت 1849م، ص 2.

ثورة الزعاطشة عام 1849م، غير "سانت جرمان" تفكيره نحو عائلة أولاد بوعكاز، وذلك من أجل استخدامهم لضرب عائلة بن قانة، وقد شجعت السلطات الاستعمارية هذا الأمر وأمرت النقيب في المضي قدما في هذا السياسة ولكن بحذر، وتجسد ذلك بعد احتلال تقرت سنة 1854م وقيام السلطة الاستعمارية بتنصيب احد أفراد عائلة بن قانة قايدا على تقرت،يقابلها في نفس السنة تنصيب احد أفراد عائلة أولاد بوعكاز قايدا علىواد ريغ، وذلك لإيجاد توازن بين العائلتين المتنفذتين في صحراء الجنوب القسنطيني، وقد أثمرت سياسة فرق تسد المتبعة من طرف السلطة الاستعمارية في اضمحلال نفوذ عائلة أولاد بوعكاز مع مطلع القرن العشرين[1].

ت) قُياد قبيلة أولاد سيدي الشيخ بصحراء الجنوب الوهراني:

وجه الحاكم العام راندو (Randon) اهتمامه مع بداية الخمسينات إلى التوسع بالجنوب الوهراني، ورأى أن نجاح مهمته تستوجب تطبيق مبدأ التعاون مع العائلات ذات النفوذ المادي والسياسي والاستعانة بها في التوسع، وبناءا على المعلومات التي تحصل عليها من الحملات العسكرية السابقة، تبين له أن أهم قبيلتي تتقاسمان النفوذ في مناطق الجنوب الوهراني هما: قبيلة "حميان" التي تتمتع بالنفوذ السياسي والثراء المادي، وقبيلة "أولاد سيدي الشيخ" التي تتمتع بالنفوذ الديني والعسكري، لهذا دخل الفرنسيون في مرحلة الاختيار بينهما وأيهما أكثر تأثيرا على القبائل الصحراوية الأخرى، وفي النهاية وقع الاختيار على قبيلة "أولاد سيدي الشيخ"[2].

بدأت محاولات السلطة الاستعمارية الاتصال والتفاوض مع زعماء قبيلة أولاد سيدي الشيخ، نهاية عام 1846م ومطلع عام1847م، وتحديدا مع حملة الجنرال رونو (Renault) سنة 1847م نحو الجنوب الوهراني، حيث التقى بوفْدان من أولاد سيدي الشيخ الشراقة والغرابة بقيادة "جلول بن حمزة" و"سي محمد ابن سي الطيب مرفقين بحصانين و18000 فرنك كضريبة ورسم خضوع للسلطة الاستعمارية، وانتهى التفاوض بتعيينها قَايْدَين على أولاد سيدي الشيخ بفرعيها على

---

(1) صالح، فركوس :إدارة المكاتب...، المرجع السابق، ص 275.

(2) فاطمة، حباش: المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري 1844م-1870م تيارت- سعيدة -جيرفيل البيض نماذجا، تحت إشراف ا.د/ بن نعيمة عبد المجيد،أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، السنة الجامعية، 2013-2014، ص ص141- 142.

التوالي، وفي سنة 1850م قامت الإدارة الاستعمارية بدائرة تيارت [1]، بإرسال وفد للتفاوض مع "سي حمزة" حول شروط الخضوع للسلطة الاستعمارية، كان هذا الوفد يتشكل من القايد " قدور ولد الحاج الصحراوي" و" السيد عبد القادر" بن خالد قاضي تيارت، التقى أعضاء الوفد مع شيخ قبيلة أولاد سيدي الشيخ الشراقة، عند القايد "العربي بن لعرج" من قبيلة حميان الشراقة، انتهى اللقاء باعتراف سيدي حمزة للوفد بأنه مستعد للخضوع[2]، وعليه أصدر الحاكم العام قرار بتاريخ 23 /04 /1850م يقضي بتنصيب "سي حمزة" زعيما لأولاد سيدي شيخ، وخليفة السلطة الاستعمارية في صحراء الجنوب الوهراني.

بقبول سي حمزة التعاون مع الفرنسيين فُتح لهم المجال بصحراء الجنوب الوهراني والجنوب عامة، فمنذ توليه المنصب ضَمن للإدارة الاستعمارية السيطرة على المناطق التي كانت بيده، واستمر الأمر معه بعد الدور الذي قام به في حملة الأغواط إلى سنة 1852م ثم حملة ورقلة سنة 1853م، مما أدى إلى توسيع نفوذه السياسي وأصبحت كل القبائل وسكان القصور المنتشرين في صحراء الجنوب الوهراني إلى غاية ورقلة تابعين إداريا له ومنظمين في شكل قيادات وآغوات، ، **(ينظر الملحق رقم 02)**، منها ما هو خاضع مباشرة لسي حمزة، ومنها ما هو في شكل قيادة أو أغوية بتعيين رسمي فرنسي، وتزكية من سي حمزة [3]، الجدول التالي يوضح قيادات قبيلة أولاد سيدي الشيخ بفرعيها الشرقي والغربي:

قبيلة أولاد سيدي الشيخ			
زعماء قبيلة الغرابة[4]	فترة الحكم	زعماء قبيلة الشراقة[5]	فترة الحكم
الشيخ بن الطيب	1845م- 1867م	الخليفة سي حمزة بن بوبكر	1850م- 1861م
سليمان بن قدور	1867م- 1869م	الباشاغا سي بوبكر بن حمزة	1861م- 1862م
الحاج العربي	1869م- 1871م	الباشاغا سي سليمان بن حمزة	1862م- 1864م بداية الثورة
معمر بن الشيخ	1871م- 1873م		
سليمان بن قدور	1873م- 1882م		
الشيخ بوعمامة	بداية من عام 1882م		

جدول أسماء زعماء وقُياد أولاد سيدي الشيخ الغرابة والشراقة مابين سنوات 1845م- 1882م

---

[1] فاطمة، حباش: المرجع السابق، ص 144.

[2] كورنيل، ترومليه: الفرنسيون في الصحراء يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية، ترجمة محمد المعراجي، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2013، ص 120.

[3] فاطمة، حباش: المرجع السابق، ص ص 144- 145.

[4] محمد ابن الطيب، البوشيخي : أولاد سيدي الشيخ الشراقة والغرابة التصوف والجهاد والسياسة، ط 3، مطبعة أطلال، وجدة، 2013، ص 119.

[5] فاطمة، حباش: المرجع السابق، ص 158.

ث) قُياد عائلة بن بابية بواحة نقوسة:

قام الحاج بن بابية شيخ واحة نقوسة بزيارة إلى الجزائر العاصمة بتاريخ 15 نوفمبر1849م[1]، للتقرب من السلطة الاستعمارية وإعلان ولائه لها، مما دفع بهذه الأخيرة إلى تعيينه في نصب خليفة لواحة نقوسة ومدينة ورقلة والقبائل البدوية التي تقطن بضواحيها بتاريخ 30 نوفمبر 1849م[2]، وقامت بمده بفرقة من "القوم" بلغ عددها 200 فارس من قبائل جبال العمور، فتوجه إلى ورقلة لمحاصرتها وإخضاعها، ونظرا للمقاومة التي جوبه بها، عَدل عن فكرة الاستمرار في محاصرتها، واكتفى بمنصبه كخليفة في واحة نقوسة، وفي جانفي 1851م سافر إلى مدينة وهران لتقديم فروض الولاء والطاعة من جديد للسلطة الاستعمارية، لكن توفي في طريق عودته إلى واحة نقوسة.

عُين بعده ابنه الأكبر أبو حفص حسب العرف، وتم تنصيبه من قبل السلطة الاستعمارية في 19فيفري 1851م، إلا أن أخوه الشيخ الطيب لم يَرقه الأمر وحدث خلافا بينهما، ساهم ذلك الخلاف في إضعاف قوة عائلة بن بابية [3]، ومما زاد من انشقاقها هو تفرع "قبيلة سعيد عتبة" الموالية لهم إلى ثلاث فروع، والتي دخلت بدورها في صراعات دموية فيما بينها، حول الاستحواذ على منابع المياه والسيطرة على المراعي، وقد غذت هذه الصراعات السلطة الاستعمارية في إطار سياستها المعهودة، سياسة فرق تسد؛ فبعد نهاية انتفاضة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864م، احتلت القوات الفرنسية واحة نقوسة[4]، وفقدت عائلة أولاد بن بابية دورها في الحكم، ومع مطلع القرن العشرين اضمحل دور ونفوذه هذه العائلة، والجدول التالي يبين أسماء زعماء عائلة بن بابية:

القياد	فترة الحكم
الحاج أحمد بن بابية	1849م- 1851م
الحاج أبي حفص	1851م- 1863م
السايح بن بابية	1863م- 1909م

جدول أسماء قياد عائلة بن بابية بواحة نقوسة 1849م- 1909م [5]

---

(1) جريدة المبشر، 15 نوفمبر 1849م، ص 3.

(2) جريدة المبشر، 30 نوفمبر 1849م، ص 3.

(3) كورنيل، ترومليه: المصدر السابق، ص ص 60- 63.

(4) Féraud, L. Charles: «Notes historiques sur la province de Constantine. Les Ben-Djellab, sultans de Touggourt 5emP», R. A, A. Jourdan, Libraire-éditeur - Algérie, N°30, 1886, pp 422- 439.

(5) الأزهاري، عباز: نظام المشايخ في ورقلة بين العهدين العثماني والفرنسي خلال 1603م- 1884م، تحت إشراف د/ عاشور قمعون، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، السنة الجامعية، 2013-2014، ص 49.

2) المكاتب العربية وقُياد مدن وواحات الجنوب:

نظرا لشاسعة النطاق الجغرافي للجنوب الجزائري، وكثرة مدنه وواحاته، ارتأينا دراسة نماذج التي توفرت حولها المادة العلمية.

أ) ورقلة:

اعتمدت السلطة الاستعمارية على نظام يمكنها من إحكام قبضتها على المنطقة، والظهور أمام السكان بملامح الحرص على مصلحتهم، فبعد الإطاحة بسلطنة أولاد علاهم الفاسية التي كانت تحكم ورقلة استبدلت السلطة الاستعمارية النظام السياسي المتمثل في المتمثل في منصب السلطان بنظام إداري يتمثل في منصب القياد والشيوخ، ونظرا لكون السلطة الاستعمارية تعلم بأنه ليس من السهل على هؤلاء القياد أن يمارسوا سلطتهم وسط مجتمع لن ينقاد لهم بسهولة، فقد أعطتهم صلاحيات تسمح لهم بممارسة حكمهم، والجدول التالي يبين ابرز الباشاغات والقياد الذين حكموا ورقلة منذ بداية احتلالها ولغاية سنة 1884م:

القياد	فترة الحكم
الباشاغا سي الزبير	1854م – 1862م
الباشاغا سي لعلى ولد بوبكر	1862م– 1864م
الآغا علي باي	1865م– 1872م
الآغا السعيد بن ادريس	1874م– 1876م
الآغا عبد القادر بن عمر	1876م– 1884م

جدول أسماء القياد الذين تولوا حكم ورقلة 1854م– 1884م[1]

بتاريخ 22 ماي 1872م، تم استحداث تعديل إداري في صحراء الجنوب القسنطيني أصبحت بمقتضاه ورقلة تابعة لملحقة تقرت والتي تضم كلا من وادي ريغ ووادي سوف، إلا أنه في سنة 1874م تم ضم ملحقة تقرت لتصبح تابعة لملحقة ورقلة؛ وبعد الاحتلال النهائي لورقلة سنة 1882م، وتنصيب أول حامية عسكرية بالرويسات، تحولت القيادة مباشرة إلى الحكام العسكريين الفرنسيين، وتم إلغاء نظام القياد بالتعيين، والعمل بنظام شيوخ القبائل بالانتخاب[2]، والجدول التالي يبين ذلك:

---

(1) G.G.A : «Notes pour Servir a l'Historique d'Ouargla 1885 », R. A, A. Jourdan, Libraire-éditeur - Algérie, N°64,1923, pp 381-442.

(2) رضوان، شافو: الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة أنموذجا 1844م- 1962م، تحت إشراف ا.د/ تلمساني بن يوسف، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر2، السنة الجامعية، 2011- 2012، ص 197.

فترة الحكم	اسم الحاكم
1881م- 1898م	العقيد لوشاتولي Colonel le Chatelier
1898م- 1901م	الرائد بَانْ le Commandant Pein
1901م- 1910م	العقيد لابرين Colonel Laperrine
1910م- 1913م	الرائد بَانْ le Commandant Pein
1913م- 1917م	العقيدمنيي Colonel Meynier

جدول أسماء الحكام العسكريين الفرنسيين الذين تولوا حكم مدينة ورقلة 1881م– 1917م (1)

ب) تقرت:

بعد الإطاحة بالسلطنة الجلابية بتقرت سنة 1854م، استبدلت السلطة الاستعمارية النظام الإداري الذي كان معمولا به من قبل وهو نظام السلاطين بنظام "القياد "و"الخلفاء"، بحيث أصبح "القايد" يلقب بحاكم تقرت ووادي سوف، ومقره في الغالب تقرت يعاونه نواب يُدعون بالخلفاء، ومن ابرز القياد الذين تولوا حكم تقرت نجد: "آغا علي باي بن فرحات" من عائلة بوعكاز الذي نصبته السلطة الفرنسية برتبة آغا على تقرت، وادي سوف وورقلة، إذ قام العقيد ديفو يوم 26 ديسمبر1854م بالإعلان عن تنصيبه بالساحة العمومية بقصبة مدينة تقرت (2).

فبالرغم من أن الإدارة الفرنسية أحدثت تغيرا في الألقاب، إلا أن "علي باي" كان عملة ذات وجهين،بحيث أراد أن يُعطي أكثر شرعية لحكمه على سكان المنطقة، فادّعى أنه ينتمي إلى أسرة بني جلاب لكون هذا النسب يرفع مكانتهبين سكان المدينة، وبما أن السلاطين الجلابيين من قبل كانوا يتسمّون باسم" الشيخ"، فقد تلقب بهذا الأخير ولم يستعمل اسم القايد إلا في معاملته مع الإدارةالاستعمارية.

عقب انتفاضة سكان وادي ريغ سنة 1871م طرأت تعديلات جديدة على المستوى السياسي والإداري، إذ أصدر الجنرال "دولاكروا" قرارا بتعيين الملازم "محمد بن إدريس" سنة 1871م برتبة آغا وهو من أحلاف بن قانة، وعليه أصبح "محمد بن ادريس"، الحاكم المباشر على تقرت، لكن

(1) A.N.A: Théodore, Steeg: Exposé de la situation générale des Territoires du Sud de l'Algérie, 2emP l'œuvre accomplie 1er Janvier 1903- 31 Décembre 1921, Imprimerie Ancienne Maison Bastide-Jourdan, Alger, 1922, p12.

(2) رضوان، شافو: مقاومة منطقة تقرت وجوارها للاستعمار الفرنسي 1852- 1875، تحت إشراف ا.د/ أبو القاسم سعد الله ، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 2006-2007، ص 134.

النفوذ المحلي بقي للقياد الذين تحول دورهم فيما بعد من دور الحكام إلى دور الشرطة، وبتاريخ 22 ماي 1872م تم استحداث تعديل إداري في صحراء الجنوب القسنطيني الذي كانت منطقة تقرت تشكل جزءا منه، وأصبحت تقرت تضم كلا من وادي ريغ ووادي سوف وورقلة إلا انه في سنة1874م تم إلغاء ملحقة تقرت لتصبح تابعة لملحقة ورقلة [1].

ث) وادي سوف:

استحدثت السلطة الاستعمارية نظام القياد في وادي سوف، منذ الإطاحة بالسلطنة الجلابية بتقرت سنة 1854م، حيث يعد القايد حاكما على تقرت ووادي سوف، ومقره في تقرت يعاونه نواب يدعون بالخلفاء، وقد تولى منصب القايد بواد سوف القايد "سي احمد بن شنوف" سنة 1849م[2]، ثم القايد "علي بن فرحات بن سعيد من أولاد بوعكاز" (1854م– 1871م)، وكان مقر حكمه متنقلا بين تقرت ووادي سوف [3].

خلفه في المنصب القايد "العربي المملوك" الايطالي الأصل سنة 1872م، لكنه حكمه لم يدم طويلا لظلمه فتم قتله سنة 1873م [4]، وتولى من بعده القايد "محمد موسى بن موسى" في 24 فيفري 1874م لمدة تسعة أشهر، ليتولى المنصب بعده القايد "العابد بن محمد بن إدريس"، حيث كان آغا على ورقلة منذ 1872م، ولما نجح في القبض على الثائر بوشوشة كافأته فرنسا بتوليته قيادة تقرت ووادي سوف سنة 1874م، وكان خليفته هو القايد "محمد بن تواتي"، ودامت حكمه سنتين وأربعة أشهر وعند تعاظمت الاحتجاجات ضده تم عزل [5].

بداية سنة 1871م بدأ العمل بنظام الشيوخ وهم ممثلو القبائل وتابعين مباشرة للخلفاء الذين بدورهم تابعين القياد، واستمر الحال على ذلك إلى سنة 1877م، عندما تحول الشيوخ إلى خلفاء مستقلين ومرتبطين مباشرة بالمكتب العربي بدائرة بسكرة، ومع إنشاء ملحقة الوادي في جانفي

---

[1] رضوان، شافو: مقاومة منطقة تقرت...، المرجع السابق، ص ص 136- 139.
[2] جريدة المبشر 30 أكتوبر 1849م، ص 5.
[3] موسى، بن موسى: الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها 1900م-1939م، تحت إشراف ا.د/ احمد صاري، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تخصص حركات التحرر في المغرب العربي، جامعة منتوري- قسنطينة، السنة الجامعية، 2005-2006، ص 42.
[4] إبراهيم محمد الساسي، العوامر: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق الجيلاني بن إبراهيم العوامر، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص 326.
[5] موسى، بن موسى: المرجع السابق، ص ص 42- 43.

1885م أصبح هؤلاء الشيوخ يتعاملون مباشرة مع السلطات الاستعمارية بالملحقة وتحولوا إلى قياد أبرزهم: قايد الأعشاش، قايد المصاعبة، قايد الدبيلة والبهيمة، قايد قمار وغمرة، قايد أولاد سعود بكوينين، و يعد الضابط "بلاشير (Blachére) أول حاكم لملحقة الوادي، وكانت الملحقة تابعة لدائرة بسكرة بموجب القرار الحكومي الصادر في 17 جانفي 1885م، لكن عند إنشاء دائرة تقرت بموجب قرار إداري في 01 جانفي 1893م، ضمت إليها ملحقة الوادي [1].

ج) واحة بوسعادة:

برزت بواحة بوسعادة عائلات محلية قوية ذات نفوذ ديني وسياسي، استعانت بها الإدارة الاستعمارية في تسيير في شؤون الواحة، من ابرز تلك العائلات نجد:

اسم العائلة	القياد	مدة الحكم	مكان تولى القيادة
عائلة بن الضيف	احمد بن الضيف	1849م- سنة العزل غير معروفة	واد الشعير 1849م
	محمد بن احمد بن الضيف	1871م- 1914م	عرش أولاد سيدي زيان 1871م ، وادي الشعير 1874م ، أغا أولاد نايل ببوسعادة 1880م
	علي بن احمد بن الضيف	1896م -1914م	عرش أولاد خالد 1896م، عرش أولاد محمد لمبارك 1906م، قبيلة أولاد جلال ببسكرة 1916م
عائلة نذير	الأغا سي محمد الطيب بن الشيخ النذير	1903م- 1923م	عرش أولاد سيدي مرزوق ، عرش أولاد سيدي إبراهيم 1903م
عائلة بوضياف	سي الصخري بن بوضياف	1871م ـ سنة العزل غير معروفة	واد الشعير 1871م
أل بلقمري	عبد الله بلقمري	/	واد الشعير
	لخضر بلقمري	/	مشيخة بوسعادة
	إبراهيم بلقمري	1871م- سنة العزل غير معروفة	عرش عين الريش ، أولاد محمد لمبارك و أولاد عزوز

جدول أسماء القياد المحليين في واحة بوسعادة 1849م– 1923م [2]

ح) وادي ميزاب:

- المرحلة الأولى: 1853م– 1882م

بدأت مرحلة جديدة بمنطقة وادي ميزاب بدخولها تحت الحماية الفرنسية، فقد باشرت السلطة الفرنسية في خلق صراعات داخلية بمنطقة وادي ميزاب، بإثارة المناوشات بشكل مباشر أو

---

[1] موسى، بن موسى: المرجع السابق، ص ص 43- 44.

[2] Edmond Gouvion: Kitab Aayane el Marhariba, Département d'Alger, Imprimerie Fontana Freres, Alger, 1920,C.C.D.S, pp 131-155, voir aussi:

خميسي، سعدي: المرجع السابق، ص ص 113- 123.

عن طريق التدخل الخفي، لعل أبرز هذه التدخلات هو دخول الرائد "مرغريت" إلى غرداية بالقوة– بعد محاولة منعه من طرف سكانها – صحبة فرقته العسكرية فقام بكسر البوابة والدخول مع قواته للمدينة سنة 1882م، ومن الأعمال العدائية الأخرى التي قامت بها السلطات تجاه سكان وادي ميزاب، هو تكليف اليهودي "يتح" أغا على منطقة ميزاب، وذلك بعد أن عرضت هذا المنصب على العديد من أعيان المنطقة، ونظرا للمقاطعة التي قام بها سكان المنطقة لم يتقدم أحد لهذا ليتولى هذا المنصب [1].

بعد تعيين الآغا" يتح" اليهودي قايدا على مدن وادي ميزاب، اعتبر السكان ذلك إهانة لهم وتدخلا في أمورهم الداخلية، وأمرا مناقضا لبنود المعاهدة المبرمة، وامتنعوا بالإجماع عن قبوله، وكان نتيجة هذا الأمر هو اغتيال هذا اليهودي من طرف احد سكان ميزاب يسمى "إبراهيم كولا" بتاريخ 21 جويلية 1860م، وذلك بالقرب من برج كاركار بين بني يزقن ومليكة، فأغضب هذا الأمر السلطة الاستعمارية التي حاولت التعرف على القاتل ولكنها لم تصل إلى أي نتيجة، وهو ما دفع بالسلطة الاستعمارية بفرض غرامة مالية كبيرة على الميزابيين قدرها30000 فرنك جزاء التستر على القاتل، و10000 فرنك دية لأهل القتيل، من جهة أخرى رفض أعيان بني ميزاب من بني يزقن، مليكة، بونورة، العطف وبريان إيفاد ممثلين عنهم بحضور احتفالات استقبال الإمبراطور نابليون الثالث الذي حل بالجزائر العاصمة سنة 1860م، وهو ما جعل من الجنرال يوسف يعاقبهم بغرامات باهظة.

منذ توقيع المعاهدة عام 1853م، كانت التقارير اليومية تسجل وترسل إلى الإدارة الاستعمارية بالاغواط، ولاحظت السلطة الاستعمارية أن القبائل الصحراوية تجتاز المنطقة للتزود بكل أنواع المؤن وعلى رأسها الأسلحة والبارود، حتى اعتبرت منطقة وادي ميزاب هي الممول الرئيسي للمقاومات الشعبية المختلفة ضد الفرنسيين، وكان البارود يصل على شكل مادة خام إلى ميزاب ثم يتم معالجته ليصبح مادة قابلة للانفجار، كما شارك الميزابيون أيضا في المقاومات

---

[1] عبد القادر عزام، عوادي: هجرة سكان بني ميزاب إلى تونس ودورهم السياسي والفكري في الحياة التونسية خلال الفترة 1881م- 1956م، تحت إشراف د/ خير الدين شترة، رسالة ماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور، جامعة أحمد دراية- أدرار، السنة الجامعية، 2015- 2016، ص 33.

الشعبية كمقاومة أولاد سيدي الشيخ 1864م–1881م، مقاومة المقراني عام 1871م ومقاومة الشيخ بوعمامة 1881م–1908م [1].

هذه الأسباب كلها جعلت من فرنسا تتذرع بأن الميزابيين لم يفوا بالبنود التي كانت في المعاهدة وبقيت وادي ميزاب تمون الثورات، وأسواقها مفتوحة للثوار والمقاومين من كافة أنحاء الوطن، فبتاريخ 26 أكتوبر1882م تلقى الجنرال "دولاتور دوفيرني" أمرا من الحاكم العام للجزائر " لويس تيرمان"، لاحتلال وادي ميزاب وإلحاقه نهائيا بالسلطة الاستعمارية، فغادرت القوات الفرنسية الأغواط يوم 10 نوفمبر 1882م، ووصلت إلى غرداية في17 نوفمبر، وألحق وادي ميزاب رسميا بالدولة الفرنسية بتاريخ 30 نوفمبر 1882م وسط معارضة قوية من طرف هيئة العزابة [2].

- المرحلة الثانية: 1882م- 1914م

نوفمبر 1882م، أصدر الحاكم العام قرارا يقضي بإنشاء ملحقة عسكرية بغرداية تشمل قرى ميزاب السبع وآغاليك ورقلة، شعانبة متليلي وشعانبة المنيعة، ويكون على رأسه الدائرة قائد أعلى تحت أوامره مكتب عربي، وخضعت ميزاب إلى حكم القياد التابعين للحاكم العسكري الفرنسي، وعين في كل مدينة من مدن ميزاب من يتولى هذا المنصب و ينفذ أوامر السلطة الاستعمارية المتمثلة في مراقبة تحركات السكان وتطبيق سياستها المختلفة، وبهذا الإجراء تقلصت سلطة العزابة بوادي ميزاب؛ بتاريخ 9 ديسمبر 1894م أصبحت غرداية ملحقة عسكرية تابعة للقيادة العسكرية بدائرة بالأغواط[3]، وبموجب قانون 24 ديسمبر 1902م أصبحت غرداية عاصمة للإقليم العسكري الذي حمل اسمها[4]، كما تم تعيين مجموعة من القياد في المدن السبع، ونظرا لانعدام الوثائق الأرشيفية الخاصة بالمكاتب العربية، اقتصرنا على ذكر الأسماء فقط دون تواريخ فترة حكم كل واحد منهم، كما يوضح الجدول الأتي:

---

[1] Brahim, ben Youb: Op. Cit. pp 8- 11.

[2] عبد القادر عزام، عوادي: المرجع السابق، ص 34.

[3] G.G.A: Tableau général des communes de l'Algérie 1902, Imprimerie V^{tm} Giralt, Alger, 1902, p :66.

[4] A.W.O: Loi du 24 Décembre 1902, B.L.R.F , N2430, Imprimerie Nationale, Paris, 1903, pp 535-536.

اسم قياد مدينة غرداية		اسم قياد مدينة العطف	
باحمد بن يحي باللو	حمو بن عمر الحاج	بافو بن حامد	إبراهيم بن باحمد عنتر
حمو الحاج بن الحاج احمد الناصري	الحاج يوسف بن بنوح سرار	الحاج إبراهيم بن بافو	سليمان بن باحمد
إبراهيم بن عيسى باحاز	عيسى بن سليمان فضلي	باحمد بن بافو باحريز	باحمد بن محمد باب عمي بلال
إبراهيم بن يحي مصباح	سليمان بن عيسى فضلي	محمد بن باحمد بن بافو	
صالح بن يحي	عبد الله بن الحاج حمو تيرشين	**اسم قياد مدينة القرارة**	
يحي بن احمد باللو	محمد بن صالح بن عمر يحي	إبراهيم بن بوهون	عفاري بن ابراهيم
يحي بن يحي باللو	نسيم سمسي ميرا	كاسي بن بوهون	داده بن كاسي
علي بن عمرالناصري	دواق الحاج إبراهيم بن صالح	الناصر بن إبراهيم	بابه بن حمودة
اسم قياد مدينة مليكة		إبراهيم بن يوسف	
صالح بن عبد الله التونسي	باحمد بن بكير	**اسم قياد مدينة بونورة**	
صالح بن عبد الرحمان	باعمور بن صالح	إبراهيم بن بايعيسى دودو	داود بن الحاج حمو ابن الناصر
عمربن داود	محمد بن موسى	الحاج عيسى بوهون سعيد	يونس بن عمردودو
افرازي عبد الرحمان بن محمد	عبد الحميد بن باحمد أبو القاسم	أمحمد بن بعيسى عيسى	حمو بن عيسى
بكير بن باحمد باعمارة	حمو بن إبراهيم نجار	حمو بن داود ابن الناصر	
سليمان بن بكير		باحمد بن محمد سالم	

جدول أسماء القياد في مدن وادي ميزاب 1882م – 1962م[1]

خ) الأغواط: احتلت فرنسا الأغواط سنة 1852م لتقوم بتنظيمها إداريا؛ بتاريخ 26 جانفي 1853م أُصدرت القرار الوزاري القاضي بإنشاء القطاع العسكري بالأغواط بصفة مؤقتة ويكون تابع لملحق المكتب العربي بالمدية[2]، إلى غاية تاريخ 22 جويلية 1853م حيث تم إصدار القرار النهائي بتأسيس دائرة الاغواط العسكرية التي أصبحت تابعة مباشرة إلى الجزائر العاصمة لغاية سنة 1907م؛ دائرة الأغواط كانت تشمل: قصور الأغواط، عين ماضي، تاجموت، الحويطة وقصر الحيران، بالإضافة إلى القبائل المحيطة بالأغواط مثل المخاليف، الأرباع وأولاد نايل، وسكان منطقة وادي ميزاب، وعين الرائد دو باراي (Du Barail) أول حاكم على دائرة الاغواط في مارس 1853م الذي بدوره قام بتعيين القايد "الشيخ علي" قايدا على قبائل الاغواط، بعد سنتين عين الجنرال" مارغريت (Margueritte)" سنة 1855م، الذي استطاع أن يفرض الأمن لعدة سنوات،

---

(1) حمو محمد عيسى، النوري: دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا مج1، د. د .ن، باريس، 1984، ص ص 280-282.

(2) محمود، علالي : المرجع السابق، ص 148.

لكن منذ بداية سنة 1860م، وهي سنة تعيين الجنرال الجنرال دي سونيس (De Sonis) تجددت الانتفاضات بدائرة الأغواط، لعل أبرز تلك الانتفاضات نجد: أحداث وادي ميزاب سنتي 1867م و1870م، وأحداث عين ماضي سنة 1869م، وقد استطاع إخمادها باستخدام القوة [1]، واستمر تعيين الحكام العسكريين بالاغواط إلى غاية التنظيم الإداري للجنوب سنة 1902م، وصدور قرار 14 أفريل1907م الذي أصبحت بموجبه الأغواط تابعة لإقليم غرداية العسكري [2].

د) متليلي: انسحب القوات الفرنسية من متليلي بتاريخ 22 جانفي 1854م بعد أن دفع سكانها جزية رمزية، وعينت السلطة الاستعمارية مجموعة من قُياد؛ فكان أولهم قايد "عزوز ابن أمحمد" الذي عين قايدا على الشعانبة بتاريخ 30 ماس 1854م[3]، وجعلت مقره متليلي وخاضع لسلطة الباشاغا سي حمزة بن بوبكر بورقلة، لكن سلطة الاحتلال بالمنطقة لم تدم طويلا، إذ بعد قيام ثورة أولاد سيد الشيخ عام 1864م انضم شعانبة متليلي إليها، مما دفع بالجنرال " دو سونيس" إلى إعادة احتلال متليلي سنة 1866م، وتعيين القايد" سليمان بن مسعود" 1866م– 1874م، حيث وسع من سلطته الجنرال "لوفيودو(Loverdo)" ليصبح قايدا لشعانبة متليلي وشعانبة المنيعة سنة 1875م[4]، وخلفه في المنصب القايد "عبد القادر بن محمد" سنة 1879م [5]، وفي نوفمبر1882م أصبحت متليلي تابعة للملحقة العسكرية غرداية التابعة للدائرة العسكرية الاغواط[6]، ومع صدور قانون 24 ديسمبر 1902م، أصبحت متليلي ضمن مدن إقليم غرداية العسكري[7].

ذ) طوارق آزجر والهقار:

النظام السياسي الذي كان سائدا عند الطوارق في مناطق الهقار وآزجر مختلف عن النظام

---

(1) E, Mangin : Notes Sur L'Histoire de Laghouat, Adolphe Jourdan- Libraire- Editeurs, Alger, 1895, pp 139-200.

(2) A.W.C: G. G.A : Exposé de la situation générale des Territoires du Sud de l’Algérie, 2emP l'œuvre accomplie 1er Janvier 1903- 31 Décembre 1929, Imprimerie Algérienne, Alger, 1929, p619.

(3) جريدة المبشر، 30 ماس 1854م، ص 4.

(4) E, Mangin.: «Notes sur l’histoire de Laghouat, 5emP », R. A, A. Jourdan, Libraire-éditeur - Algérie, N°39, 1895, p 134.

(5) لكحل، الشيخ: المرجع السابق، ص ص 32.

(6) G.G.A: Tableau général des communes de l'Algérie 1902, Imprimerie Vtm Giralt, Alger, 1902, p 66.

(7) A.W.O: Loi du 24 Décembre 1902…, Op.cit. pp 535- 536.

السياسي الذي كان في باقي مناطق الجنوب الجزائري من حيث التنظيم والنمط السياسي وكيفية تداول المناصب [1]، **(ينظر الملحق رقم 03)**، يسمى زعيم قبائل الطوارق بلغتهم أمنوكال، فأمنوكال نتاج كلمتين "مسيس" التي تعني" سيد "و"أكال" يعني" البلد "أو" الأرض "وتركيبهما يكون "مسيس– ن –أكال "بمعنى" سيد البلد" أو" سيد الأرض"، وأدت الضرورة اللغوية إلى تطور الكلمة وتحولها إلى"أمنوكال" لتصبح مفردة مستقلة؛ وهناك من يرى أيضا أن هذه الكلمة ناتجة عن تركيب كلمتي: "أمغار" الذي يعنى "رئيس "أو" زعيم" والتي تطلق في الأصل على رئيس القبيلة بكلمة" أكال"، والاقتران يؤدي إلى" أمغار– ن– أكال "أو"رئيس البلد" ثم حذف النصف الثاني من الكلمة الأولى، وتحول الحرف الأول من الكلمة الثانية من " أ" إلى "و" لتسهيل ارتباط الكلمتين الذي يتم بها أداة الوصل بالحرف "ن"، لتتحول في النهاية إلى "أم –ن– وكال".

ما تجدر الإشارة إليه أن أمنوكال يتم انتخابه من قبل رؤساء مجموع القبائل المشكلة للعصبية، ويتم اختيار أحد المرشحين الذين يملكون هذا الحق من مكتسب من الولادة عند الطوارق، فالأم يمكن أن تمنح لأبنائها حق الزعامة بالوراثة وهذا من مميزات قبائل الطوارق إضافة إلى مجموعة من المميزات التي تجعل من الشخص يعتلي هذا المنصب، نجد من بينها الصفات السياسية والأخلاقية والجسمانية، ويملك أمنوكال مجموعة من الصلاحيات السياسية والاقتصادية والقضائية والاجتماعية تمكنه من إدارة شؤون القبيلة[2] وذلك بمساعدة مجلس مكون من الشيوخ والأعيان يستشيرهم ويناقش معهم قضايا القبيلة[3]، الجدول التالي يمثل أسماء الأمنوكال الهقار والازجر:

أمنوكال (سيد البلد)			
منطقة آزجر		منطقة الهقار	
الاسم	مدة الحكم	الاسم	مدة الحكم
محمد أق ختيتة / اخنوخن أق عثمان	**1824م- 1886م**	**الحاج أحمد أق الحاج البكري**	**1850م- 1877م**
يحي أق ان تليمق	**1886م**	**اهيتاغل أق محمد بيسكا**	**1877م- 1900م**
انقدازن أق ابكدا	**1886م- 1916م**	**اتسي أق املال**	**1900م- 1904م**
		موسى أق أماستان	**1904م- 1921م**

جدول أسماء حكام الطوارق في كل من منطقة ازجر والهقار 1824م– 1921م [4]

(1) محمد مبارك، كيكده : « النظام السياسي عند التوارق والتوسع الفرنسي في أقصى الجنوب » ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بالوادي، ع04، يونيو 2013، ص 4.
(2) مرموري، أحمد: المرجع السابق، ص ص 120- 127.
(3) A.W.C : Henri, Duveyrier: Op.cit .p 352.
(4) مرموري، أحمد: المرجع السابق، ص ص131- 141.

ز) توات:

بعد احتلال توات سنة 1900م، أصدر الحاكم العام للجزائر" ادوارد لافريار (Édouard La Ferrière)" قرارا يقضي بالتنظيم الإداري لإقليم توات، حيث تضمن القرار إنشاء ملحقة توات تكون تابعة للجزائر العاصمة، وملحقتي زوزفانة والساورة تابعتان لعمالة وهران، وإنشاء ملحقة عين صالح وملحقة ايقلي، تُسيّر كلا الملحقتين من طرف ضابط للشؤون الأهلية برتبة نقيب، يساعده نائب برتبة نقيب أو ملازم، مترجم، خوجة وكاتب [1]، أما بخصوص السكان فيتم تعيين قُياد لإدارة شؤونهم من طرف رئيس الملحقة، كما عملت الإدارة الاستعمارية على المحافظة على السلطة التقليدية المتواجدة على مستوى الأعراش والقصور، وذلك بقبولها بفكر نظام الجماعة التواتية المشكلة من الأعيان، والتي يرأسها شيخ يلقب" بالكبير"، وتعتبر هيئة تشريعية وتنفيذية، تتخذ قراراتها بتشاور بين أعضائها، وتكون مسئولة عن تنفيذ قرارات السلطة الاستعمارية، وتخضع لسلطة القايد الذي يترأس العرش وتكون له الكلمة العليا في تسييره، كما يتمتع بامتيازات معنوية ومادية كالتواصل المباشر مع حاكم الملحقة [2]؛ الجدول التالي يوضح ما سبق:

القياد	المنطقة /القبيلة	القياد	المنطقة /القبيلة
محمد عبد القادر بن بلقاسم	عرش بودة بمنطقة مراقن	محمد بن احمد	سكان منطقة أسبع
محمد عبد الرحمان بن الحاج محمد	عرش تيمي، تنلان وتسفاوت	سالم بن الحاج محمد	سكان منطقة تمنطيط
أب علا عبد الله	سكان منطقة بوفادي، نومناس و اعباني	بريك بن سيد احمد	عرش فنوغيل
العابد بن محمد	عرش تامستب بمنطقة تيطاف	مولاي أمحمد بن محمد	عرش أولاد السي حمو بلحاج بزاوية كنته
محمد الأمين بن المكي	سكان منطقة انزجمير	مولاي احمد بن مولاي عبد الكريم	سكان منطقة سالي
مولاي الحسان بن مولاي عبد القادر	سكان منطقة رقان		

جدول أسماء قياد ملحقة توات سنة 1900م [3]

[1] إبراهيم، مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي...، المرجع السابق، ص ص 113- 114.

[2] عبد الله، بابا: الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات إبان الاحتلال الفرنسي 1900م-1962م من خلال السجلات المحكمة الشرعية، تحت إشراف د/ مبارك جعفري، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أحمد دراية- أدرار، السنة الجامعية، 2018-2019، ص 50.

[3] A.G.P Martin: Oasis Sahariennes, Gourara-Touat-Tidikelt, Edition de l'imprimerie algérienne Alger, 1908, pp194-197.

ثالثا: التنظيم الإداري والمالي للجنوب الجزائري 1902م– 1914م

1) دوافع التنظيم الإداري للجنوب:

إن طبيعة الجنوب وجغرافيته الوعرة صَعب من عملية التوغل العسكري الاستعماري، ومن ثَم أضحى النظام العسكري بمنظور السلطة الاستعمارية النموذج الملائم والأنسب للتسريع من عمليات التوسع من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذا النظام يقطع التواصل بين الشمال والجنوب خاصة بما تعلق بمسألة الإمدادات المادية والبشرية التي تلقتها المقاومات في الجنوب من سكان الشمال، لأن التجربة التاريخية بالنسبة للسلطة الاستعمارية أثبتت أن الارتباط بين شمال الجزائر وجنوبها بقي متواصلا حتى أثناء التوغل الاستعماري نحو الجنوب، وهذا ما أكدته وجسدته المقاومات الشعبية التي قامت في الشمال، والتي أوجدت قواعد لها في الجنوب، كما أن المقاومات التي انطلقت من الجنوب كان لها امتداد وانتشار في الشمال [1]، تركزت دوافع تنظيم ادارة الجنوب في دافعين رئيسيين هما:

ا) الدوافع الأمنية:

أشار الرحالة الألماني "جيرهارد رولفز" (Friedrich Gerhard Rohlfs) –الذي زار إقليم توات سنة 1864م، وشاهد بنفسه دعم سكان الجنوب للثورات الشعبية ودعا إلى ضرورة توسيع دائرة الاحتلال نحو عمق الجنوب، إذ يقول: "... قبل كل شيء على الفرنسيين نقل حدودهم إلى غاية وادي الساورة، فمن هناك بالضبط تنبعث كل المصاعب وكل الفوضى ما دام الفرنسيين لم يستولوا على هذه الحدود الطبيعية، فلن يكون هناك أي هدوء دائم في جنوب مقاطعة وهران..."، وهذا ما يؤكد أن المشاكل التي كانت تعاني منها السلطة الاستعمارية في الإقليم الشمالي كان مصدرها الجنوب، وهي إشارة إلى حركات المقاومة التي اتخذت من الجنوب معقلا لها؛ اتخذته كمركز للدعم وإعادة الانبعاث، وهذا الارتباط أضحى يشكل خطرا على الوجود الاستعماري في الجزائر، وصار من العقبات التي رأت فرنسا ضرورة إزاحتها [2].

---

[1] محمد، برشان: « التنظيم الإداري في الجنوب الجزائري »، المجلة الخلدونية ، جامعة ابن خلدون- تيارت، ع09، جوان 2016، ص 178.

[2] إبراهيم، مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي...، المرجع السابق، ص 77.

شكلت حدود الجنوب الجزائري[1] مع الدول المجاورة خاصة الغربية منها، ميدانا لدعم المقاومات الشعبية، وتجلى ذلك بشكل واضح في مقاومة الشيخ بوعمامة 1881م– 1908م الذي اتخذ من إقليم فيقيق التابع للسلطنة المغربية معقلا آمنا له، وبالتالي أصبحت الوضعية الأمنية في الجنوب الوهراني بحسب السلطة الاستعمارية جد خطرة [2]، وقد أكد هذه الحقيقة الجنرال ليوتي (Lyautey) عندما صرح قائلا: "...إن المشاغبين توغلوا إلينا بسهولة لأن معاهدة سنة 1845م المتفق عليها بين المغرب وفرنسا، تشير إلى عدم وجود حدود إقليمية مُقامة بين البلدين ما دامت الأراضي في الجنوب غير مزروعة، وقد كان للإعلام المقروء دور كبير في تضخيم قضية تفاقم الوضع الأمني المتدهور بالجنوب الوهراني لاتخاذ ذلك وسيلة لتبرير التدخل العسكري في المنطقة..." [3].

ب) الإستراتيجية: اشتداد التنافس الأوروبي على المغرب الأقصى والصحراء الواقعة جنوبه، خاصة بين فرنسا، ألمانيا واسبانيا، وخوفا من انتقال دائرة التنافس والصراع إلى الجنوب الجزائري، سارعت فرنسا إلى تسوية الأزمة عن طريق الحل الدبلوماسي، بعقد مؤتمر دولي بالجزيرة الخضراء سنة 1906م، جاء هذا المؤتمر تتويجا للاتفاقيات السرية المبرمة مع الدول المعنية [4].

2) مراحل التنظيم الإداري للجنوب 1902م– 1914م:

1.2) النظام الإداري للجنوب قبل سنة 1902م:

مثل الجنوب الجزائري في نظر الحكومة الفرنسية مخزونا اقتصاديا، ومركزا أمنيا وموقعا استراتيجيا يُؤمن موقعها الاستعماري في القارة الإفريقية عموما والساحل الإفريقي الغربي بشكل خاص من ثم حاولت عزله وفصله عن باقي أقاليم الشمال الجزائري، عبر إصدار مجموعة من القوانين والتشريعات الاستثنائية، حتى يصبح إقليما مستقلا بالتدريج.

---

[1] فيما يخص مسألة تَشكل الحدود السياسة للجنوب الجزائري ينظر: عبد الله بكوش، فتيحة سيفو: « إشكالية الحدود السياسية للجنوب الجزائري خلال العهد الاستعماري 1845م- 1919م »، مجلة عصور جديدة ، جامعة وهران، مج11، ع03، نوفمبر 2021، ص ص 321- 334.

[2] محمد، برشان: « التنظيم الإداري في......، المرجع السابق، ص 179.

[3] Pierre, Lyautey: Vers le Maroc, Lettre du Sud Oranais 1903-1906, Librairie Armand Colin, Paris 1937, p 6.

[4] محمد، برشان: « التنظيم الإداري في...، المرجع السابق، ص ص 179- 180.

أصدر البرلمان الفرنسي منذ سنة 1844م قانونا يقضي بمد منطقة الاحتلال نحو الجنوب، وإنشاء مراكز عسكرية في المدن التي تتحكم في المبادلات التجارية بين الشمال والجنوب، وانطلاقا من هذه المراكز يتم التوغل نحو الصحراء الكبرى [1].

بعد سقوط النظام الإمبراطوري بزعامة نابليون الثالث، تم الإعلان عن الجمهورية الثالثة في سبتمبر 1871م، وصادق البرلمان الفرنسي يوم 09 مارس 1871م، قرار تعديل النظام الإداري للجزائر، والذي صدر في شكل مرسوم يوم 29 مارس 1871م، من أهم ما جاء فيه:

1- تقسيم الجزائر إلى إقليمين: شمال مدني وجنوب عسكري.

2- إسناد حكم الإقليمين إلى حاكم عام مدني واسع السلطات يخضع مباشرة لوزير الداخلية.

3- إنشاء مجالس بلدية ومجالس العمالات وفق النظام المعمول به في فرنسا.

4- يحق للمستوطنين الأوربيين انتخاب تسعة نواب في البرلمان وثلاثة في مجلس الشيوخ.

5- إنشاء مجالس استشارية للنظر في شؤون المستوطنين الخاصة [2].

طوال الفترة الممتدة من سنة 1871م إلى غاية سنة 1902م، ظل الجنوب الجزائري خاضعا للحكم العسكري، بحكم أن الجنوب كانت ميدان للتوسع العسكري الفرنسي ونشاطا للثورات الشعبية، حتى صدور قرار 24 ديسمبر 1902م الذي تضمن عزل المناطق الجنوبية عن المناطق الشمالية الجزائرية، و يؤكد هذه الحقيقة " أوغسطين برنارد" (Bernard Augustin) في ختام مؤلفه الذي هو بعنوان "التوغل في الصحراء الجزائرية" والصادر سنة 1906م، بحيث يقول: "من المؤكد أن الصحراء لا تستحق التضحية بالكثير من الرجال ولا بالكثير من الأموال، فهي ذات أهمية ضئيلة إن لم تكن منعدمة سواء باعتبار قيمتها الذاتية نفسها أو على اعتبار كونها منفذا نحو السودان، يجب الاحتراز والحرص على عدم تطوير بعض التنظيمات الأولية التي زودناها بها ولقد بينت التجربة أن جهدا محدودا يكفي للقيام بعمل الشرطة وهذا هو الأساس" [3].

---

[1] رضوان، شافو: مقاومة منطقة تقرت ...، المرجع السابق، ص 44.

[2] يحي، بوعزيز : سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية 1830م- 1954م، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 2007، ص 27.

[3] Bernard Augustin, Napoléon Lacroix, La Pénétration Saharienne 1830-1906, Imp. Algérienne, Alger, 1906, pp 193- 194.

2.2) التنظيم الإداري 1902م– 1914م:

تجسدت أولى الخطوات في هذا الإطار، عندما احتدم النقاش بين نواب البرلمان حول إصدار قانون يتضمن مشروع تنظيم مناطق الجنوب، ووضع ميزانية خاصة لها؛ فهذا القانون اقترحته الحكومة الفرنسية في 21 مارس 1902م، وبعد مناقشات حادة بين البرلمانيين في كل من باريس والجزائر العاصمة، تمّت المصادقة عليه يوم 24 ديسمبر 1902م [1].

ظل قانون 24 ديسمبر 1902م[2] **(ينظر الملحق رقم 04)**، طوال نصف قرن هو النظام الأساسي لأراضي الجنوب الجزائري، والذي استهدف: منح الحاكم العام في الجزائر السلطات اللازمة لإدارة أراضي الجنوب الجزائري، فقد أوكل إليه حفظ النظام والدفاع، ووضعت تحت تصرفه قوات عسكرية لذلك، وتم تعيين على كل من أقاليم الجنوب قائد عسكري يعين بمرسوم بناء على عرض الحاكم العام، واقتراح وزير الداخلية والحربية،والمحافظة على مبدأ الوحدة السياسية الشكلية بين شمال الجزائر وجنوبها، ويتجلى ذلك من خلال التمثيل النيابي لأقاليم الجنوب الجزائري في البرلمان الجزائري والبرلمان الفرنسي [3].

1.2.2) التقسيم الإداري:

أ) على مستوى الأقاليم:

صدرت العديد من المراسيم التي تَضبط وتُنظم سير شؤون أقاليم الجنوب، نجد: المرسوم الخاص بتحديد صلاحيات الحاكم العام وتنظيم إدارة الأقاليم الجنوبية الذي صدر في 14 أوت 1905م، وبموجب هذا المرسوم اعتبر الجنوب الجزائري منطقة حكم عسكري مقسمة إلى أربعة أقاليم هي: "إقليم عين الصفراء، الواحات، غرداية وإقليم تقرت"، على رأس كل إقليم قائد عسكري معين بمرسوم، وباقتراح من وزيري الداخلية والحربية بعد ترشيحه من طرف الحاكم العام [4].

---

[1] Lehuraux (Capitaine): «Le statut Territorial des Territoires du Sud de l'Algérie», R. A, A. Jourdan, Libraire-éditeur - Algérie, N°81,1937, p171.

[2] A.W.O: Loi du 24 Décembre 1902…, Op.cit. pp 535- 536

[3] عبد القادر، مرجاني: المرجع السابق، ص ص 273- 274.

[4] A.W.O: Décret du 14 Août 1905, J.O.R.F, Paris, N 222 , 18 Août 1905, pp 5029- 5030.

الجدول التالي يوضح ذلك:

أقاليم الجنوب الجزائري	اسم الحاكم	مدة الحكم
إقليم عين الصفراء	الجنرال ليوتي (Lyautey)	1903م- 1907م
	الجنرال فيجي (Vigy)	1907م- 1908م
	الجنرال أليكس (Alix)	1908م- 1911م
	الجنرال لوفو (Leve)	1911م- 1915م
إقليم غرداية	المقدم مونو(Monot)	1905م- 1909م
	المقدم بيارو (Pierron)	1909م- 1912م
	المقدمبيرنادو(Bernadotte)	1913م- 1914م
	المقدم قوني (Guenin)	1914م- 1915م
إقليم تقرت	الرائد روبرت (Ropert)	1905م- 1910م
	المقدم رينو(Reynaud)	1910م- 1914م
إقليم الواحات	العقيد لابرين (Laperrine)	1901م- 1910م
	الرائد باين (Payn)	1910م- 1913م

جدول أسماء الحكام العسكريين لأقاليم الجنوب الجزائري 1901م- 1914م[1]

ب) على مستوى الدوائر والملحقات:

بموجب مرسوم 10 أفريل 1907م، كان تنظيم الأقاليم كالتالي:

-**إقليم عين الصفراء** مقره بملحقة عين الصفراء ويضم: دائرة جيريفيل، دائرة المشرية، ملحقة بني ونيف، دائرة كولومب بشار (ملحقة بني عباس، ملحقة توات ومركز قورارة).

-**إقليم الواحات** مقره بملحقة عين صالح ويضم: ملحقة تيديكلت، ملحقة ورقلة ومركز القليعة.

- **إقليم غرداية** مقره بملحقة الأغواط ويضم: دائرة الجلفة، ملحقة الأغواط، دائرة غرداية.

-**إقليم تقرت** مقره بملحقة تقرت ويضم: ملحقة بسكرة، ملحقة الوادي، مركز أولاد جلال [2].

كان التنظيم الإداري في هذه الأقاليم مزدوج (مدني-عسكري)، بحيث يوجد تنظيم عسكري في مراكز التسيير في كل من الدوائر والملحقات، وتنظيم إداري مزدوج في البلديات المختلطة والبلديات الأهلية.

2.2.2) تسيير أقاليم الجنوب:

أ) على مستوى الأقاليم:

أكدت المادة الأولى من المرسوم 14 أوت 1905م أن للحاكم العام وحده فقط الحق الاتصال بوزراء الحكومة الفرنسية بباريس، كما منحت لقائد الجيش 19 المتمركز في العاصمة

---

(1) A.W.C: G. G.A : Exposé de la situation… 2emP..., Op.cit.

(2) A.W.O: Décret du 10 avril 1907, J.O.R.F ,Paris , N 108, 21 Avril 1907, p 3051.

صلاحية الاتصال بوزير الحربية بباريس، ونصت المادة الثانية على أن الموظفين المكلفين بمصلحة شؤون الأهالي في أقاليم الجنوب هم ضباط عسكريون تعينهم وزارة الحرب تحت إمرة الحاكم العام، أما المادة الثالثة فقد منحت مجلس حكومة الجزائر صلاحيات متعلقة بتسيير أقاليم الجنوب، هي ذات الصلاحيات التي تكرسها الإدارة الاستعمارية في مدن الشمال، إضافة إلى الحق في إبداء الرأي حول ميزانية هذه المناطق، كما تم تعيين مستشار مقرر خصيصا لأقاليم الجنوب، ومكلف بالتفتيش المستمر لشتى المصالح الإدارية التي تخص الجنوب الجزائري [1].

ب) على مستوى البلديات:

- البلديات المختلطة (Communes-mixtes):

أنشئت بموجب مرسوم 20 ماي 1868م (المادة الثانية من المرسوم)، وتكون رئاسة البلدية المختلطة للقائد الأعلى للوحدة العسكرية في الدائرة، وهو يُسير البلدية بكل حرية، يُدير شؤون المصالح العامة، يعد الميزانية، يسجل كل النفقات، يراقب كل الحسابات ويعين الموظفين الإداريين في البلدية، كما أن لرئيس البلدية الحق في إنشاء أي مشروع، يقرر الأعمال الطارئة، يستدعي المسئولين الكبار لإعطاء وجهات النظر، ويستطيع الضابط الأول أن ينوب عنه بحكم الصلاحيات الممنوحة له مثل: الإشراف على الحالة المدنية للأهالي، العمل على تحسين أحوال المراكز، تعيين حراس للمقابر المسيحية، السهر على نظافة الأحياء في المراكز خاصة المقر والقيام بأعمال الصيانة وتحسين الظروف الصحية، بلغ عدد البلديات المختلطة بالجنوب خمسة بلديات [2].

- البلديات الأهلية (Communes Indigènes):

تمثل النموذج السائد في أقاليم الجنوب، نظرا لقلة المعمرين إن لم نقل انعدامهم، وتمثل هذه البلديات الصورة الحقيقية للقهر الذي تمارسه الحكومة الاستعمارية من قمع عسكري، يجسده حكام الأقاليم والدوائر والملاحق، وحتى ضباط المراكز وأعوان الإدارة الاستعمارية من السكان، خاصة أنهم محرومون من حق التمثيل النيابي؛ تضم هذه البلديات مجموعات من القبائل لكل قبيلة

---

(1) A.W.O: Décret du 14 Août 1905..., Op.cit.pp 5029- 5030.

(2) عبد القادر، مرجاني: المرجع السابق، ص ص: 273- 274.

أرضها الخاصة بها، يديرها مجلس جماعة يعين من طرف الحاكم العام، بلغ عدد البلديات الأهلية في الجنوب سبعة بلديات، بحيث يتكون تنظيم إداري لكل بلدية يتكون من القائد العسكري للدائرة بصفته الرئيس، وأعضاؤها هم العسكريون والقياد والأغوات يعينهم قائد الدائرة كل أربعة أعوام، ولكل قبيلة مجلس جماعة يعينه الوالي العام في أراضي الجنوب ولمجلس الجماعة كاتب مكلف بدفاتر الحالة الشخصية [1]،**(ينظر الملحق رقم 05)**، والجدول التالي يوضح ما سبق:

الإقليم	البلديات المختلطة	البلديات الأهلية
إقليم عين الصفراء	عين الصفراء،المشرية، جيريفيل	كولمب بشار
إقليم غرداية	الأغواط، الجلفة	غرداية، الاغواط،الجلفة
إقليم تقرت	/	بسكرة، تقرت
إقليم الواحات	/	الواحات الصحراوية

جدول أسماء البلديات المختلطة والأهلية في أقاليم الجنوب الجزائري سنة 1904م [2]

3) التنظيم المالي للجنوب:

إن الاستقلال المالي لأقاليم الجنوب، يتضح جليا من خلال المادة الخامسة من قانون 24 ديسمبر 1902م[3]، وبداية تطبيقه فعليا كان ابتداء من تاريخ 01 جانفي 1904م، حيث الغرض منه هو استغلال الموارد المتوفرة في هذه الأقاليم لإشباع حاجات فرنسا الاقتصادية والإستراتيجية، لكن فرنسا وجدت أنه يجب عليها توفير هياكل لاستغلال هذه الثروات وذلك بانجاز مجموعة من المشاريع: الطرق، السكك الحديدية، محطات إنتاج الطاقة الكهربائية، شبكة التليغراف وهياكل التعليم، قامت الحكومة الفرنسية بوضع ميزانية لكل المنشآت، والتي كانت مصادرها أغلبها محلية وقعت على كاهل السكان [4].

بمقتضى مرسوم 30 ديسمبر 1903م ومرسوم 14 أوت 1905م، واصلت الحكومة الفرنسية دراسة وتحضير الميزانية الخاصة بأقاليم الجنوب، وقد أُعدت الميزانية من طرف الحاكم العام، و درست من قبل مجلس الحكومة، وضبطت بمرسوم بحيث قسمت إلى فرعين: ميزانية مدنية وميزانية عسكرية، على النحو التالي:

---

(1) عبد القادر، مرجاني:المرجع السابق، ص ص 273- 274.
(2) A.W.C: G. G.A : Exposé de la situation… 2emP..., Op.cit. pp 618- 619.
(3) A.W.O: Loi du 24 Décembre 1902…, Op.cit. pp 535- 536
(4) A.W.C: G. G.A : Exposé de la situation…2emP... ,Op.cit.p 572.

الميزانية المدنية: تشمل المداخيل والنفقات المحلية: كالضرائب، التجارة، القروض.

الميزانية العسكرية: تتكفل بها وزارة المالية الفرنسية بباريس، حسب ما جاء في المادة الخامسة من قانون 24 ديسمبر 1902م، والتي تعد من طرف وزير المالية ووزير الحربية [1].

4) خصائص التنظيم الإداري بالجنوب:

مما تقدم ذكره، وبموجب قوانين 1902م، 1903م، 1904م و1907م، أصبح الجنوب الجزائري من الناحية القانونية مستعمرة مستقلة لها إدارتها ولها ميزانيتها ولها أملاكها ولها حق عقد الصفقات التجارية الخارجية، وترتبط مع عمالات الثلاث بالشمال في كونها خاضعة لسلطة الحاكم العام في الجزائر العاصمة الذي هو الرئيس الأعلى للإدارة بالجنوب [2].

ومن ثم يُمكن القول:

أ- التنظيم الإداري بأقاليم الجنوب مثّل نموذجا إداريا ثالثا خاصا به، فهو يختلف عن التنظيم الإداري المدني الذي طبق في الشمال الجزائري، وعن نظام الحماية الذي فرضه الاستعمار الفرنسي بدول الجوار (تونس،المغرب الأقصى)، حيث يُجسد النظام العسكري في الجنوب الجزائري الإدارة المزدوجة والمكونة من الإدارة الاستعمارية والإدارة الأهلية، فالإدارة المحلية في الجنوب كانت تجمع بين السلطة العسكرية والوظائف القضائية، والصلاحيات الإدارية، ووُضعت سلطة التسيير الإداري تحت إشراف قادة عسكريين يخضعون مباشرة لسلطة الحاكم العام، أي أن الحاكم العام كان الرئيس الفعلي والأعلى للإدارة في الجنوب الجزائري [3].

ب- أنواع البلديات الموجودة في الشمال - كالبلديات كاملة الصلاحية مثلا- غير موجودة في الجنوب ما عدا البلديات المختلطة وهذه الأخيرة، يرأسها ضابط بخلاف بلديات الشمال التي يرأسها متصرف إداري.

ت- امتلكت البلديات بأقاليم الجنوب خصوصية تميزها عن البلديات في الشمال الجزائري،

---

[1] A.W.C: G. G.A : Exposé de la situation…2emP... ,Op.cit. pp 572- 595.

[2] عبد المجيد، شيخي: « الإدارة الفرنسية في الصحراء حتى الاستقلال »، مداخلة الملتقى الوطني الأول حول: فصل الصحراء عن الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 1998، ص ص 220، 221.

[3] محمد، برشان: « التنظيم الإداري في...، المرجع السابق، ص ص187- 188.

فالبلديات المختلطة يترأسها إما ضابط أو مستشارو البلدية الذين ينتخبون لمدة ست سنوات، والأعضاء الآخرون يَتشكلون من رؤساء الجماعة والقياد، أما في البلديات الأهلية كان يترأس اللجنة البلدية قائد الملحقة وهو عسكري، والسكان فقد كانوا ممثلين من قبل قياد وأعيان القبائل المكونة لإقليم البلدية.

ث- اللجان البلدية كانت مكونة من أعضاء أوروبيين منتخبين وأعضاء من الأهالي مُعينين لأن مرسوم 06 فيفري 1919م لم يطبق في أقاليم الجنوب، إذ حُرم السكان في الأقاليم الجنوبية من كلّ الحقوق المدنية، ومُنعوا من الترشح والانتخاب على الرغم من أنّ هذا المرسوم سمح لسكان المسلمين المشاركة في الانتخابات المحلية واستمرت هذه الوضعية إلى غاية صدور القانون الأساسي للجزائر في 20 سبتمبر 1947م[1].

ج- يُضاف إلى ذلك كلّه فإنّ قوانين الإدارة بالجنوب سمحت بدعم السلطة الشخصية للقادة العسكريين، بحيث كان لهم حق فرض الغرامات أو إصدار الأحكام بالسجن وذلك حسب رُتبهم العسكرية، وليس بمقتضى خطورة المخالفات، ومن ثم فقد أُستخدمت هذه الصلاحيات بشكل تعسفي لكي تكرس القمع القضائي لسكان الجنوب، وكان الهدف الأساسي من ذلك إحكام السيطرة على مناطق الجنوب الجزائري.

ح- ارتبط السكان هذه الأقاليم بطغيان المحاكم الزجرية التي كانت تحت إشراف الإدارة العسكرية، وهي إدارة تتكون من مجالس عسكرية مهمتها النظر في المخالفات والجرائم العامة، وتتفرع عن هذه المجالس لجان الضبط التأديبية، يُضاف إلى ذلك الصلاحيات الواسعة التي خولها القانون للقادة العسكريين في توقيع العقوبات[2] ، وهذا العنصر سنتطرق إليه في النظام القضائي في الجنوب.

5) رد فعل المعمرين بمدن الشمال الجزائري تجاه التنظيم الإداري للجنوب:

تركزت تحفظات المستوطنين حول مشروع التنظيم الإداري بالجنوب، في أربعة نقاط رئيسية:

أ- الخوف من أن يؤدي التنظيم الإداري للجنوب، إلى تهديد الإدارة المدنية في المناطق الشمالية

---

(1) محمد، برشان: « التنظيم الإداري في...، المرجع السابق، ص 188.

(2) نفسه، ص ص 188- 189.

خصوصا إذا وضعت إدارة الجنوب تحت إشراف حاكم عسكري واحد.

ب- خشية المستوطنون من أن يؤدي هذا التنظيم الجديد إلى غلق أبواب حركة الاستيطان الأوربي نحو الجنوب.

ت- الخوف من حرمان الخزينة العامة للعمالات الثلاث من المداخيل التي تجبيها عن طريق الضرائب خاصة من مدن الهضاب العليا، المحاذية لمدن شمال الجنوب الجزائري.

ث- التخوف من تحمل خزينة العمالات الثلاث نفقات القوات العسكرية المتمركزة في الجنوب، خاصة بعد أن أصبح الجنوب يتمتع بالاستقلال المالي منذ سنة 1904م.

حصل المعمرون على ترضيات عن كل هذه التحفظات، فالجنوب لن يخضع لسلطة حاكم عسكري واحد، وإنما سيقسم إلى أربعة أقاليم كل إقليم يحكمه قائد عسكري تحت مراقبة وإشراف المباشر للحاكم العام فيما يخص تسيير الشؤون المدنية، وعن طريق قائد الفيلق 19 المتمركز في العاصمة بالنسبة للشؤون العسكرية، كما أعطيت ضمانات بخصوص حركة الاستيطان[1]، فالحدود الشمالية للأقاليم الجنوبية، ستكون الحدود الجنوبية لمناطق الحكم المدني في الشمال أي جنوب دائرة مغنية العسكرية، ملحقة العريشة، سعيدة، دائرة تيارت العسكرية، ملحق أفلو، دائرة بوغار العسكرية، ملحق الشلالة، سيدي عيسى، دائرة بوسعادة العسكرية، ملحق بريكة، مركز تكوت التابع لدائرة بسكرة العسكرية، دائرة خنشلة وتبسة العسكريتين [2]، كما تعهدت الإدارة الاستعمارية بدفع الحدود الجنوبية للعمالات الثلاث نحو الجنوب إذا ما دعت ضرورة الاستيطان إلى ذلك، وبالنسبة لميزانية الإنفاق الخاصة بأقاليم الجنوب الجزائري، فستكون لها ميزانية مستقلة تعتمد على الاكتفاء الذاتي انطلاقا من مداخيل الموارد المتوفرة في الجنوب، وستتحمل وزارة الحربية نفقات الحاميات العسكرية المتمركزة بالجنوب [3]،**(ينظر الملحق رقم 06).**

---

[1] جمال، قنان: المرجع السابق، ص 148.

[2] A.W.C: G. G.A: Exposé de la situation générale des Territoires du Sud de l'Algérie, 1erP Ce qu'ils sont - Pourquoi ils ont été créés, Imprimerie Algérienne, Alger, 1929, p 4.

[3] جمال، قنان: المرجع السابق، ص 148.

الفصل الثانـي:

الوضع الاجتماعي لمجتمع الجنوب الجزائري (1852م– 1914م)

أولا: البنية الاجتماعية والديمغرافية لسكان الجنوب الجزائري

ثانيا: الوضع الصحي لمجتمع الجنوب الجزائري

ثالثا: جوانب من السياسة الإدارية تجاه مجتمع الجنوب الجزائري

أولا: البنية الاجتماعية والديمغرافية لسكان الجنوب الجزائري

1) التركيبة الاجتماعية لأقاليم الجنوب حسب المناطق:

عرف مجتمع الجنوب الجزائري من حيث التركيبة الاجتماعية ثلاثتصنيفات أساسية: التصنيف الأول على أساس رابطة العرقوالدم والقرابة وهذا يشمل القبائل العربية، القبائل البربرية، الخليط العربي البربري وحتى اليهود، والتصنيف الثاني حسب المكانة الاجتماعية أو الثروة أو المهنة، فنجد: الأشراف، المرابطون، العوام، الحراطين، العبيد...، والتصنيف الثالث على أساس نمط المعيشة، فنجد:الحضر والبدو الرحل،لذا ارتأينا دراسة تركيبة المجتمع حسب المناطق، نظرا لوجود اختلافات في البنية الاجتماعية في كل منطقة، فمثلا التصنيف الأول نجده في منطقة واد سوف وورقلة، أما التصنيف الثاني فنجده في إقليم توات وعند قبائل الطوارق، والعكس غير صحيح، أما التصنيف الثالث فغير ثابت وتتحكم فيه الظروف السياسية والاقتصادية.

أ) وادي سوف:

غالبية السكان في وادي سوف ينتسبون إلى الأصل العربي مع تواجد العناصر البربرية، وهذا نتيجة الهجرات العربية من قبائل بني هلال وبني سليم التي أصبحت تشكل العنصر المهيمن بالإقليم، حيث أصبح غالبية السكان ينتمون إلى عرشين كبيرين هما: عرش طرود وعرش عدوان، لتتشكل منهما التركيبة السكانية الآتية:

– **عرش طرود:**أصلهم يرجع إلى طرود بن فهم بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن سعد ابن عدنان، وقد وصلوا سوف في القرن 14 م[1]، وهم يتوزعون على قبيلتين أساسيتين استوطنتا مدينة الوادي، وضواحيها، وهما:

– الأعشاش: ينحدرون من فرع بني سليم، منهم: أولاد أحمد، أولاد جامع، الفرجان والربايع، واندمجت معهم قبيلة القطاطية التي قدمت إلى سوف في القرن التاسع عشر [2].

– المصاعبة:

(1) إبراهيم محمد الساسي، العوامر: المصدر السابق، ص 336.

(2) نفسه، ص ص 378- 387.

فرع من قبيلة" ماسوفة "البربرية، لكن عوامل التأثير جعلتهم عربا متمسكين، نذكر منهم: العزازلة، الشبابطة والقرافين، واندمجت معهم عائلات من قبيلة شعانبة ورقلة الذين قدموا إلى واد سوف في حدود سنة 1886م [1].

- عرش عدوان:

ينتمون في الأصل إلى عدوان بن عمرو بن قيس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان، توطنوا بادئ الأمر منطقة وادي سوف [2]، ثم امتزجوا مع قبائل أخرى بالمنطقة فتشكل منهم: عرش أولاد سعود وهم: سكان تاغزوت وكوينين والزقم، ورماس وسيدي عون، وكل سكان هذه القرى مزيج بين عرشي طرود وعدوان، أما سكان القرى والمدن الباقية، وهي قمار والدبيلة والبهيمة، عميش، الرقيبة ووادي العلندة، وغيرها من التجمعات السكانية كانت مزيجا من عرشي عدوان وطرود [3].

عرف التعداد السكاني بوادي سوف تطورا ملحوظا في فترة الوجود الاستعماري 1854م- 1911م:

السنوات	1854م[4]	1865[5]	1887م[6]	1900م[7]	1902[8]	1911م[9]	1913[10]
تعداد السكان	18000	20000	21018	32128	44400	47956	89798

جدول يبين تطور عدد سكان وادي سوف وتعدادهم مابين 1854م- 1913م (الوحدة: نسمة)

من خلال الجدول نلاحظ أن تطور السكان عرف مرحلتين هامتين:

- المرحلة الأولى 1854م- 1887م: مرحلة النمو البطيء، وهذا يعود إلى الظروف السياسية المضطربة من حروب التوسع الاستعماري والمقاومات الشعبية المسلحة بالمنطقة، إضافة إلى

---

(1) إبراهيم محمد الساسي، العوامر: المصدر السابق، ص ص: 353- 354.

(2) نفسه، ص 337.

(3) نفسه، ص ص 390- 413.

(4) موسى، بن موسى: المرجع السابق، ص 56.

(5) A.W.C : Joseph, Zaccone: De Batna a Tuggurt et Au Souf, Libraire Militaire, Paris, 1865, p 135.

(6) موسى، بن موسى: المرجع السابق، ص 56.

(7) علي، غنابزية: مجتمع وادي سوف...المرجع السابق، ص 278.

(8) G.G.A: Tableau général… 1902…, Op.cit. p :202.

(9) علي، غنابزية: مجتمع وادي سوف...المرجع السابق، ص 278.

(10) Voinot, (Capitaine) : «Transsaharien et Transafricain», BSGA , Alger, 1913, p 49.

الأوضاع الاجتماعية الصعبة نتيجة للسياسة الاستعمارية، وكذا انتشار الأمراض والأوبئة الفتاكة.

– المرحلة الثانية 1900م –1913م: هي مرحلة عرف فيه تعداد السكان تطورا ملحوظا، وهذا الارتفاع يرتبط بعدة عوامل هي:

– الهدوء والاستقرار السياسي للمجتمع، بعد إحكام الإدارة الاستعمارية قبضتها على السكان.

– تحسن المستوى المعيشي لبعض العائلات المعاونة مع الاستعمار.

– توافد العنصر الأوربي والأجانب (جزائريين من مناطق أخرى، ومهاجرين من دول الجوار).

– تزايد مستويات العناية الصحية لمقاومة الأوبئة ومعالجة الأمراض الفتاكة [1].

ب) تقرت:

التركيبة الاجتماعية لسكان تقرت وضواحيها، تمثل خليطا بين قبائل شتى، جمعتها ظروف الحياة، ووحدتها مميزات وتقاليد اجتماعية واحدة، وهي كالأتي:

– **الرواغة:** ينحدرون من قبيلة زناتة البربرية، ويشكلون أغلبية السكان الذين استوطنوا المنطقة قديما، ويعود أصلهم إلى قبيلتي ريغة وسنجاس البربريتين.

– **العرب:** وفدوا على المنطقة في شكل مجموعات، بعد هجرة قبيلتي بني هلال وبني سليم إلى بلاد المغرب الاوسط، من ابرز قبائلهم: قبيلة رحمان، السلمية، الداريسة، العبادلية، الفتايت، أولاد السايح، وأولاد عبد القادر، أولاد مولات.

– **الزنوج:** هم بقايا أبناء العبيد الذين جاء بهم تجار النخاسة إلى سوق تقرت، فمنهم من وفد من توات، ومنهم من جاء فارا من سيده، ومنهم من وفد باحثا عن عمل من بلاد السودان، وقد انتشروا في جميع القرى تقرت [2].

فيما يخص تعداد السكان بالمنطقة، فقد أشارت بعض التقارير الفرنسية أنه قبل الاحتلال الفرنسي بلغ تعدادهم حوالي 33930 نسمة [3]، وحسب تقرير فرنسي يعود إلى سنة 1852م أشار إلى أن عددهم وصل إلى 41690 نسمة، كما يوضح الجدول التالي:

---

[1] موسى، بن موسى: المرجع السابق، ص 57.

[2] رضوان، شافو: مقاومة منطقة تقرت...، المرجع السابق، ص ص 30- 31.

[3] نفسه، ص 17.

مدينة تقرت وما جاورها	تعداد السكان
تقرت	14700
النزلة	3450
تبسبست	3000
المقارين	400
مَقر	300
الزاوية العابدية	1200
تماسين	14700
بلدة عمر	600
الطيبات الشرقية	1000
الطيبات الغربية	1500
الـهرهيرة	240
غمرة	600
المجموع	**41690**

جدول تعداد سكان منطقة تقرت وما جاورها سنة 1852م (الوحدة : نسمة) [1]

ومع الاستيطان الأوربي بتقرت، ارتفع تعداد سكان منطقة تقرت إلى ليصل إلى 149934 نسمة سنة 1902م[2]، ويبلغ حوالي 168000 نسمة بحلول سنة 1911م، موزعين على النحو الأتي:

الأعراق	عدد السكان حسب إحصائية 1911م [3]
الأوربيين	940
سكان المنطقة	115000
البدو الرحل	51860
الوافدون	200
المجموع	**168000**

جدول تعداد سكان منطقة تقرت سنة1911م (الوحدة : نسمة)

ت) بسكرة:

مجتمع بسكرة تشكل عبر مراحله من مجموعات عرقية مختلفة: كالعرب، البربر، الزنوج واليهود، وينقسمون من حيث نمط الاستقرار إلى بدو الرحل، والحضر، وكان هذا النمط السائد منتشرا في كل قرى الزاب الشمالي، الزاب الجنوبي والزاب الغربي[4]، كما كان سكان هذه القرى

(1) رضوان، شافو: مقاومة منطقة تقرت...، المرجع السابق، ص 17.

(2) G.G.A: Tableau général… 1902…, Op.cit. p 202.

(3) A.N.A: Charles, Lutaud: Exposé... ,Op.cit. p 13.

(4) عبد القادر، مرجاني: المرجع السابق، ص 295.

حسب ما ذكره "اوجين دوما" في كتابه " الصحراء الجزائرية" لا يرجع أصلهم إلى جنس واحد، وذلك من خلال اختلافهم في النظم السياسية، الدينية والفلاحية، من اشهر القبائل التي استوطنت الزيبان نجد: أهل بن علي، شرفة، قمارة، درايد أما اليهود، فكانوا بنسبة قليلة في واحة بسكرة عكس أعدادهم الكبيرة في مناطق التل[1]، الجدول التالي يوضح تعداد سكان مدينة بسكرة وضواحيها:

السنوات	التعداد
1865	4890[2]
1882م	1200[3]
1892م	7166[4]
1902م	8851[5]

جدول تعداد سكان مدينة بسكرة وضواحيها خلال سنوات 1863م – 1902م (الوحدة: نسمة)

من خلال الجدول نلاحظ أن تعداد سكان بسكرة قد انخفض خلال سنوات 1863م– 1882م، حيث وصل تعدادهم إلى حوالي 1200 نسمة سنة 1882م، نظرا لان سكانها كانوا ضحايا حروب التوسع الاستعماري، وهزائم المقاومات الشعبية ونتائجها، وكذا انعكاسات مجاعة سنتي 1867–1868م، يضاف إلى ذلك هجرة بعض سكانها نحو مناطق التل، وحتى إلى دول الخارج، ثم نلاحظ أن تعدادهم بدا بالارتفاع خلال سنوات 1892م– 1902م، نتيجة استتاب الأمن، وتوافد عناصر سكانية جديدة، تتمثل في: النازحين الجزائريين، المعمرين الأوربيين، والتجار اليهود.

ث) ورقلة:

المجتمع الورقلي هو الأخر مزيج من تصاهر العديد من القبائل المختلفة الأصول

---

[1] دوك دي، دوما: الصحراء الجزائرية، ترجمة قندوز عباد فوزية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2013، ص ص141- 159.

[2] A.W.C : Joseph, Zaccone: Op.cit. p 135.

[3] Jean Hurabielle: Op.cit.p 33.

[4] G.G.A : Tableau général des communes de l'Algérie 1892, Imprimerie Pierre Fontana et Compagnie, Alger, 1892, p : 138.

[5] G.G.A: Tableau général… 1902…, Op.cit. p 146.

والأعراق، فمع حلول القرن التاسع عشر كان المجتمع الورقلي يتشكل من:

- البربر:

يعتبر العنصر البربري احد أهم عناصر تشكيلة المجتمع الورقلي، أول من سكنها من الأجناس هم بنو ورجلان الذين ينتسبون إلى قبيلة زناتة البربرية، وهم الذين أسسوا قصر ورقلة العتيق وأطلقوا عليه اسم قبيلتهم، أما القبائل البربرية الأخرى التي استوطنت إقليم ورقلة إلى جانب بني ورجلان، فنذكر منها: بنو يفرن، بنو مغراوة....

- العرب:

القبائل العربية التي استوطنت ورقلة ابتداء من القرن 11م هم الشعانبة، سعيد عتبة، المخادمة، وبنو ثور، وتعود أصول هذه القبائل كلها إلى نسل بني هلال وبني سليم، كما يوضح الجدول التالي [1]:

القبيلة	تعدادها
الشعانبة	7043
المخادمة	4286
بني ثور	3581
سعيد عتبة	3848

جدول تعداد القبائل العربية المشكلة لمجتمع ورقلة 1885م (الوحدة : نسمة) [2]

- اليهود:

وجد اليهود في بلاد المغرب منذ وقت مبكر، وكانت أعمالهم تتركز في التجارة، وقد عرفت واحة ورقلة تواجد هذه الفئة التي سكنت متجمعة بجانب السوق العام بالمدينة، لكن بقاؤهم لم يدم طويلا، فبمجرد قيام دولة الأشراف أولاد علاهم بورقلة في القرن 17م، تم طردهم نهائيا من المدينة [3].

لكن بعد احتلال مدينة ورقلة، عاد اليهود مع المعمرين الفرنسيين تحت غطاء ممارسة الأنشطة اقتصادية، وهذا مايؤكده أوجين دوماس في كتابه " الصحراء الجزائرية "، بحيث ذكر انه

---

(1) الأزهاري، عباز: المرجع السابق، ص ص 19- 28.
(2) رضوان، شافو: الجنوب الشرقي...، المرجع السابق، ص 51.
(3) الأزهاري، عباز: المرجع السابق، ص 29.

في سنة 1851م كانت صياغة المعادن في ورقلة يحترفها اليهود المسافرون الذين يقطنون في ورقلة بضعة أشهر، ويرحلون عنها في فصل الصيف، وقد كانوا يملكون ثلاث ورشات لحرفة النحاس وثلاث ورشات لصناعة الصياغة [1]، ووصل عددهم سنة 1859م حوالي100 فرد مشكلين سبعة أو ثمانية عائلات [2].

- الزنوج:

تم جلبهم بكثرة من بلاد السودان منذ أن بدأ النشاط التجاري لمدينة ورقلة في الظهور[3]، ومن خلال ما تم استقدامه مع القوافل التجارية من عبيد، أصبحوا يشكلون جزءا غير منفصل من النسيج الاجتماعي لورقلة، بحيث وصل عددهم سنة 1877م إلى حوالي 1250 عائلة ملقبة بعائلات الزنوج الصحراويين[4].

عَرف تعداد سكان ورقلة تذبذبا واضحا فحسب تقارير فرنسية لسنة 1842م كان تعداد سكان ورقلة 9600 نسمة، لينخفض العدد إلى 2500 نسمة سنة 1876م[5]، ويستمر في الانخفاض ليصل إلى 1500 نسمة سنة 1877م، نتيجة للظروف التي مرت بها المنطقة من مقاومات شعبية ومجاعات وأوبئة وحتى الهجرات الجماعية[6]، ليرتفع العدد مجددا سنة 1902م إلى 2141 نسمة [7]، ويستمر عددهم بالارتفاع ليصل سنة 1913م إلى 16024 نسمة[8]، نتيجة ارتفاع تعداد المستوطنين الأوربيين واستقرار الوافدين الجدد(جزائريين من مناطق مختلفة وأجانب).

ج) بوسعادة

تعود غالبية سكان المنطقة إلى قبيلة أولاد نايل ذات الأصول العربية، مع وجود فئة ضئيلة

---

[1] Dumas Melchior, Joseph Eugène: Le Sahara..., Op.cit. p 85.

[2] رضوان، شافو: الجنوب الشرقي...، المرجع السابق، ص48.

[3] الأزهاري، عباز: المرجع السابق، ص 28.

[4] رضوان، شافو: الجنوب الشرقي...، المرجع السابق، ص 49.

[5] O. NEIL, Géographie de l'Algérie T1, R.Gauvy libraire, Bône, 1876, p 224.

[6] رضوان، شافو: الجنوب الشرقي...، المرجع السابق، ص ص 51- 52.

[7] G.G.A: Tableau général… 1902…, Op.cit., p 66.

[8] Voinot, (Capitaine): «Transsaharien …, Op.cit., p49.

من اليهود، وأعراش سكان بوسعادة موزعون على النحو التالي:

الأعراش[1]	مكان تواجدهم [2]	عدد السكان بالنسمة[3]
عرش أولاد عامر	غرب واحة بوسعادة	3800
عرش شرفة الهامل	جنوب واحة بوسعادة	1030
عرش أولاد سليمان		450
عرش أولاد سيدي إبراهيم	شمال واحة بوسعادة	2319
عرش الحوامد	شرق واحة بوسعادة	771
عرش أولاد فرج		552
عرش أولاد احمد		1600
عرش أولاد سيدي زيان		1917
عرش أولاد خالد		2525
عرش أولاد عيسى		1445
المجموع		**16409**

جدول أسماء اعراش واحة بوسعادة وتعدادهم سنة 1856م (الوحدة : نسمة)

السنوات	1850م [4]	1856م [5]	1902م [6]
تعداد السكان	5494	16409	24500

جدول تعداد سكان واحة بوسعادة خلال سنوات 1850م، 1856م و1902م (الوحدة : نسمة)

من خلال الجدول تعداد سكان واحة بوسعادة، نلاحظ ارتفاع في عدد السكان حيث بلغ تعدادهم سنة 1850م 5494 نسمة ليصل إلى 24500 نسمة سنة 1902م، نتيجة استيطان العنصر الأوربي، وتوافد الأجانب سواء من داخل الوطن أو خارجه (تونسيين ومغاربة).

(1)Le Baron, Hernie (AU Capitaine) : «Notice sur Bou Saada », R. A, A. Jourdan, Libraire-éditeur - Algérie, N°06,1862, pp 46 -51 .

(2) Ibid. pp 51- 58 .

(3) خميسي، سعدي: المرجع السابق، ص ص 124- 133.

(4) Eudel, Paul, D'Alger à Bou-Saada, Augustin Challamel Éditeur, Paris 1904, p137.

(5)Le Baron Hernie, AU Capitaine, Op.cit, p 51- 58 .

(6) G.G.A: Tableau général… 1902…, Op.cit., p :60.

ح) وادي ميزاب:

كان المجتمع الميزابي ينقسم إلى أربع إلى فئات، على حسب المكانة الاجتماعية وهذه الفئات على النحو الاتي:

- فئة رجال الدين:

تشمل رجال الدين المُسيرين للمجتمع الميزابي في مختلف جوانبه من حياته المتعددة والمختلفة (مجلس العزابة)، وهم متواجدين في كل مدينة من مدن وادي ميزاب، الى جانب ذلك يوجد مجلس ديني أخر خاص بالنساء.

- فئة الأعيان:

هي فئة ذات المكانة الاجتماعية المرموقة، ولكنها ليست منتمية إلى فئة رجال الدين أو العزابة، يساعدون على تطبيق قرارات السلطة التنفيذية لهيئة العزابة، ولديهم مجلس خاص يسمى مجلس الأعيان، يهتم بالشؤون العامة لكل مدينة من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

- فئة العوام:

يعتبرون أساس المجتمع الميزابي، وهم عامة السكان لبني ميزاب من عمال أو طلبة أو غيرهم من فئات المجتمع الغير منتمية إلى فئة رجال الدين أو الأعيان.

- فئة العبيد:

تم جلبهم إلى المنطقة، عن طريق العلاقات التجارية لمنطقة وادي ميزاب والتي كانت تشهد تجارة الرقيق خاصة بينها وبين غرب إفريقيا [1].

- فئة اليهود:

بدأت الهجرات اليهودية إلى وادي ميزاب منذ القرن 15م وتفرق هؤلاء اليهود في قرى وادي ميزاب السبع، وامتهنوا العديد من المهن والحرف كالحدادة والصياغة والتجارة، وطوال تواجدهم بالمنطقة وادي ميزاب لم يسجل عليهم نشاط عدواني أو سياسي واضح ضد السكان، بل جمعتهم مع السكان العلاقات التجارية، كما ساهموا في تحريك وتنشيط سوق الحرف والمهن بإتقانهم هذا

---

[1] عبد القادر عزام، عوادي: المرجع السابق، ص 52.

المجال، لكن مع دخول القوات الاستعمارية واحتلالهم المنطقة، شاركوا الاستعمار الفرنسي في أعمالهم التخريبية بالتجسس والوشاية وبث نار الفتن في المنطقة، وقد بلغ تعدادهم سنة 1882م، حوالي 738 يهودي موزعين على النحو التالي[1]:

اسم المدينة	عدد اليهود
غرداية	422
بونورة	غير معروف
القرارة	
العطف	
مليكة	
بني يزقن	186
بريان	130
المجموع	**738**

جدول تعداد اليهود في وادي ميزاب سنة 1882م (الوحدة : نسمة) [2]

من أولى الإحصائيات الخاصة بتعداد سكان وادي ميزاب، نجد إحصائية أعدها حاكم الأغواط الجنرال مارغريت (Margueritte) سنة 1861م، وأخرى أعدها القائد روبين(Robin) سنة 1882م، يضاف إليها إحصائية أعدها الدكتور شارل أمات(Amat Charles) سنة 1888م، كما يوضح الجدول الآتي:

[1] عبد القادر عزام، عوادي: المرجع السابق، ص ص 51- 52.
[2] نفسه، ص 53.

اسم المدينة	عدد السكان وفق إحصائية 1861م[1]	عدد السكان وفق إحصائية 1882م[2]	عدد السكان وفق إحصائية 1888م[3]
غرداية	6300	11000	14013
بونورة	920	1500	1256
القرارة	2300	4000	2497
العطف	1300	2500	1750
مليكة	800	1200	1850
بني يزقن	3850	5500	5106
بريان	1280	4500	5065
المجموع	**16750**	**30200**	**31537**

جدول تعداد سكان وادي ميزاب وفق إحصائيات : 1861م، 1882م و1888م (الوحدة : نسمة)

من خلال الجدول وبالمقارنة بين إحصائيتي 1861م و1882م، نلاحظ ارتفاع بلغ الضِعف، بحيث كان عدد العدد 16750 نسمة سنة 1861م، ليرتفع إلى 31537 نسمة سنة 1888م، ويصل العدد إلى 38609 نسمة سنة 1913م[4] وذلك راجع لعدة أسباب، أبرزها: تحسن الأوضاع الاقتصادية لسكان ميزاب في ظل معاهدة الحماية سنة 1853م، والتي ضمنت لهم عدم تدخل السلطات الاستعمارية في شؤونهم الداخلية وعلى رأسها الشؤون الاقتصادية، من جهة أخرى اشترطت السلطة الاستعمارية وفق معاهدة الحماية، عدم دعم ومشاركة السكان للثورات الشعبية في أي بقعة من القطر الجزائري، يضاف إلى ذلك توافد الأجانب من مختلف الجنسيات[5].

[1] عبد القادر عزام، عوادي: المرجع السابق، ص 52.

[2] A.W.C: Robin (Commandant): Le Mzab et Son Annexion à La France, Adolphe Jourdan Imprimeur-éditeur, Alger, 1884, p16

[3] Amat, Charles: Le M’zab et les M’zabites, Challamel et C^ie^ Éditeur, Paris, 1888, p 226.

[4] Voinot, (Capitaine): «Transsaharien …, Op.cit., p49.

[5] Ibid. p 225.

خ) الأغواط:

سكنت مدينة الأغواط العديد من القبائل، أشهرها بني لقواط وهم فخذ من مغراوة البربرية، أما العرب فقد نزحوا إلى المنطقة مع هجرات بني هلال وبني سليم إلى المغرب الاوسط خلال القرن 10م، ونتيجة لاختلاط القبائل فيما بينها، تشكلت بالمدينة مجموعتين رئيسيتين: المجموعة الأولى تسمى الأحلاف، وتضم: أولاد زياد، أولاد سكحال، أولاد سالم، أولاد خريق، أولاد بوزيان، أولاد زعنون، أولاد عبد الله، وقد سكنوا الجهة الشرقية من المدينة، أما المجموعة الثانية، تسمى أولاد سرغين، وتضم: البدارة، الجماني، أولاد بلعيز، الفليجات، وسكنوا الجهة الغربية من المدينة[1]، وقد قدر عدد سكان مدينة الأغواط قبل احتلالها بحوالي 3600 نسمة، لينخفض العدد إلى 2500 نسمة بعد الاحتلال سنة 1852م بسبب المجزرة التي ارتكبتها القوات الاستعمارية[2]، ليستمر عددهم بالانخفاض نتيجة الهجرة نحو الداخل أو الخارج، حيث قدر عددهم سنة 1902م بحوالي 2062 نسمة[3].

د) متليلي:

اغلب سكان منطقة متليلي من الشعانبة، وهم من أصل عربي ينحدرون على الأرجح من علاق بن عوف من سليم بن منصور، وقد وفدوا إلى المغرب الأوسط أثناء هجرة قبائل الهلالية في القرن 10م.

استقرت قبيلة الشعانبة بشكل نهائي بوادي متليلي في القرن 14م، وبمرور الوقت زاد عددهم وضاقت المنطقة بهم، فانقسموا إلى ثلاثة مجموعات: مجموعة مواضي توجهت إلى الجنوب واستقرت في قصر بواحة " تورير" وأطلقوا عليها اسم المَنيعة أي المحمية، ومجموعة بوروبة توجهت إلى الغرب واستوطنت ورقلة في حدود منطقة "مية " ومنطقة " العرق"، ومجموعة البرازقة بقيت مسقرة في متليلي داخل قصور صغيرة، ومجموعة شعانبة وادي سوف، وشعانبة

---

(1) E, Mangin : Notes Sur... Op.cit. pp 16- 46.

(2) محمود، علالي : المرجع السابق، ص ص 146- 147.

(3) G.G.A: Tableau général… 1902…, Op.cit. :64.

العرق الغربي الكبير، الذين كانوا منقسمين إلى شعانبة قورارة، وشعانبة بني عباس [1].

شكل البرازقة نواة مجتمع متليلي، تميزوا بكثرة عددهم وتنوع أعراشهم وفروعهم، من أبرزهم عرش أولاد علوش، أولاد عبد القادر، عرش القصر، إضافة إلى عرش بني إبراهيم التي هي فرقة من سكان وادي ميزاب انضمت إلى الشعانبة على اثر التبادل الأسري الذي وقع بين الشعانبة وجيرانهم الميزابيين، كما كان هناك تواجد عدد محدود من السود في متليلي مابين 400 إلى 500 شخص أوكلت لهم بعض أعمال الفلاحية [2].

بلغ تعداد سكان متليلي سنة 1859م حسب تقرير هنري دوفري 1600 نسمة [3]، يضاف إليهم الشعانبة الرحل فيصبح العدد 6000 نسمة، لكن العدد بدأ يتناقص خلال السنوات اللاحقة بسبب مشاركة السكان سواء الحضر أو الرحل في المقاومات الشعبية يضاف إلى انتشار الأمراض وكذا انعكاسات مجاعة سنتي 1867م 1868م[4]، فحسب إحصائية هنري بيسول لسنة 1888م وصل تعداد السكان إلى 3825 نسمة[5]، ليرتفع إلى 5795 نسمة سنة 1896م [6].

ذ) بشار:

عرف المجتمع المحلي في منطقة بشار تقسيمين أساسين:

فالتقسيم الأول: مبني على أساس العرق ورابطة الدم والقرابة، وهذا يشمل قبائل ذوي منيع، أولاد جرير، ونجد هذا التقسيم بين حتى بين سكان القصور.

أما التقسيم الثاني: مبني على أساس الطبقي، وحسب المهنة فنجد: الأشراف، المرابطون، العوام، الحراطين، العبيد، اليهود، على النحو التالي:

- **الأشراف:** تتكون من الفئة الاجتماعية التي يرجع نسبها إلى البيت النبوي.
- **المرابطون:** اشتهرت هذه الفئة بتأسيسها للزوايا وتقديم خدمات اجتماعية و علمية، أو بسب

---

(1) لكحل، الشيخ: المرجع السابق، ص ص 20- 23.
(2) نفسه، ص ص 28- 29.
(3) Henri,Duveyrier: «Coup d'œil sur les pays des Beni M'zab et sur celui des Chaanba Occidentaux», R..A.C, Librairie de L. Hachette et Cie, Paris, T2, Janvier- juin 1860, p 138.
(4) لكحل، الشيخ: المرجع السابق، ص ص 33- 34.
(5) A.W.C : Henri, Bissuel: Les Touareg de l'ouest, Jourdan librairie, Alger, 1888, p 7.
(6) لكحل، الشيخ: المرجع السابق، ص 34.

انتساب البعض منهم إلى طريقة صوفية في منزلة مقدم أو حفيد لمؤسس طريقة ما [1].

-**العوام (الأحرار):** تتشكل هذه الطبقة من سكان المنطقة وغالبيتهم من الفلاحين، الذين يتمتعون بالاستقلال وحرية التصرف في أرزاقهم وأموالهم.

- **الحراطين:** تعود أصول هذه الفئة إلى بلاد السودان، وهم في الأصل عبيد تم تحريرهم، ولكن رغم ذلك كانوا يصنفون ضمن الفئات من الدرجة الثانية.

- **العبيد:** يحتل العبيد الطبقة الدنيا في المجتمع التواتي، وعلى عاتقهم كانت تقع كل الأعمال الشاقة التي يأنف من مزاولتها فئة الأحرار [2]، الجدول الأتي يوضح عدد سكان منطقة بشار:

السنوات	القصور	تقدير السكان بالنسمة
1865م	إقلي	1500
1883م	القنادسة	1200
1893م	واكدة	252
	بشار	600

جدول يبين عدد سكان منطقة بشار حسب تقدير الرحالة الأوربيين 1865م– 1893م (الوحدة: نسمة)

من خلال تقارير الرحالة الفرنسيين – أواخر القرن التاسع عشر – الذين قدموا لنا أرقاما متباينة سواء تعلق الأمر بتقدير عدد العائلات أو تقدير مجموع السكان، فحسب الرحالة جيهارد رولف بلغ تعداد سكان بشار سنة 1863م ما يقرب 5000 نسمة بينما قدر الرحالة فلياس عددهم سنة 1870م بحوالي 2000 نسمة ، وبالمقابل نجد لامارتينيار قد قدر عددهم سنة 1885 حوالي 200 عائلة تقطن منطقة القنادسة، فرغم كل ما قدمه هؤلاء الرحالة الأوربيين من تقديرات حول عدد سكان المنطقة تبقى التقديرات غير دقيقة، بحكم أن عملية الإحصاء لم تشمل القبائل البدوية كأولاد جرير، وذوي منيع [3]، وبحلول سنة 1904م، تم تقديم إحصائية حول تعداد أفراد قبيلتي أولاد جرير وذوي منيع، كما يوضح الجدول التالي:

---

(1) محمد، برشان: الحياة الاجتماعية...، المرجع السابق، ص ص 83- 86.

(2) نفسه، ص ص 86- 88.

(3) نفسه ص ص 158- 159.

اسم القبيلة	تعداد أفرادها بالنسمة
ذوي منيع	2943 [1]
أولاد جرير	1223[2]

جدول تعداد قبيلتي ذوي منيع وأولاد جرير سنة 1904م

إلى جانب السكان المحليين، كانت هناك عناصر وافدة مثل اليهود، والأوربيين:

- اليهود:

شكل اليهود أقلية في المنطقة، إلا أنهم تمتعوا بالحقوق الكاملة التي كفلها لهم الشرع الإسلامي كأهل ذمة، فتلقوا بذلك الحماية الكاملة لأملاكهم وأرزاقهم فكان يسود حالة تعايش بين اليهود والسكان المسلمين بحكم المصالح المتبادلة بين الطرفين، إلا أن هذه العلاقة لم تخلوا من مظاهر التوتر بين الفينة والأخرى [3].

- العنصر الأوربي:

بحكم الموقع الجغرافي المميز، والأهمية الاقتصادية التي حظيت بها منطقة بشار، خاصة بعد اكتشاف الفحم الحجري ببشار وبداية استغلاله سنة 1917م، فاستلزم ذلك إقامة مجموعة من الشركات والمصانع الصناعية بمنطقة بشار، واستدعاء اليد العاملة الأوربية لتحريك عجلة التصنيع، وبتالي توطين العنصر الجديد في المنطقة عن طريف التشجيع على الإقامة في منطقة بشار وتوفير شروط للاستيطان، حيث بلغ عدد الأوربيين بمنطقة بشار سنة 1911م حوالي 400 نسمة [4]، وبحلول سنة 1913م وصل تعداد سكان إلى 15832 نسمة[5].

ر) توات:

عرف إقليم توات بحكم موقعها الاستراتيجي وسط الصحراء، توافد العديد من الأجناس البشرية من الشمال ومن الجنوب عبر فترات زمنية متباعدة، فالمجتمع التواتي مجتمع واحاتي ارتبط مصيره منذ استقراره بالأرض، ناهيك عن عوامل أخرى ساهمت في تشكيل فئات بارزة،

---

(1) Calderaro: « Beni Goumi », B.S.G.A , Alger , 1904, p.p 327, 336.

(2) Ibid.p 351.

(3) محمد، برشان: الحياة الاجتماعية...، المرجع السابق، ص ص 89- 92.

(4) نفسه، ص ص 169- 170.

(5) Voinot, (Capitaine): «Transsaharien …, Op.cit., p49.

عرفت بمكانتها المكتسبة عن طريق النسب الشريف أو العامل الديني، فالتقسيم الفئوي للمجتمع التواتي يقوم علي ميزتين هما: الملكية التاريخية للثروة المحلية في الواحة، وأيضا الانتساب إلى فئة الأشراف المنتسبين لآل البيت النبوي.

بناءا على هاتين الميزتين، أدى ذلك إلى بروز أربع فئات اجتماعية يتجدد ذكرها دائما، في الإحصائيات والتقارير والمراسلات التي تمت بين قُياد العروش والإدارة الفرنسية، بخصوص إحصاء سكان كل عرش أو قصر على أساس فئوي، وعليه كان المجتمع التواتي يتكون مما يلي:

- الشرفاء (الأشراف):

تمتعت هذه الفئة بمكانة مرموقة نظير انتسابها إلى البيت النبوي، وكانوا محل تعظيم وتقدير في معظم قصور توات[1]، ويزعم انتسابهم الى البيت النبوي وبالذات إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها[2]، استحوذت هذه الفئة على 36 % من ملكية الماء وأشجار النخيل، وهذا ما جعلها تمتلك ثروة هامة في الواحة ارتكزت عليها للمحافظة عل مكانتها داخل قصور توات [3].

- المرابطون:

اصل هذا الاسم مأخوذ من الرباطات التي أسست أول الأمر في الثغور لمواجهة الأعداء في شمال بلاد المغرب الإسلامي، ثم تحولت تلك الرباطات فيما بعد إلى أماكن للتعبد والتصوف، وأصبحت تعرف فيما بعد باسم الزوايا[4]، حيث تمتعت هذه الفئة هي الأخرى بالاحترام والتبجيل من طرف سكان المنطقة، ويرجع ذلك إلى انتماء بعضهم إلى أسر ذات مكانة علمية، بتأسيسها للزوايا وتقديمها لخدمات اجتماعية وعلمية، أو بسب انتساب البعض منهم إلى طريقة صوفية ما في منزلة مقدم أو حفيد لمؤسس الطريقة، وقد تمتعت فئة المرابطين بالهيبة والوقار [5].

- العامة الأحرار:

ينتمي معظم أفراد هذه الفئة إلى أصول بربرية وعربية توافدت على المنطقة واستقرت بها

---

[1] Abderrahmane, Selka: « Notice sur le Touat» , B.S.G.A , Alger, N87 à 92, 1922, p 522.
[2] Louis Watin: «Origines des populations du Touat», B.S.G.A, Alger , 1905, p 209.
[3] عبد الله، بابا: المرجع السابق، ص 99.
[4] Abderrahmane, Selka: Ibid. p 522.
[5] عبد الله، بابا: المرجع السابق، ص 99.

عبر فترات زمنية متفاوتة، خاصة من قبيلة زناتة، قبيلة لمتونة وقبيلة صنهاجة، من بين هذه القبائل نجد: قبيلة ذاكون، أولاد حسين، أولاد سليمان، أولاد خير الله [1].

أما توافد القبائل العربية على الإقليم فقد كان على فترات متباعد، وتعتبر قبائل عرب المعقل أول من وصل لتوات، أهم فروعهم في الإقليم نجد: أولاد محمد، الخنافسة، المحارز، أولاد طلحة، أولاد اعيش، بعد الاحتلال الفرنسي للمنطقة توافدت عائلات أخرى، خاصة من قبيلة الشعانبة والغنانمة، والملاحظ أن أغلب قياد العروش كانوا من هذه الفئة [2].

- الحراطين:

تعود أصول هذه الفئة إلى بلاد السودان، وهي أكبر فئة اجتماعية داخل توات، وقد ظهرت هذه الفئة بإقليم توات نتيجة لعوامل عد منها: ظاهر تجارة الرقيق(الزنوج) ثم تحريرهم وفق الشريعة الإسلامية، وفي حالات نادرة كانوا مولدين عن طريق الزواج الذي تم بين رجال فئة الأحرار والنساء من العبيد [3].

- العبيد:

مثلت تجارة الرقيق في القوافل التجارية بين منطقة إفريقيا جنوب الصحراء وحواضر الشمال إحدى المورد الاقتصادية، وباعتبار توات منطقة عبور وسوقا هامة فقد شهدت هي أيضا وجود نسبة كبير منهم في مطلع القرن 20م[4]، حيث قدر عددهم حسب الإحصائيات الفرنسية سنة 1906م في واحات توات بحوالي 1611 عبد، والجدير بالذكر أن الحكومة الفرنسية بعد احتلاها للمنطقة منعت المتاجرة بالعبيد في قصور توات التي كانت سائد قبل الاحتلال الفرنسي، وجاءت مراسلة من السلطات الفرنسية إلى شيوخ القصور تضع شروطا هامة هدفها منع هذه التجارة، من بين هذه الشروط :

–منع بيع وشراء العبيد، مع اعتبار العبد كالعامل الذي بينه وبين رب عمله اتفاق.

---

(1) Abderrahmane, Selka: Op.cit. p 522.

(2) عبد الله، بابا: المرجع السابق، ص ص 100- 104.

(3) Abderrahmane, Selka: Op.cit. p 523.

لمزيد من التفاصيل حول أصول العبيد المجلوبين إلى توات خلال القرن 19م والقرن 20م، ينظر:

(4) Abderrahmane, Selka: Op.cit. pp 523- 524.

–تحريم المتاجرة بالعبيد في الصحراء وفي كل المناطق الواقعة تحت الإدارة الفرنسية.

– جرد أسماء العبيد في كل القصور مع أسماء مالكيهم وتسجيل كل المواليد الجدد ومن تحرر منهم أو توفي.

– عدم نقل عبد من قصر إلى قصر آخر إلا بموافقة حاكم الإقليم وذلك تجنبا لعملية المتاجرة.

–أي إخلال بهذه الشروط من الطرفين سواء العبد أو مالكه فإنه يسجن ويُغرم.

مع هذه الإجراءات الصارمة، اختفت تقريبا هذه الفئة مع مطلع القرن العشرين [1].

الجدول الأتي يوضح ذلك:

فئات السكان	تعدادهم وفق إحصائية 1889م[2]	تعدادهم وفق إحصائية 1900م[3]
الشرفاء (الأشراف)	10081	2651
المرابطين	/	2148
العامة (الأحرار)	34076	4608
الحراطين	33227	6474
العبيد	17624	1611
المجموع	**95008**	**17492**

جدول يبين تعداد فئات المجتمع التواتي وفق إحصائيتي 1889م و1900م (الوحدة : نسمة)

من خلال الجدول نلاحظ تراجع تعداد السكان بنسبة كبيرة، وذلك راجع بالضرورة إلى عدة أسباب، منها مشاركة الأفراد في مختلف المقاومات الشعبية، وكذا الهجرة نحو المناطق المجاورة كالمغرب الأقصى، واستمر عددهم بعد ذلك بالانخفاض بسبب العوامل سابق الذكر، فحسب إحصائية 1909م لعبد الرحمان سكة، قدر عددهم بحوالي 15482 نسمة [4]، ليعرف تعدادهم سنة 1913م ارتفاعا بطيئا وصل إلى 22390 نسمة[5] خصوصا مع توافد الأجانب والمستوطنين الأوربيين، واستقرار الأوضاع الأمنية والسياسية.

---

[1]عبد الله، بابا: المرجع السابق، ص ص 108- 109.

[2] Déporter Victor, Benjamin: La Question du Touat , Sahara Algérien, Gourara-Touat-Tidikelt, Caravanes et Transsaharien, Imprimerie Fontana, Alger, 1891, p 164.

[3] A.G.P Martin: Op.cit. pp 218 -219.

[4]Abderrahmane, Selka: Op.cit. pp 522- 528.

[5] Voinot, (Capitaine): «Transsaharien …, Op.cit, p49.

ز) طوارق الازجر والهقار:

اصل قبائل الطوارق تضاربت حولها الآراء والأقوال منذ القدم وحتى يومنا هذا، لذا سنتجنب الخوض في هذا الأمر، ونركز على الأهم وهو التركيبة الاجتماعية لتلك القبائل، والتي كانت تتكون من خمس فئات رئيسية، حسب ما وصفه الرحالة هنري دوفري:

-فئة أَهَقَارْن Ihaggâren (النبلاء أو السادة):

تحتكر هذه الفئة السلطة السياسية داخل القبيلة، ويُعرفون بتمسكهم بالعادات والتقاليد، وبشجاعتهم وشدة بأسهم في الحروب، و يعرفون كذلك بالصبر والثبات في الشدائد وحبهم للعزلة والاستقلالية[1]، وإذا ارتكب احدهم جريمة وألقى القبض عليه يُقر بالجريمة التي ارتكبها حتى ولو كلفه ذلك حياته[2]، ومهمتهم تتمثل في حماية القبائل التابعة لهم، ضمان أمن الطرق التجارية وحماية قوافل تجار القبائل الحليفة والقبائل التي ترتبط معهم في علاقات اقتصادية، وفي حالة الحرب مع أعدائهم يتولون قيادة الجيش المكون من النبلاء والعبيد[3]، وغالبية حياتهم يقضونها في الترحال عبر الصحراء الشاسعة [4].

- فئة إينسلمن Inislimin (الأشراف المرابطين أو الفقهاء):

هم من الأشراف أو النبلاء الذين تنازلوا عن دورهم السياسي، في مقابل تولي المناصب الدينية التي من بينها مهنة الإفتاء ومهنة القضاء بحل النزاعات بين أفراد القبيلة الواحدة أو بين مجموعة من القبائل، كما تكفلوا بمهمة تعليم أفراد القبائل القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن وباقي العلوم كالحساب التاريخ...، وقد اشتهر منهم" الشيخ عثمان" [5].

- فئة الأمغاد Imrhad (الأتباع):

عبارة عن مجموعة من العشائر والأسر والقبائل الضعيفة، التي وضعت نفسها تحت حماية النبلاء مقابل ضريبة سنوية، والقيام بمجموعة من الأعمال التي يتجنبها النبلاء، كالرعي وغيرها،

---

(1) A.W.C: Henri, Duveyrier: Les Touaregs.., Op.cit. p 331.
(2) Ibid. p 385.
(3) Ibid. p 332.
(4) Ibid. pp 379- 380.
(5)Ibid. pp 333- 334.

يُشاركون أيضا في الحروب مع النبلاء، وكذلك في انتخاب الأمنوكال، وهم يميلون إلى الاستقرار أكثر من الترحال[1].

- فئة إنيضن Enaden (الحرفيين):

احترفت هذه الفئة الصناعات التقليدية كصناعة المواد المنزلية: القصاع، الأقداح، الخيمة ومستلزماتها، رواحل الإبل وسروج الخيل، وصناعة لوازم الحرب: الرماح، السيوف، والخناجر، وصناعة حلي النساء والرجال: الخواتم، الأقراط، الأساور، الخلاخيل والمجوهرات وصياغة المعادن، وكل مجموعة من الحرفيين ينسبون إلى القبيلة التي يكونون ضمن أفرادها؛ أصل فئة الحرفيين مختلف فيه، ومما قيل فيه أنهم قد يكونون من أصل يهودي [2].

- فئة إكلان Iklan (الحراطين والعبيد) :

أغلب هذه الفئة من السود الذين جلبوا في البداية كرقيق من أدغال إفريقيا عن طريق الشراء الخطف و كغنائم حرب[3]، أما الحراطين فهم أبناء العتقاء الذين كانوا في البداية عبيدا وتم عتق آبائهم وفق الشرع الإسلامي، اختص الموالي بالزراعة[4] والعبيد بالرعي وكخدم بالمنازل النبلاء[5].

تعداد قبائل الطوراق خلال القرن 19م مجرد تقديرات، نظرا لعلاقة الطوارق مع الرحالة الأجانب الذين كانوا يفدون إلى مناطقهم، والتي كانت تتسم بالحذر الشديد، وتجنب الاحتكاك معهم أو إعطائهم أية معلومات حول أسماء النبلاء منهم، أو حتى السماح لهم بتعدداهم، وقد يصل الأمر إلى حد قتل الرحالة كما حدث مع فلاتزر؛ يقدم الباحث إسماعيل العربي إحصائية حول تعداد طوارق الهقار نهاية القرن 19م، حيث بلغ تعدادهم حوالي 11900 نسمة، موزعين على

---

(1) A.W.C: Henri, Duveyrier: Les Touaregs.., Op.cit. pp 334- 339.

(2) محمد السعيد، القشاط: التوارق عرب الصحراء الكبرى، ط2، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، القاهرة، 1989، ص ص 69- 71.

(3) A.W.C: Henri, Duveyrier: Les Touaregs.., Op.cit. p 333.

(4) محمد السعيد، القشاط: المرجع السابق، ص 72.

(5) A.W.C: Henri, Duveyrier: Les Touaregs.., Op.cit. p 333. Voir aussi:
حبيب، خنفار: المقاومة الشعبية للتوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الشرقي 1850- 1914م، تحت إشراف أ.د/ مجاود محمد، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، السنة الجامعية، 2019- 2020، ص ص 186- 190.

النحو التالي:

الفئة	النبلاء	الأتباع والحراطين	العبيد	المجموع
العدد	4400	3500	4000	11900

جدول يبين تعداد سكان الهقار نهاية القرن 19م(الوحدة : نسمة) [1]

بعد خضوع طوارق الازجر وطوارق الهقار للسلطة الاستعمارية مع عشرينيات القرن العشرين، قدمت لأول مرة إحصائيات رسمية من طرف الحكومة العامة حول تعدادهم، حيث بلغ سنة 1913م 8279 نسمة، موزعين على النحو التالي: 3600 نسمة بالنسبة لطوارق الازجر، و4679 نسمة بالنسبة لطوارق الهقار[2].

2) التعداد الإجمالي لسكان الجنوب:

تعداد سكان الجنوب الجزائري، مبني على إحصائيات تقديرية، حيث قدر عدد سكان الجنوب سنة 1848م بحوالي 799276 نسمة[3]، في حين نجد إحصائيات تعود إلى سنة 1865م، تقدر عددهم بحوالي 437000 نسمة وهم يتوزعون كالآتي:

النواحي	السكان المستقرين	السكان الرحل
ورقلة	**14200**	**12000**
تماسين	**9950**	**12600**
واد ريغ	**31080**	**2850**
واد سوف	**31170**	**1200**
الزيبان	**30340**	**55300**
الوطاية	**800**	**11850**
الحضنة	**11500**	**34650**
الصحراء الوسطى	**36100**	**17850**
واد ميزاب	**7560**	**6000**
القصور	**2820**	**96480**
أولاد نايل	**800**	**9900**
المجموع	**176320**	**260680**

---

[1] إسماعيل، العربي: « الحياة الاقتصادية ...، المرجع السابق، ص ص 37- 38.

[2] Voinot, (Capitaine): «Transsaharien …, Op.cit., p50.

[3] محمد، داعي: الأقلية الأوربية في الجزائر 1945م-1962م، تحت إشراف ا.د/ محمد مجاود، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي ليابس- سيدي بلعباس، السنة الجامعية، 2014- 2015، ص 22.

جدول يبين تعداد بعض سكان مناطق الجنوب الجزائري سنة 1865م [1]

بعد التنظيم الإداري للجنوب سنة 1902م، طبقت الإدارة الاستعمارية سياسة إحصاء للسكان بصفة رسمية، خدمة لأغراضها الاقتصادية والعسكرية مستقبلا، بحيث نجد أن تعداد السكان الجنوب قد بلغ 4794306 نسمة سنة 1911م، كما يوضح الجدول الأتي:

السنوات	**1906م**	**1911م**
تعداد السكان	446091	494306

جدول يبين عدد سكان الجنوب الجزائري خلال سنوات 1906م- 1911م [2]

مقارنة بين التقديرات السابقة نجد أن عدد سكان الجنوب قد شهد انخفاضا كبيرا، بحيث انخفض من حوالي 799276 نسمة [3] سنة 1848م إلى 4794306 نسمة [4] سنة 1911م نتيجة لعدة أسباب، أهمها:

- ارتفاع عدد الوفيات نتيجة حروب التوسع العسكري الفرنسي في الجنوب، ومعارك المقاومات الشعبية طيلة فترة 1852م- 1911م

- هجرة عدد كبير من القبائل الصحراوية الجزائرية نحو المغرب الأقصى، تونس، طرابلس الغرب (ليبيا)، نتيجة السياسة الاستعمارية المجحفة تجاههم.

3) دور ومكانة المرأة داخل مجتمع الجنوب:

إذا كانت القبيلة هي الخلية الأساسية في تركيبة النظام الاجتماعي لدى المجتمع الجنوب، فإن الأسرة هي معين هذه الخلية الكبرى، تستقي منه قوتها وصيرورتها، والمرأة أهم روافد هذا المعين إذ أنهما تشكلان قوامه ودعامته الرئيسية، ونظرا لتشعب موضوع المرأة سنقتصر على دراسة نماذج التي توفرت حولها المادة العلمية.

(1) الأزهاري، عباز: المرجع السابق، ص 19.

(2) A.W.C: G. G.A : Exposé de la situation ... 2emP..., Op.cit.p 636.

(3) محمد، داعي: المرجع السابق، ص 22.

(4) الأزهاري، عباز: المرجع السابق، ص 19.

ا) صورة المرأة الصحراوية في الكتابات الفرنسية: "بنجامين غاستينو" و"فرومنتان" أنموذجين

رغم الدور المهم للمرأة داخل الأسرة فإن هذه الأخيرة، لم تتح لها الفرصة للعب دورها كعنصر فاعل داخل المجتمع؛ فالصورة التي رسمها الرحالة الفرنسيون للمرأة الصحراوية صورة سوداء قاتمة، فهي ذلك الكائن المسلوبة إرادته وحقوقه، ومنهم من ذهب إلى القول بأن الجزائر لها كل شيء عدا المرأة؛ فالمرأة لا توجد بالجزائر؛ يقول بنجامين غاستينو (Benjamin Gastineau): "... الجزائر لها الصحراء، الواحات، البحر والجبال، لها سماء رائعة على الدوام، أرض خصبة، وغابات من البلوط الآهلة بالأسود والفهود، منابع باردة ومياه معدنية حارة، خيول تحسدها عليها كل أوروبا، محاجر من الرخام ومناجم من الذهب والفضة والحديد والرصاص الجزائر... لها كل هذه الفضاءات، وهذه الثروات، كل هذا الجمال، ولكن ليس لها المرأة..." [1].

ويؤكد فرومنتان (Fromentin Eugène) على هذه الوضعية المزرية التي كانت تعيشها المرأة الجزائرية عموما والمرأة الصحراوية بالخصوص حين يكتب لأحد أصدقائه؛ بقوله: "... تقوم المرأة الصحراوية بأدوار كثيرة وبواجبات مرهقة فهي التي ترعى الأسرة، وتقوم بدور الأمومة وتربية الأطفال ومزاولة التدبير المنزلي بمهامه المختلفة [2]... وهي بالإضافة إلى ذلك تشارك زوجها في رعي الأغنام[3] ...، وترويض الخيول[4] ... وجلب الماء في الأواني والقرب، وهي وحدها التي تتولى نسج وحياكة أفرشة المنزل ومعظم لباس الرجل المتمثل في "البرنوس"،" القشابية" و" الحائك" [5] ..."، فالصورة السوداء القاتمة التي رسمها الرحالة الفرنسيون للمرأة الصحراوية، راجع لجهلهم بطبيعة عادات وتقاليد مجتمع الجنوب، فالنظرة التي يصدرون بها الأحكام مرجعها البيئة الأوربية التي تربوا في محيطها وبنوا معارفهم منها، إلا أن ذلك لم يمنع من أن تلعب المرأة الصحراوية دورا مهما داخل مجتمع الجنوب، و لو كان دورا ضئيلا.

---

(1) Gastineau, Benjamin: Les femmes et les mœurs de l'Algérie, Paris, 1861, p 5.
(2) Fromentin, Eugène: Un été au Sahara, Librairies Plon, Paris, 1952, pp 81-101.
(3) Ibid. p114.
(4) Ibid. p 165.
(5) Ibid. pp140 - 163. Voir aussi:
عيسى، عطاسي: صورة الجزائرفي أدب الرحلات الفرنسي" صيف في الصحراء " لفرومنتين نموذجا، تحت إشراف د/ احمد منور،رسالة ماجستيرفي تخصص الأدب العربي، جامعةالجزائر، السنةالجامعية، 2005- 2006، ص ص 81-82

ب) المرأة السوفية:

احتلت المرأة بمجتمع وادي سوف مرتبة ثانوية في الأسرة، فدورها ينحصر في تنظيم البيت وترتيبه، والعمل في المطبخ بتوفير الغذاء لأفراد العائلة، ورعاية الأطفال وما يتبقى من وقت تقضيه في غزل الصوف لصناعة المنسوجات المختلفة، حتى تكون لباسا لأفراد العائلة، وهي دوما ماكثة في البيت ولا تخرج منه إلا قليلا لزيارة أهلها أو تهنئة قريب، أو تعزية مصاب، ويكون خروجها مع زوجها ليلا [1]، لذا ظل الكشف عن وجهها للأجنبي جريمة نكراء، فما بالك أن يعالجها رجلا من المستعمرين، وهذا ما جعل سكان منطقة اعميش بواد سوف يتظاهرون ضد الطبيب الفرنسي، الذي أراد تطعيم نسائهم في عقر دارهم، ضد وباء سنة 1910م [2].

ت) المرأة الورقلية:

كانت المرأة في مجتمع الورقلي لا تختلف عن مثيلتها في مجتمع وادي سوف فهي تحتل المرتبة الثانية بعد الرجل، رغم أن دورها كان كبيرا في الحياة العائلية، كأم وزوجة وبنت ويد عاملة ومنتجة، فقد انقسم المجتمع النسوي في ورقلة إلى ثلاث فئات، تمثل الفئة الأولى زوجات الأعيان والوجهاء ويعرفن بالشريفات، وهن لا يخرجن إلى الأسواق والأزقة ولا يختلطن بأحد، أما الفئة الثانية فتعرف بفئة الغرباء ومعظمهن من استقرن حديثا داخل المدينة، أو من الزنجيات ويعرفن بالوصيفات، أما اللواتي يستقرون خارج أسوار المدينة، فيعرفن بالنساء العربيات ولهن مكانة رفيعة في المجتمع [3].

ث) المرأة الميزابية:

بغض النظر عن الدور العادي للمرأة والمتعارف عليه في تسيير شؤون البيت، إلا أن هيئة العزابة بوادي ميزاب لم تهمل المرأة، فخصصت لها هيئة دينية نسائية تشرف عليها فقيهات في الدين هن أزواج رجال هيئة العزابة، وتعتبر هذه الهيئة مكملة لهيئة العزابة فيما يخص أمور النساء، اختصت هذه الهيئة بواجبات دينية كتعليم الدين للنساء، تغسيل الأموات منهن، المصالحة

---

[1] Isabelle, Eberhardt: Mes Journaliers, édité par René Louis Doyon, Paris, 1926, p 98.

[2] علي، غنابزية: مجتمع وادي سوف...المرجع السابق، ص ص 337- 338.

[3] الأزهاري، عباز: المرجع السابق، ص ص 89- 90.

بين العائلات في مخاصمة طارئة ومحاربة البدع، ونجد هذه الهيئات في كل مدن وادي ميزاب، وتكون خلف المساجد ملاصقة لها [1].

ج) المرأة التواتية:

بجانب وظائفها في البيت، شاركت المرأة التواتية الرجل في أعماله اليومية، كالقيام برعي وتربية المواشي بتوفير الكلاء لها، وتتصدر المشهد الاجتماعي والاقتصادي داخل المجتمع التواتي سواء في العمل الخيري أو في مجال كسب الرزق بالعمل في الزراعة أو القيام بعمليات البيع والشراء [2].

كما شاركت المرأة التواتية في كل المعارك ضد القوات الفرنسية التي قدمت لاحتلال توات سنة 1899م، منها: معركة الفقيقرة، معركة الدغامشة، معركة إينغر الأولى ومعركة المطارفة التي حدثت ما بين سنتي 1899م– 1900م، إذ في المعركة الأخيرة تجند وتسلح جميع السكان رجالا ونساءا لصد الهجوم، وفك الحصار المضروب عليهم من طرف القوات الفرنسية [3].

ح) المرأة التارقية:

اهتمت المرأة التارقية شأنها شأن أي امرأة جزائرية آنذاك، بتدبير شؤون المنزل من تربية الأطفال، حياكة الخيام وتركيبها، تنظيف الخيمة، جلب الماء من الآبار... ، ومع بلوغها سن الكهولة، تحضر الاجتماعات القبلية، لتدلي بآرائها في مسالة فض بعض النزاعات بين الفئات المتخاصمة [4].

أهم ما يميز المجتمع التارقي عن غيره من مجتمعات الجنوب، هو وضعية المرأة داخل

---

(1) حمو محمد عيسى، النوري: المرجع السابق، ص 175.

(2) عبد الله، بابا: المرجع السابق، ص 150.

(3) خديجة، حالة: « مساهمة المرأة التواتية في الثورة التحريرية الجزائرية »، مجلة الميدان للدراسات الرياضية والاجتماعية والإنسانية، جامعة زيان عاشور- الجلفة، (مج 2)، (ع 7)، جوان 2019 ،ص 316

(4) أمال، هاشمي: الوضع الاجتماعي والفكري لطوارق الهقار من خلال الكتابات الفرنسية في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، تحت إشراف ا.د/ عبد المجيد بن نعيمة، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية،جامعة وهران، السنة الجامعية، 2007- 2008، ص ص 58- 59.

التنظيم السياسي لقبائل الطوارق، إلى درجة أنه لا يمكن فهم هذا الأخير إلا بتحليل دور المرأة، فالمجتمع التارقي كان منظما على شكل تحالفات تسمى كونفدراليات قبلية يرأس كل منها حاكم يسمى أمنوكال يساعده امغارن وهم رؤساء القبائل بصفة استشارية [1]، فتوارث السلطة لدى الطوارق يكون للأخوال أي من الرجل إلى ابن أخته من الكبرى إلى الصغرى، وإن لم توجد فلابن الخالة من الكبرى إلى الصغرى مع بعض الاجتهادات لكل وضعية غير عادية تطرأ، فالملاحظ أيضا أن العرف يدور في محيط الأم ويستبعد أن يرث الرجل لابنه، وهي تبرز مشاركة المرأة في السياسية بصفة غير مباشرة باعتبارها سلطة التعيين، لأنها أم سيد القوم [2].

---

[1] لحسن، مرموري: « مكانة المرأة في المجتمع التارقي »، مداخلة على هامش المعرض الدولي الحادي عشر للكتاب، الجزائر، 2007، ص 39.

[2] نفسه، ص 39.

ثانيا: الوضع الصحي لمجتمع الجنوب الجزائري

1) الأمراض والأوبئة المنتشرة بين مجتمع الجنوب:

خلقت السياسية الفرنسية بمختلف أوجهها، ظروفا سيئة وحالة يرثى لها في أحوال السكان الصحية، فكثرت الأمراض والأوبئة وانتشرت الوفيات بشكل خطير جدا، ومن أبرز تلك الامراض والاوبئة التي كانت منتشرة بين سكان الجنوب نجد:

أ- **أمراض العيون:** أهمها الرمد الحبيبي (Trachome) الذي يصيب العينين، ويلاحظ عند المرضى تلون أحيانا للعين بعد فوات الأوان، عندها تكون العتامة قد تكونت وتصبح غير قابلة للعلاج.

ب- **السل الرئوي (Tuberculose):** مرض كثير الانتشار في المناطق الصحراوية، من عوامل انتشاره: المناخ المتقلب وقلة النظافة وتعاطي الكحول.

ت- **الروماتيزم:** وهو منتشر جدا في الصحراء لأن النوم على الرمل البارد خلال الليل يساهم في انتشار هذه الالتهابات.

ث- **الأمراض الجلدية:** ويشمل ذلك الأمراض الجلدية مثل الحصف وبثر المطاوي، بالإضافة إلى إلتهابات فروة الشعر [1].

ج- **حمى المستنقعات الملاريا (Paludismes):** ينتقل هذا المرض عن طريق بعوضة الملاريا خصوصا في الأوقات الحارة، وتعتبر ضفاف المنتشرة في المناطق الصحراوية مأوى له.

ح- **مرض الحصبة (Rougeole):** ينتشر هذا المرض كثيرا بين فئة الأطفال بسبب نقص التغذية، وتذكر بعض التقارير بأن هذا المرض بقي تحت المراقبة الطبية الفرنسية، لكن عزوف

---

[1] عثمان، زقب: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة واد سوف 1918م-1947م وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا، تحت إشراف د/ يوسف مناصرية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، السنة الجامعية، 2005- 2006، ص ص 151- 152.

بعض العائلات عن التلقيح أدى إلى ظهوره بين الفينة والأخرى [1].

خ- **الجذري (Variole):** وهو الأكثر انتشارا في المناطق الصحراوية وأكثر فتكا بالسكان، حتى أن عائلات بأكملها هلكت في وقت قصير وبيوت أغلقت لهلاك أفرادها [2].

2) الطرق المتبع لعلاج الأمراض والأوبئة بالجنوب:

نظرا لتشعب موضوع الجانب الصحي لسكان الجنوب، سنركز على دراسة نماذج من مدن الجنوب الجزائري، والتي توفرت حولها المادة العلمية، متطرقين إلى الطب بنوعيه: الطب الشعبي والطب الفرنسي.

1.2) الطرق المتبعة من طرف الإدارة الاستعمارية بالجنوب (الطب الفرنسي):

حاولت الإدارة الفرنسية بالجنوب الاهتمام بالوضع الصحي للسكان من خلال إنشاء ودعم المؤسسات الصحية المتواجدة ورفع عدد الفحوصات لكنها ظلت محدودة من حيث العدد والتأطير والتجهيزات، ولم تكن تلبي حاجيات السكان، ومن الأساليب التي اتبعتها لمكافحة الأمراض والأوبئة نجد:

أ- بناء المستشفيات والمستوصفات في كافة قرى ومدن الجنوب الجزائري لاستقبال السكان، بحيث تم افتتاح عدة مستشفيات كما يمثل الجدول التالي:

السنوات	1896م	1901م	1904م	1905م	1906م
الأماكن التي تم افتتاح بها المستشفيات	غرداية	جيرفيل (البيض)	الجلفة	بني ونيف، بشار كولمب، تاغيت، ادرار، تيميمون، عين صالح	الأغواط

جدول يبين المدن التي تم افتتاح بها المستشفيات في الجنوب الجزائري 1896م- 1906م [3]

ب- الرفع من قدرات الاستقبال والفحوصات للمؤسسات الصحية ومحاولة توسيعها في القرى

---

[1] عبد القادر، مرجاني: المرجع السابق، ص 308.

[2] عبد القادر، مرجاني: المرجع السابق، ص 309.

[3] A.W.O: Fouge, Rousse: « Notes sur la situation économique de l'Algérie, Les Territoires du Sud », J.O.R.F Paris, (N 298), 02 et 03 Novembre 1907, pp 7551.

والواحات.

ت- تكثيف المعاينات الخارجية أو ما يعرف بالدورات الصحية في مختلف مدن وقرى الجنوب، عن طريق فريق طبي متنقل، ينصب خيام تسمى بمحَلات التمريض.

ث- المراقبة الطبية لأطفال المدارس إذ يعالجون بانتظام في مصحة الأهالي، أما في المصحات أخرى فيتحصلون فيها التلقيح المضاد للفيروسات، والعناية من طرف المعلمين، وممرضي بيوت العينين (مصطلح متداول خلال القرن 19م وبداية القرن 20م ويعني غرف لعلاج مرض العيون).

ج- تطبيق نظام الحجر الصحي للمرضى لمنع انتشار المرض في الحي والمدينة.

ح- التطعيم ضد الفيروسات المختلفة مثل الحصبة والجذري والتيفيس.

مع ذلك بقيت هذه المجهودات المبذولة غير كافية لتحسين الوضع الصحي للسكان (1).

الجدول التالي يوضح تلك الإجراءات الطبية التي طبقتها السلطات الاستعمارية في الجنوب:

الجنوب الجزائري	عدد الأسرة	عدد المصابين بالأمراض								المجموع الكلي لعدد المرضى
		ملاريا	تيفيس	أمراض الجلد	أمراض العيون	أمراض التنفس	أمراض المسالك البولية	أمراض الجهاز الهضمي	أمراض أخرى	
إحصائية سنة 1914	268	86	268	55	254	133	87	369	363	1615
إحصائية سنة 1915	276	123	239	91	186	170	131	395	365	1700

جدول تعداد المصابين بالأمراض في المستشفيات بالجنوب الجزائري خلال سنتي 1914م و1915م (2)

من خلال الجدول، وبالمقارنة بين إحصائيتي 1914م و1915م نجد: أن عدد الأَسرة قد ارتفع في المستشفيات من 268 سرير سنة 1914م إلى 276 سرير سنة 1915م، هذا بالضرورة راجع لارتفاع عدد المرضى المصابين بمختلف الأمراض، مما اضطر السلطات إلى توسعة المستشفيات

(1) عثمان، زقب: المرجع السابق، ص ص 153- 154.

(2)A.N.A: Charles, Lutaud: Exposé de la situation générale des Territoires du Sud de l’Algérie, Pendant les Années 1914 et 1915, Imprimerie Typographie Adolphe Jourdan , Alger , 1916, pp 36-37.

أو بناء أخرى، وقد شملت الاجراءات السابقة الذكر اغلب مناطق الجنوب فعلى سبيل المثال لا الحصر:

بوادي سوف ظهر أول مستوصف فرنسي متنقل بواد سوف سنة 1883م، مع تأسيس أول ثكنة عسكرية للقوات الفرنسية في منطقة الدبيلة التابعة لوادي سوف، وذلك للاهتمام بالشؤون الصحية للقوات الفرنسية، لكن اهتمام السلطات الاستعمارية بهذا القطاع بدأ منذ تأسيس أول ملحقة بوادي سوف سنة 1885م، حيث تم استقدام مجموعة من الأطباء العسكريين، كانت مهمتهم معالجة السكان المدنيين إلى جانب العسكريين الفرنسيين[1].

أما النواة الأولى للمستشفى العسكري بمدينة الوادي، فقد تم بعد انتقال الحامية العسكرية من منطقة الدبيلة واستقرارها نهائيا بمدينة الوادي منذ سنة 1887م، وقد ضم هذا المستشفى سنة 1900م، غرفا متعددة وأَسرة كما جهز بمختلف المعدات الطبية الأولية الحديثة، إضافة إلى غرفة خاصة بالعمليات الجراحية، لكن ما كان معروفا هو عدم إقبال السكان على هذا المستشفى لاعتقادهم الديني القائم على عدم التعامل مع الفرنسيين الكفار، لكن عند اشتداد المرض وفشل الطب المحلي، يلجأ المريض وأهله إلى المستشفى العسكري الفرنسي [2].

أما مدينة ورقلة فقد عرفت انتشارعدة أمراض مزمنة وأوبئة خطيرة نتيجة الكوارث الطبيعية كتلوث المناخ، أو تلوث مياه الآبار، أو بسبب المجاعات، واهم هذه الأمراض: أمراض العيون، والتهاب الملتحمة الحبيبي، وأمراض الجهاز الهضمي كالإسهال، وأمراض الجهاز التناسلي، حمى المستنقعات، وباء الجدري، ووباء السعال الديكي، وكذا لسعات العقارب[3]، حيث تم تسجيل سنة 1905م هلاك نحو 10 أفراد في ظرف 24 ساعة، بسبب لسعات العقارب، هذا بالإضافة إلى مرض السل الذي وصل عدد المصابين به سنة 1915م إلى حوالي 180 مصاب [4].

---

(1) علي، غنابزية: مجتمع وادي سوف...، المرجع السابق، ص 316.

(2) نفسه، ص 316.

(3) رضوان، شافو: الجنوب الشرقي...، المرجع السابق، ص 236.

(4)A.N.A: Charles, Lutaud: Exposé...1914 et 1915… ,Op.cit.p.37.

لمواجهة هذه الحالة الصحية المتدهور من طرف السلطات الاستعمارية بورقلة، تم فتح عدة مستشفيات، إذ تم في سنة 1889م فتح المستشفى العسكري في بني ثور، وفي سنة 1900م تم فتح مستوصف مجاني لمعالجة السكان المحليين، كما أمر الحاكم العام باتخاذ الإجراءات التالية:

- تقديم فحوصات مجانية يومية من طرف الأطباء العسكريين.
- معالجة الأهالي في المستوصفات والمستشفيات العسكرية.
- إقامة دورات في القبائل البدوية من اجل التطعيم، والقيام بمراقبة عامة للحالات الصحية للوقاية ومعالجة الأوبئة.
- المراقبة الطبية في المدارس.
- مكافحة أمراض العيون والأمراض الجنسية (الزهري).

زيادة على ذلك القيام بتجارب علمية، قصد توفير الدواء للأمراض المنتشرة في المنطقة (1).

ببشار اهتمت السلطات الاستعمارية بالجانب الصحي في منطقة بني ونيف، أي منذ الوهلة الأولى بعد احتلال المنطقة سنة 1902م، وأنشئت لهذا الغرض قاعة خاصة بمقر المركز العسكري من اجل استقلال وعلاج المرض من سكان المنطقة، ثم شرع في بناء مستوصف كبير سنة 1904م، وأصبح جاهزا لاستقبال المرضى في سنة 1905م كما تم بناء عيادة طبية بمحاذاة قصر القنادسة، وكان الهدف الأساسي من تقديم الخدمات الطبية المجانية التقرب المباشر من السكان ومحاولة استمالتهم وإدماجهم في المنظومة الاجتماعية الفرنسية، لفرض الهيمنة والسيطرة على السكان عن طريق إبهارهم بالتفوق الحضاري الأوربي الفرنسي (2).

أهم الأمراض التي شهدتها منطقة بشار: مرض الحصبة، الجذري، القرع، مرض السل وأبرزها مرض الملاريا (حمى المستنقعات) حيث خلف هذا المرض وفيات كثيرة بين السكان كما يوضح الجدول التالي:

---

(1)A.N.A: Théodore, Steeg: Op.cit.p 138

(2) محمد، برشان: الحياة الاجتماعية...، المرجع السابق، ص 115.

السنوات	1907م	1909م
النسبة	%50	%17

جدول يبين نسبة المصابين بالملاريا في بني ونيف مابين 1907م– 1909م

يبين الجدول المجهودات التي قامت بها الدوائر الطبية الاستعمارية، والأشغال المكثفة التي استهدفت تجفيف وادي الملابس ببني ونيف، التي أدت في نهاية المطاف إلى تراجع نسبة انتشار مرض الملاريا بشكل تدريجي [1].

بتوات اهتمت الإدارة الفرنسية بالجانب الصحي، وأسندت الخدمات الصحية إلى الأطباء العسكريين[2]، بحيث تم إنشاء أول مستشفى بعاصمة توات (أدرار) سنة 1905م وتم إعادة ترميمه سنة 1913م.

فقد كانت للأحوال المعيشية الصعبة للسكان نتيجة للسياسة الاستعمارية، سببا مباشرا في ظهور مختلف الأمراض، فقد أشارت التقارير الفرنسية بخصوص الوضع الصحي للسكان، إلى انتشار أمراض متنوعة منها أمراض العيون، المفاصل، الملاريا، البوحمرون، السل والجدري [3]، فحسب تقارير الحملات الطبية التي كانت تبرمجها المصالح الطبية الفرنسية، عبر قصور توات تم اكتشاف الملاريا بقصر تيلولين سنة 1913م، كما انتشر بتوات وتيدكلت وقورارة مرض الجدري ومات بسببه عدد هائل من السكان [4].

لمواجهة هذه الحالة الوبائية قامت المصالح الطبية الاستعمارية بتقديم خدمات صحية للسكان المحليين، تتمثل في: الاستشارات الطبية المجانية من طرف طبيب عسكري، وأيضا القيام بحملات تطعيم للسكان ضد الأوبئة مثل الجدري والملاريا، وأمراض العيون، بالإضافة إلى مساعدة العجزة

(1) محمد، برشان: الحياة الاجتماعية...، المرجع السابق، ص ص 117- 122.
(2) عبد الله، بابا: المرجع السابق، ص ص 130- 132.
(3) نفسه، ص 128.
(4)A.N.A: Charles, Lutaud: Exposé de la situation générale des Territoires du Sud de l’Algérie, Année 1913, Imprimerie Typographie Adolphe Jourdan , Alger, 1914, pp 28, 29.

والمسنين [1].

2.2) الطرق المتبعة من طرف سكان الجنوب (الطب الشعبي):

كانت الحياة الصحية بالجنوب منذ القدم تعتمد على تجارب الأفراد، وتخضع العلاجات الطبية إلى اجتهادات عديدة؛ فالعلاج كان يتم بالطب الشعبي المستعمل في معالجة جميع الأمراض العادية والحوادث الطارئة، والإصابات الخطيرة، ولا يتقدم المريض للمستشفى الفرنسي بالمنطقة بمحض إرادته، إلا إذا كانت الحالة اضطرارية أو مستعصية [2].

بوادي سوف مارس سكانها الطب الشعبي، وكان هذا الطب يتم على يد أفراد داخل المجتمع، حسب ما تم التعارف عليه، بحيث يتم إعداد أدوية مجربة وتكون في شكل أعشاب طبية، فمن بين الأمراض التي كانت تعالج بالأعشاب الطبية، نجد:

– الإصابة بالشوك: وهو شوك خوص النخيل فتعالج بخليط من الأعشاب.

– اللسع العقربي: راجع للانتشار الواسع لحشرة العقرب، وهي تعالج بتمرير اليد على العضو المصاب.

– الكسور: علاجها يتم عن طريق التجبير، وهذا باستعمال شيء من خوص النخيل يربط بخيوط على الطرف المكسور، مع تثبيت المريض حتى لا يتحرك [3].

بالإضافة إلى طرق علاجية أخرى مستعملة هي: الكي بالنار، الحجامة، والكحل لأمراض العين، أما العلاجات المشهورة في المنطقة، نجد:

– حمام الرمال: والمعروف بالتعريق، وهو لمعالجة الروماتيزم، وهذا بدفن المريض في الرمال الساخنة مع إبقاء رأسه مكشوفا.

– الرقي والتمائم: وهي إما من القرآن الكريم والأدعية المأثورة أو بعض العزائم السحرية، والرقى تكون لحالات لدغ العقارب والحية والعين، وتعلق التمائم لمنع المرض، وعلاجه وهذا حسب كتب الفقه المالكي المتواجدة بالمنطقة.

---

[1] A.W.C: G. G.A : Exposé de la situation… 2emP..., Op.cit.p 150.

[2] علي، غنابزية: مجتمع وادي سوف...، المرجع السابق، ص 309.

[3] موسى، بن موسى: المرجع السابق، ص ص61- 62.

أما بتوات فقد كانت ممارسة الطب الشعبي كان أمرا شائعا في أوساط المجتمع التواتي، فما أن يشعر الإنسان بالألم إلا وتجده يبحث عن دواء بين أهل الاختصاص والمعرفة، أو عند عائلات اشتهرت في هذا المجال ولها خبرة كافية في علاج المرضي، ويستخدم في هذا النوع من الطب مستخلصات الأعشاب والمعادن التي توفرها البيئة الصحراوية التي يتم تحضيرها بوسائل بسيطة، وتقدم للمريض في شكل سائل أو مرهم، بعد معرفة نوعية مرضه بين مرض عضوي أو نفسي ، وإذا كان الشخص المعالج من أهل العلم واشتهر في توات، تتم مراسلته من مناطق بعيد قصد الحصول على وصفته الطبية، فكان ممن اشتهر أثناء فترة الاستعمار الفرنسي لتوات هو" الشيخ البكري بن عبد الرحمن بن الطيب"، الذي سجل في ديوانه بعض الأمراض وكيفية الوقاية منها وعلاجها [1].

---

[1] عبد الله، بابا: المرجع السابق، ص ص 129- 130.

ثالثا: جوانب من الأساليب القمعية تجاه مجتمع الجنوب الجزائري

1) النظام القضائي الزجري:

بعد أن أحكمت فرنسا قبضتها على أراضي الجنوب استخدمت القضاء الإسلامي الذي يعتبر ركيزة أساسية في الشريعة الإسلامية ووضعته ضمن مخططاتها الاستعمارية للسيطرة والتحكم في المجتمع، فقامت بإلغاء منصب القاضي المسلم وحدت من صلاحياته وجعلت أحكامه غير ملزمة، فالنظام القضائي في الجنوب يختلف عن النظام القضائي في الشمال، ففرنسا أنشأت 14 محكمة منها اثنان فقط متعلقة بالقانون المدني، موجودة في كل من الجلفة والأغواط و12 محكمة عبارة عن محاكم عسكرية، والقضاة الذين يعينون في أراضي الجنوب، لم يكونوا خاضعين للشروط المطلوب توفرها لتعيين القضاة، كما أنهم لم يكونوا يتقاضون أجورهم من الخزينة، بل يحصلون على نسبة من حقوق الطابع الضريبي المفروض على كل القضايا المعروضة على المحاكم، ما أدى إلى زيادة تكاليف القضايا المطروحة على أصحابها [(1)].

الحق في الاستئناف كان محدودا ومقيدا فلم تكن هناك محاكم استئناف إسلامية بمعنى الكلمة، بل كان هناك مجلس معين من طرف الحاكم العام، يتكون من 3 أعضاء، بما فيهم القاضي الذي أصدر الحكم الأول، فقضايا الاستئناف كانت تتم عن طريق هذا المجلس، وفي حالة ما إذا قام المجلس بنقض الأمر أو القرار الذي أصدره، أو أن القضية تجاوزت الصلاحيات المخولة للقاضي النظر فيها[(2)]، فالاستئناف يتم بعرض هذه القضية على دائرة من دوائر الشمال للحكم فيها نهائيا، فالاستئناف الخاص بقضايا إقليم عين الصفراء يقدم إلى محكمة معسكر، والاستئناف الخاص بقضايا إقليم غرداية يعرض على محكمة البليدة، ومحكمة باتنة تبث في الاستئناف الخاص بقضايا إقليمي تقرت والواحات [(3)] **(ينظر الملحق رقم 07)**، كما أنشأت السلطة الاستعمارية في الجنوب الجزائري 27 محكمة شرعية موزعة على النحو التالي:

[(1)]عبد القادر، مرجاني: المرجع السابق، ص 281.

[(2)] جمال، قنان: المرجع السابق، ص 152.

[(3)]A.N.A: Théodore, Steeg:Op.cit.p413.

-**إقليم تقرت**:محكمة كل من: متليلي، سيدي عقبة، أولاد جلال، طولقة، تقرت، جامعة، وادي سوف وقمار.

- **إقليم غرداية**: محكمة كل من: الجلفة، زنينة ومسعد بالأغواط، الأرباع بغرداية، العطف، بونورة، بريان، بني يزقن والقرارة.

- **إقليم عين الصفراء**: محكمة كل من: البيض، ترافيس بالبيض، مشرية، عين الصفراء وبشار.

- **إقليم الواحات**: محكمة ورقلة [1].

بناء على الإحصائيات المقدمة من طرف الإدارة الاستعمارية حول القضايا المتداولة في المحاكم الفرنسية بالجنوب، خصصنا إحصائيتي سنتي 1914م و1915م على سبيل المثال لا الحصر، لنتعرف على طبيعة تلك الجرائم والمُخالفات التي كانت منتشرة بين أوساط مجتمع الجنوب:

الإقليم		الجرائم								المجموع
	القتل ومحاولة القتل	التعرض للجرح والاعتداء	قضية شرف	حرائق	سرقة	قطع الطريق	الغش والتزوير	بيع وشراء منتجات أجنبية	متفرقات	
عين الصفراء	/	04	/	/	06	/	/	/	04	10
غرداية	03	07	/	/	01	/	01	/	04	16
تقرت	03	08	01	/	06	/	/	01	/	19
الواحات	/	02	/	/	/	/	/	/	01	03

جدول إحصائي لأهم الجرائم التي تم تداولها في المحاكم الفرنسية في الجنوب، بين سنتي 1914م و1915م[2]

القضاء في الجنوب موضع قائم بحد ذاته، لذا سنركز على دراسة بعض النماذج من مدن الجنوب، وسنتطرق إلى القضاء بنوعيه: القضاء المحلي (الإسلامي) والقضاء الفرنسي.

أ) القضاء المحلي (الإسلامي):

إن طبيعة القضاء المحلي بالجنوب الجزائري قبل الاحتلال، هو نفسه النظام الذي كان سائدا في مدن الإيالة الجزائرية أواخر العهد العثماني، حيث كان الفقهاء وأهل العلم يفصلون في

---

(1)A.N.A: Théodore, Steeg: Op.cit.p 413.

(2)A.N.A: Charles, Lutaud: Exposé...1914 et 1915… ,Op.cit. p 160.

القضايا الهامة والنزاعات المختلفة، بعد الاحتلال خضع القضاء الإسلامي للتشريعات الفرنسية، فقد تم تنظيم العدالة الإسلامية في أقاليم الجنوب وفق المرسوم المؤرخ في08 جانفي 1870م، الذي نص على أن القاضي في المحاكم الشرعية يختص بالقضايا الإسلامية في حين جاء مرسوم 17 أبريل 1889م ليحد من صلاحيات القاضي في الأمور المتعلقة بالأحوال الشخصية والميراث[1]، ولم يكن القاضي الشرعي يتلقى أي راتب ثابت من الحكومة الفرنسية، وإنما يكون راتبه من الرسوم المفروضة عل المتقاضيين أو من قسمة التركات [2] .

– **وادي سوف:** كان نفوذ شيوخ القبائل والمرابطين وأهل الرأي، لهم دور في القضاء المحلي بواد سوف، وعند استحالة فض النزاع يستفتى في الأمر علماء من خارج المنطقة، أما المسائل العظمى الخاصة بالجنايات والقتل، فيحكم فيها في يوم يسمى "الميعاد"، وهو على شكل مجلس قضائي يختار أفراده من بين أعيان ووجهاء القرى والقبائل فيصدرون الأحكام المختلفة من دفع دية الميت أو المقتول إلى تنفيذ حكم الإعدام، أما العمل بالمحاكم الشرعية المختصة في الشؤون الإسلامية، فقد ابتدأ العمل بها منذ أوائل الخمسينيات القرن التاسع عشر وأولها محكمة الوادي سنة 1851م، محكمة قمار سنة 1864م ومحكمة كوينين سنة 1873م.

تتكون المحكمة الشرعية من: القاضي ونائبه (باش عدل) ويشترط فيهما المستوى الثقافي، ويؤهلون لهذه الوظائف بعد امتحان خاص أما العدول وعددهم اثنان وهم بمثابة الشهود على إجراءات وأعمال القاضي سواء في الأحكام أو توثيق العقود بين الناس، بالإضافة إلى شاوش الذي يساعد القاضي في أثناء عمله ويقوم بتسجيل كل ما يدور في الجلسة كما يحضر مع القاضي في كل جلسة يعقدها للسهر على الانضباط في قاعة الحكم ويستدعي المتحاكمين للجلسات [3]، يعد حاكم ملحقة وادي سوف بمثابة القاضي الذي يرتبط أساسا بمحكمة باتنة بموجب قرار 30 جويلية 1887م، وكذلك الشأن بالنسبة لضباط الشؤون الأهلية بالملحقة الذين يساعدون وكيل الجمهورية بباتنة، فالقضايا الهامة والخطيرة تحول إلى محكمة باتنة، كالقضايا في النزاعات حول الأراضي

---

[1]A.N.A: Théodore, Steeg: Op.cit. pp 410.
[2] Ibid.p 410- 411.
[3] موسى، بن موسى: المرجع السابق، ص ص 44.

بين السكان [1].

- **ورقلة:** كان القضاء بورقلة يعتمد على مجلس يسمى"السلطان"، و الذي يمثل مختلف أعراش ورقلة، وهذا المجلس يتكون من اثني عضو، ويعتبر بمثابة القاضي الأساسي في استصدار الأحكام، ويتعين على كل الاعراش احترام أحكامه وتطبيقها وفقا لعادات وتقاليد المنطقة، ومن الأمثلة على بعض القضايا التي كان يتم معالجتها، نجد أن الحكم على السارق كان يتم بتعليقه في عمود، ومن أشهر قضاة هذا المجلس بورقلة خلال القرن التاسع عشر الشيخ " محمد وليد سيدي عطاالله"[2].

- **بشار:** كانت وظيفة القضاء في منطقة بشار خلال القرن التاسع عشر من اختصاص شيخ القبيلة أو شيخ الزاوية، والتقاضي بين السكان اغلب قضاياه مستندة إلى الدين الإسلامي، فاهم القضايا التي كان يتم معالجتها هي قضايا الغارات بين قبائل المنطقة، فقبيلة ذوي منيع التي اشتهرت بكثرة الاعتداءات والسرقة على نطاق واسع، كان أفرادها يحتكمون إلى القاضي الذي يعينه شيخ القبيلة وعادة ما يكون من خارج القبيلة، لكن عندما يرتبط الأمر بمسالة نزاع بين القبائل، أو مسالة ثأر فان الأمر يتجاوز شيوخ القبائل وقضاتها، ويصبح حضور شيوخ الزوايا ضروريا للتحكيم والوساطة [3].

- **توات:** كان القضاء في توات قبل الاحتلال مؤسساته وتقاليده الخاصة، خاصة في المناطق التي اختصت بالقضاء كتمنطيط، تنقلان، ملوكة وكوسام، كما اختصت عائلات بعينها في ممارسة القضاء، لكن بعد ربط القضاء الإسلامي بالقضاء الفرنسي أصبح تولي منصب القضاء الإسلامي بتوات سنة 1902م، يتم بالتعيين من طرف السلطة الاستعمارية، فقد عينت هذه الأخير سنة 1902م أحد عشر فقيها من ڤورارة وثمانية من توات واثنين من تيديكلت للفصل في النوازل الشرعية بالإقليم [4].

---

[1] موسى، بن موسى: المرجع السابق، ص ص 44- 45.

[2] رضوان، شافو: الجنوب الشرقي...، المرجع السابق، ص 256.

[3] محمد، برشان: الحياة الاجتماعية...، المرجع السابق، ص ص 136- 137.

[4] عبد الله، بابا: المرجع السابق، ص 59.

- **وادي ميزاب:** القضاء في وادي ميزاب اتخذ منحى آخر عكس حال القضاء في مناطق الجنوب الأخرى، فبموجبه معاهدة الحماية المتفق عليها سنة 1853م بين السلطة الاستعمارية وسكان وادي ميزاب، رخصت السلطة الاستعمارية للسكان تطبيق أحكامهم وفق شريعتهم الإسلامية تبعا للمذهب الإباضي وتبعا لتقاليدهم، وتماشيا مع ذلك أصدرت السلطة الاستعمارية قرار قي 29 ديسمبر 1890م بتأسيس ثلاث محاكم إسلامية تخص المذهب الاباضي بكل من مدينة الجزائر، قسنطينة ومعسكر، وتَركت حرية اختيار قاضي المحكمة من اختصاص هيئة العزابة بغرادية، بشرط أن يكون متعلما وحسن السيرة والسلوك، وحددته له السلطة راتبا سنويا مقداره 10500 فرنك، وقيدت مهامه القضائية في مسائل الزواج، الطلاق والمواريث[1].

ب) القضاء الفرنسي:

معالجة الأحوال المدنية لمجتمع الجنوب كان من اختصاص ضباط الشؤون الأهلية أو ضباط الشرطة القضائية، أو بواسطة قياد المنطقة، على النحو التالي:

- **اللجان الزجرية:** هي لجان عسكرية وليست محاكم، وأعضاؤها ليس لديهم أي علاقة بالقضاء والقانون، ولكن خول لهم النظام الاستعماري الحكم بالسجن على الأهالي لمدة لا تتجاوز السنة، وفرض غرامات تصل إلى ألف فرنك، ويقوم المكتب العربي أو رئيس الملحقة بزجر السكان ومعاقبتهم.

- **السلطة القضائية للضباط:** وقد خول لهم القانون معاقبة الأهالي في دوائرهم العسكرية على المخالفات التي تصدر منهم بمقتضى القرار الصادر في 14 جانفي 1874م، ويترك لهم الحرية في تقدير حجم العقوبة، ويرتبط حكمهم برتبتهم العسكرية، كما يوقعون العقوبة بالقياد والشيوخ عند تهاونهم أو مخالفتهم القوانين المعروفة، ويكون باللوم والتأنيب تارة، وبفرض غرامات مالية تارة أخرى، أو بعزلهم عن الخدمة.

- **السلطة القضائية لرؤساء الأهالي:** وهم القياد، ولهم السلطة الردعية فقط، ولا تخول لهم الحكم

---

[1] احمد توفيق، المدني : كتاب الجزائر، المطبعة العمرية ،الجزائر، 1931، ص 348.

بالسجن بل تقتصر على فرض الغرامة المالية بعد مصادقة السلطة الاستعمارية المحلية، ويقوم هؤلاء الرؤساء بإلقاء القبض على المخالفين وأخذهم إلى السلطات الاستعمارية [1].

– **ورقلة:** أنشأت السلطة الاستعمارية سنة 1888م بورقلة أول محكمة عسكرية تنظر في قضايا السكان، وكانت هذه المحكمة تتكون من قاضي عسكري الذي هو رئيس المركز أو الإقليم، باش عدل، عدلين، بالإضافة إلى أعوان مساعدين مثل الشاوس، الوكيل (ممثل الدفاع)، زيادة على مُحضر قضائي الذي يسهر على تبليغ أحكام القاضي إلى الأشخاص المعنيين بجلسات المحاكمة، كما أن تكاليف إجراءات المحاكمة في القضايا البسيطة لا تتعدى 300 فرنك، أما تكاليف القضايا الصعبة والمعقدة فهي تصل إلى 600 فرنك [2]، بعد التنظيم الإداري لأقاليم الجنوب وتأسيس ملحقة ورقلة سنة 1902م، أصبح الأوربيون القاطنين بورقلة يخضعون للمحاكم العادية الخاصة بهم، بينما السكان يحاكمون عن طريق المجالس العسكرية بقسنطينة وباتنة، وفي حالة ارتكاب مخالفات تصنف في خانة الجنح البسيطة، فإن عرضها يتم أمام لجان تأديبية محلية،التي لا تنفذ قراراتها إلا بعد مصادقة الحاكم العام عليها. ويعتبر رئيس الملحقة بمثابة القاضي الذي يرتبط أساسا بمحكمة باتنة أو قسنطينة وكذلك الشأن بالنسبة لضباط الشؤون الأهلية بالملحقة الذين لهم دور المساعدين لوكيل الجمهورية بباتنة أو قسنطينة [3].

– **بشار:** بحلول سنة 1902م تم توقيع برتوكول بين السلطة الفرنسية في الجزائر والسلطنة المغربية، الذي نص في الفصل العاشر على إقامة محكمة تنظر في قضايا المسلمين في منطقة جنان بالقرب من بني ونيف، وبموجب بنود البرتوكول تم تأسيس محاكم تختص بقضايا المدنية والتجارية للسكان[4]، كما يوضح الجدول التالي:

[1] علي، غنابزية: مجتمع وادي سوف...،المرجع السابق، ص ص 136- 139.

[2] A.N.A: Théodore, Steeg: Op.cit.pp 406- 409.

[3] رضوان، شافو: الجنوب الشرقي...، المرجع السابق، ص 257.

[4] محمد، برشان : الحياة الاجتماعية...، المرجع السابق، ص ص 138- 139.

المحكمة	التأسيس	دائرة الاختصاص	محكمة الإلحاق
بني ونيف	20/ 10/ 1901م	المقيل	معسكر
بشار	28/ 06/ 1906م	توات قورارة	

جدول يبين تاريخ تأسيس المحاكم الفرنسية بمنطقة بشار وبني ونيف 1901م– 1906م (1)

– **توات:** بعد احتلال توات تأسست النظام القضائي بها وفق التشريعات الفرنسية، حيث قسمت العدالة على شاكلة ما وجد في القسم الشمالي للجزائر بوجود جهازين للعدالة (الفرنسية – الإسلامية) اختص القضاء الفرنسي بالقضايا الخاصة بالأوروبيين واليهود وذلك بموجب مرسوم 1860م، بعد التنظيم الإداري لأقاليم الجنوب سنة 1902م، تم استحداث القضاء الفرنسي بالإقليم، وذلك بتأسيس محكمة الصلح العسكرية بأدرار في 17 أكتوبر 1908م وفي تيميمون بتاريخ07 يناير 1910م (2).

2) فرض الضرائب:

إن السياسة الفرنسية لم تكتف بسلب الأراضي وحرمان السكان من المساهمة في الحياة الاقتصادية، بل فرضت عليهم مجموعة من الضرائب المجحفة والتي كانت تسمى الضرائب العربية، فهي تشريع خاص يخضع لها السكان بدون أن تصاحبها امتيازات مقابل ذلك، إذ كان على السكان أن يدفعوا الضرائب الفرنسية، ثم مجموعة أخرى من الضرائب العربية التي تخص ملكية الأرض وحجم الثروة الحيوانية، العشور، الزكاة، وضريبة الرأس المسماة اللزمة، إضافة إلى فرض السخرة والعمل مجانا في أراضي المستوطنين ولحساب المجالس المحلية (3)، والجدول التالي يبين أنواع الضرائب المفروضة على سكان الجنوب:

(1) A.W.O : Messier, (C). : «Territoire..., 2^{em}P…, Op.cit. p 105.

(2) A.W.C: G. G.A : Exposé de la situation ... 2^{em}P..., Op.cit.p 475.

(3) إبراهيم، مياسي: توسع الاستعمار ...، المرجع السابق، ص 143.

السنوات	القيمة بالفرنك الفرنسي			
	الحكور (ضريبة على أراضي العرش)	العشور	الزكاة	اللزمة
1904م	10410	66358	649485	755624
1905م	4956	51206	732359	560489
1906م	15620	43002	734202	817613
1907م	11806	23810	847817	749591
1908م	8006	42470	848685	755494
1909م	10400	38425	824381	814205
1910م	8044	44830	768788	840493
1911م	14065	54010	739829	942374
1912م	14707	58848	755441	925403
1913م	16256	74799	863695	976878
1914م	8677	27652	878639	919381
المجموع	**122933**	**525409**	**8643321**	**9058245**

جدول يوضح أنواع الضرائب ومداخيلها بأقاليم الجنوب الجزائري، ما بين سنوات: 1904م– 1914م [1]

كانت الإدارة الفرنسية تحرص على استخلاص الضرائب السنوية في وقتها المحدد، وتشدد الإجراءات العقابية ضد الممتنعين أو الغير قادرين على أداءها، فكانت تصادر أراضيهم لتباع في المزاد العلني، أو يسخروا للعمل لدى المستوطنين أو المجالس المحلية، أو يسجنوا، الأمر الذي يدل على قسوة النظام الضريبي المسلط على سكان الجنوب، فرغم الظروف الصعبة التي كان يعيشها سكان أقاليم الجنوب من جميع الجوانب من ركود يصيب نشاطاتهم الاقتصادية، نتيجة الكوارث الطبيعية التي تصيب مواردهم البسيطة، إلا أن ميزانية الضرائب الاستعمارية، كانت تسجل فائضا كل سنة، تستخدم تلك الميزانية في إقامة المنشآت العسكرية والإدارية، التي ترسخ الوجود الاستعماري بالجنوب، فعلى سبيل المثال لا الحصر: نلاحظ من خلال الجدول، ارتفاع في مجموع الضريبة لسنة 1913م، الذي وصل إلى مجموع 1874401 فرنك فرنسي، نظرا لاستعدادات فرنسا العسكرية لدخول خضم الحرب العالمية الأولى [2].

---

[1] A.N.A: G. G.A: Statistique Financière de l'Algérie, Algérie du Nord et Territoires du Sud, Année 1914, Agha-Alger Imprimerie Agricole et Commerciale , Alger, 1921, pp 192-193.

[2] عبد القادر، مرجاني: المرجع السابق، ص 252.

3) فرض التجنيد الإجباري:

نهاية القرن التاسع عشر دخل الجنوب الجزائري مرحلة جديدة من تاريخه؛ فقد أعلنت سلطات الاحتلال في 24 ديسمبر 1902م رسميا عن التنظيم الإداري للجنوب، والذي قسم بموجبه الجنوب ذلك القانون إلى أربع أقاليم: إقليم عين الصفراء، الأغواط، ورقلة وإقليم تقرت، الأمر الذي تطلب تشكيل فرق عسكرية بالأقاليم، فعلى سبيل المثال لا الحصر: قامت السلطة الاستعمارية بتكوين ثلاث فرق بموجب أمرية01 أفريل 1902م[1] في كل من توات وتيديكلت، ثم بموجب أمرية 22 أفريل 1904م[2] تم تشكيل فرقة عسكرية أهلية في بني عباس، ضمت هذه الفرق 10 ضباط فرنسيين و168 مجند جزائري و26 مجند فرنسي[3]، وذلك لحفظ الأمن وقمع أي تمرد أو ثورة.

ضمن إستراتيجية دفع عملية تجنيد سكان الجنوب ضمن الجيش الفرنسي، استعداد لخوض غمار الحرب العالمية الأولى، لجأت الإدارة الاستعمارية إلى القياد باعتبارهم أداة طيعة، لأنهم أكثر المسئولين قربا من السكان، وأكثرهم معاينة لمشكلاتهم، فمعلوماتهم كانت دقيقة حول عدد الشبان الموجودين بالدواوير وحتى الأسر، وهذا ما يهم السلطات الاستعمارية التي كلفت القياد وشيوخ القبائل باختيار المجندين لتكون العملية بمثابة تمهيد لفرض الخدمة العسكرية على شباب الجنوب الجزائري [4].

في هذا الشأن وجه "عمر بن علي بن عثمان "مفتي وشيخ زاوية طولقة نداء إلى أتباعه نشرته جريدة الفاروق في أوت 1914م جاء فيه: " ليكن في علمكم أن دولة ألمانيا أشهرت الحرب ظلما وعدوانا على دولتنا الجمهورية الفرنسية...، ولذلك يجب علينا نحن معاشر المسلمين أن

---

(1) Décret du 01 Avril 1902, B.L.R.F, N 2365, Imprimerie Nationale, Paris, 1903, pp 176- 191.

(2) Décret du 22 Avril 1904, B.L.R.F, N 2543, Imprimerie Nationale, Paris, 1904, pp 253- 254.

(3) عبد القادر، بلجة: مسألة التجنيد في الجيش الفرنسي وانعكاساتها على المجتمع الجزائري 1907م-1945م، تحت إشراف ا.د/ محمد مجاود، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي ليابس- سيدي بلعباس، السنة الجامعية، 2015-2016، ص 71.

(4) عبد القادر، بلجة: المرجع السابق، ص 71.

نقاتل في صف دولتنا، ونكون معها يدا واحدة..." [1].

بالاغواط قام القايد "محمد الشيخ علي" باقتياد 244 متطوع للجيش و51 عاملا، وبذلك أصبحت القبيلة هي المسئولة على تطبيق الخدمة العسكرية، وفي هذه الحالة، يضطر الشاب قبول الجندية في صفوف الجيش الفرنسي، لأن الأمر صدر عن كبار وشيوخ القبائل الذين جعلتهم السلطات الاستعمارية أداة طَيعة لخدمة مصالحها [2].

في حين نجد الرفض القاطع للتجنيد الإجباري في وادي ميزاب بعد صدور مرسوم التجنيد في3 فيفري 1912م، بعد أيام قليلة وقع حوالي 396 شخص من أعيان بني ميزاب التماسا شكوى عريضة إلى كل من قائد إقليم غرداية [3]، الوالي العام، ورئيس الحكومة الفرنسية ورئيس مجلس الوزراء، تبعها إرسال تقرير إلى رئيس الحكومة الفرنسية بتاريخ 8 جوان 1912م، يشرح أسباب رفض التجنيد، التي تتلخص أولا في تعارضه مع الدين الإسلامي، ونتائجه الاقتصادية السيئة على وادي ميزاب، وكذا تعارضه مع بنود معاهدة الحماية المتفق عليها سنة 1853م [4].

---

[1] عبد القادر، بلجة: المرجع السابق، ص 71.

[2] نفسه، ص 71.

[3] Fatiha, Sifou : «Un aspect de la résistance mozabite contre la domination française (1830-1914)», Dialogue Méditerranéen ,Univ Sidi Bel Abbes, V9, N01, Mars 2018, p 28.

[4] عبد القادر عزام، عوادي: المرجع السابق، ص 83.

الفصل الثالث:

الوضع الاقتصادي لمجتمع الجنوب الجزائري (1852م– 1914م)

أولا: النشاط الاقتصادي لمجتمع الجنوب الجزائري

ثانيا: السياسة الاقتصادية الفرنسية في الجنوب الجزائري

ثالثا: انعكاسات السياسة الاقتصادية الفرنسية على مجتمع الجنوب

أولا: النشاط الاقتصادي لمجتمع الجنوب الجزائري

تنوعت الأنشطة الاقتصادية لدى مجتمع الجنوب الجزائري، حسب خصوصية كل منطقة، فنجد: الرعي، الزراعة، الصناعة والتجارة.

1) الرعي:

الرعي وظيفة متوارثة، وهي نتاج تعاقب زمني تعود عليه غالبية المجتمع الجزائري، ومجتمع الجنوب مارس هو الأخر حرفة الرعي، وسنركز في هذه الجزئية على دراسة نماذج للمناطق التي توفرت حولها المادة العلمية.

ا) **وادي سوف:** مارس سكان منطقة وادي سوف مهنة الرعي باعتبارها مورد من موارد الرزق، كما يوضح الجدول الأتي:

السنوات	1887م	1899م
عدد الأغنام	28255	24510
عدد الماعز	29050	27864
عدد الجمال	7330	6979
المجموع	64635	59353

جدول يوضح تطور عدد المواشي بوادي سوف 1887م- 1899م (الوحدة: الرأس) [1]

مما يلاحظ في الجدول تراجع عدد المواشي من 64635 رأس سنة 1887م إلى 59353 رأس سنة 1899م، ويرجع التناقص الشديد إلى كثير من العوامل: الحالة المناخية السيئة والتي صاحبها الجفاف والبرودة فضلا عن موت بعض الأعداد بسبب الأوبئة التي تصيب القطيع، وتعرض بعض القطعان للبيع، مع هجر بعض المربين لحياة البداوة وتمدنهم في الواحات، وكذا عدم تصريحهم بالأعداد الحقيقية لقطعانهم لدى المصالح الاستعمارية، مما جعل مصالح الإحصاء الاستعمارية عاجزة عن الوصول إلى العدد الحقيقي من المواشي [2].

ب) بوسعادة: تعد تربية الماشية النشاط المهيمن على سكان منطقة بوسعادة، فمن منطلق ذلك

[1] علي، غنابزية: مجتمع...، المرجع السابق، ص ص 178- 179.
[2] نفسه، ص 178.

شرعت الإدارة المحلية الاستعمارية على مستوى بوسعادة منذ سنة 1891م بإقامة ورشة نموذجية لتربية الماشية بالتنسيق مع السلطات العليا التي كانت تهدف خلالها إلى مضاعفة الإنتاج وتحسين النوعية، والعمل على تصديرها نحو الأسواق الفرنسية، فلقد قدر عدد رؤوس الماشية في نهاية الثلاثينات من القرن العشرين بحوالي 200000 رأس من الغنم وحوالي40000 رأس من الماعز [1].

تأثر نمط حياة السكان بالوجود الاستعماري في المنطقة، التي كان اغلب سكانها خارج مدينة بوسعادة، يعيشون على الحل والترحال من اجل إيجاد مراعي خصبة لقطعانهم، وبترسيخ الإدارة الاستعمارية في المنطقة، بدأ نشاط تربية الماشية يتقلص ويفسح المجال لنشاطات جديدة بسبب عدة عوامل، تتدرج ضمن تطور الوجود الاستعماري بالمنطقة، فعلاوة على مختلف المقاومات والانتفاضات التي انخرط فيها سكان المنطقة والتي أدت في نهاية الأمر إلى مصادرة القطعان بفرض غرامات الحرب، وهجرة الكثير من القبائل لمضاربها المعتادة من جهة، ومن أخرى نتج عن تطبيق قانون السيناتوس كونسيلت، تقلص مساحات الرعي، تسببت على المدى البعيد في إفقار أصحاب القطعان، وتخليهم التدريجي عن هذه المهنة [2].

ت) وادي ميزاب: امتلك الميزابيون في كل مدينة من مدنهم السبع، العديد من المواشي، والحيوانات التي استخدموها في استعمالاتهم اليومية خصوصا في مجال الفلاحة كالحرث، والحمولات والسفر كما يوضح الجدول الأتي:

نوع الحيوان	الأغنام	الماعز	الجمال	الخيول	البغال	الحمير
العدد	28767	27244	6123	26	311	1821

جدول يبرز الثروة الحيوانية المتواجدة بملحقة غرداية خلال القرن القرن العشرين (الوحدة: الرأس) [3]

ث) متليلي: كان اغلب سكان متليلي الشعانبة يعيشون حياة رعوية، إذ أن أكثرهم يعيشون في

---

(1) خميسي، سعدي: المرجع السابق، ص 136.

(2) نفسه، ص ص 136- 139.

(3) A.W.C: G. G.A : Exposé de la situation ... 2emP..., Op.cit. pp 638- 639.

البادية ويقتسمون موسمهم بين الرعي والواحة، التي يدخلونها في موسم جني التمور، ثم يخرجون منها بعد ذلك من الواحة قاصدين أماكن أخرى للرعي التي تمتد من الحدود الطرابلسية شرقا حتى العرق الغربي الكبير غربا حسب وصف رينيي (Régnier) [1].

ج) بشار: نظرا للتقلبات الجوية التي أثرت سلبا على المنتوج الزراعي لدى السكان شبه الرحل كأولاد جرير وذوي منيع بمنطقة بشار، لم يعتمدوا كليا على الزراعة بل مارسوا مهنة الرعي خاصة الإبل والخيول، والجدول التالي يوضح عدد رؤوس المواشي التي امتلكتها قبيلة ذوي منيع في نهاية القرن 19م.

اسم القبيلة	أولاد سليمان			أولاد بوعنان	أولاد بلكيز	المجموع
	أولاد يوسف	أولاد جلول	ادريسة			
عدد الخيام	670	312	424	470	400	2276
عدد رؤوس المواشي	17300	11260	16750	/	13616	61816

جدول يوضح عدد رؤوس المواشي التي امتلكتها قبيلة ذوي منيع نهاية القرن 19م (الوحدة: الرأس) [2]

فحين امتلكت قبيلة أولاد جرير حوالي 7025 رأس ماشية حسب إحصائية كالدورارو سنة 1904م[3].

ح) توات: عرف عن التواتيين ممارستهم للرعي شأنهم شأن باقي سكان الجنوب، فحسب وصف عبد الرحمان سلكة وهو احد سكان المنطقة، ان كل اسرة تواتية امتلكت عددا معينا من رؤوس الماشية المسماة "دمان" وهي نوع من الخراف الهجين بين الخروف العربي والخروف التارقي[4].

خ) الطوارق: مارس الطوارق الرعي باعتباره أهم مورد اقتصادي لهم، فالمعروف عن الطوارق القاطنين عزوفهم عن الزراعة بحكم بيئتهم الصحراوية الجافة التي لا تصلح للزراعة، مما دفعهم لامتهان تربية المواشي من الجمال، الأبقار، الغنم والماعز التي تشكل قطعان كبيرة[5]، تلزمهم

---

[1] Régnier, Yves: Les Chaamba sous le régime français, Les Editions Domat-Montchrestien, Paris, 1933, C.C.D.S, p 30

[2] Jules, Cambon : Documents pour servir à l'étude du Nord Ouest africain, T2, G. G.A , Alger, 1897, p 614.

[3] Calderaro: Op.cit. p 351.

[4] Abderrahmane, Selka: Op.cit. pp 550- 551.

[5] A.W.C: Henri, Duveyrier: Les Touaregs.., Op.cit .pp 334.

دائما البحث عن أماكن رعي جديدة وتوفير المياه لها، حيث تعتبر هذه القطعان الثروة الحقيقية لدى الطوارق بما توفره لهم من مصدر رزق [1].

2) الزراعة:

تنوع النشاط الزراعي بالجنوب بتنوع مناخ كل منطقة من مناطق الجنوب، فقد كانت زراعة النخيل هي الزراعة الوحيدة الغالبة والمشتركة بين سكان المدن والواحات بالجنوب الجزائري، سنركز في دراستها هذه على نماذج للمناطق التي توفرت حولها المادة العلمية.

أ) وادي سوف: عرفت غراسة النخيل بوادي سوف منذ الاحتلال تزايدا مستمرا، وهذا نلاحظه من خلال الجدول التالي:

السنوات	1860م	1883م [2]	1906م	1907م[3]	1908م	1909م [4]
عدد النخيل	60000	154000	247192	248702	266025	365198

جدول يوضح تطور عدد النخيل بوادي سوف خلال سنوات 1860م- 1909م

من خلال هذا الجدول يلاحظ التزايد المستمر في عدد النخيل نتيجة الاهتمام بغراستها نظرا لتشجيع السلطة الاستعمارية وتوفير الإمكانيات الفلاحية للفلاحين الأوربيين، قصد تصدير منتوج التمور باعتباره موردا زراعيا هاما، خاصة الأنواع الجيدة التي تصدر إلى فرنسا.

المحصول الثاني ذو الأهمية البالغة بالمنطقة هو التبغ، حيث يعد الزراعة الثانية لدى السلطة الاستعمارية بعد النخيل وأول منطقة تمت زراعته بها هي منطقة قمار بوادي سوف في نهاية القرن الثامن عشر، وقد قدر الإنتاج من التبغ بوادي سوف سنة 1910م بحوالي 150 ألف كغ [5].

ب) ورقلة: أهم ما يميز المجتمع الورقلي في تلك الفترة زراعة النخيل، وزراعة بعض المنتجات

---

[1] إسماعيل، العربي: « الحياة الاقتصادية والاجتماعية عند طوارق أهجار »، مجلة الأصالة ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية- الجزائر، ع 72، أوت 1979م، ص 40.

[2] موسى بن، موسى: المرجع السابق، ص 48.

[3] Charles, Jonnart: Exposé de la situation générale des Territoires du Sud de l'Algérie , Année 1907, Imprimerie Administrative Victor Heintz , Alger, 1908, p 91.

[4] Charles, Jonnart: Exposé de la situation générale des Territoires du Sud de l'Algérie, Année 1909, Imprimerie Typographie Adolphe Jourdan , Alger, 1910 .p 67.

[5] Charles, Lutaud: Exposé de ... 1909…, Op.cit. p 84.

المحلية المعاشية التي يخصصها الفلاح الورقلي للاستهلاك العائلي، أو بيعها في الأسواق المحلية، فقد كان اغلب سكان المنطقة يزرعون هذه المزروعات في مساكنهم وذلك في ضيعات صغيرة، كما كان الاهتمام الأكبر للفلاح الورقلي هو النخلة باعتبارها الدعامة الأساسية للاقتصاد المحلي، وذلك لما توفره من إنتاج تجاري كبيع التمور وإنتاج صناعي كاستغلال مكونات النخلة للصناعات المحلية [1].

بعد احتلال المنطقة عملت السلطة الاستعمارية على توسيع غراسة النخيل بورقلة قصد تصدير محصول التمور، بعدما كان سكان ورقلة يملكون سنة 1877 حوالي 221035 نخلة ليصل غدد النخيل إلى 917200 نخلة سنة 1914م، وهذا بفضل إدخال التقنيات الحديثة الزراعية، والعمل على تطوير عملية الري وتنظيم عملية السقي، حيث تم تعميم استعمال النواعير للسقي، والتي وصل عددها إلى حوالي 200 ناعورة، كما حصروا إنتاج التمور في نوع واحد وهو " دقلة نور"، كما يبين الجدول التالي:

السنوات	1877م	1883م[2]	1909م [3]	1912م[4]	1914م[5]
عدد النخيل	221035	454306	700000	901500	917200

جدول يبين تطور عدد النخيل بورقلة خلال سنوات 1877م- 1914م

ت) تقرت: بعد القضاء على إمارة بني جلاب، قامت السلطات الاستعمارية بمصادرة أراضي عائلات بني جلاب، إذ كان لبني جلاب أراضي زراعية تتمثل في مجموعة من أشجار النخيل، وبعد انتفاضة سكان وادي ريغ بقيادة الشريف بوشوشة عام 1871م، قامت بمصادرة أراضي وممتلكات كل الذين شاركوا في هذه الانتفاضة، فعلى إثر ذلك توافد المعمرون الأوروبيون على المنطقة، إذ تحولت أراضي السكان إلى مزارع استعمارية وتحول مالكوها إلى "خماسين".

(1) رضوان، شافو: الجنوب الشرقي...، المرجع السابق، ص ص 92- 93.
(2) نفسه، ص ص 229.
(3)Charles, Lutaud: Exposé de ... 1909…, Op.cit. p 67.
(4) Charles, Lutaud: Exposé de la situation générale des Territoires du Sud de l’Algérie , Année 1912, Imprimerie Typographie Adolphe Jourdan , Alger, 1913, p 79.
(5) A.N.A : Charles, Lutaud: Exposé de ... 1914 et 1915…, Op.cit. p 81.

ساهمت سياسة الاستيلاء على الأراضي الفلاحية، وتوسيع أملاك المعمرين في المنطقة إلى تطور الفلاحة بمنطقة تقرت، إذ توسعت غراسة النخيل وكثر إنتاجها، وأصبحت المنطقة من أهم المناطق إنتاجا للتمور، على خلاف ما كانت عليه قبل الاحتلال، إذ كانت طبيعة الفلاحة قبل قدوم المعمرين تقليدية جدا، حيث نجد أن المساحة التي كانت مغروسة نخلا محدودة، أضف إلى ذلك أن الفلاحة كانت تقوم على الاكتفاء الذاتي، والحرص على الإنتاج الذي يلبي حاجة السكان محليا[1]، الجدولين التالين يوضحان ذلك:

نوع العقار	السنوات	
	1856م	1895م
القرى أو الواحات	33	42
عدد الأشجار المثمرة	40000	90000
عدد الآبار التقليدية للسكان	282	617
الواحات المسقية بشكل جيد	21	28
الآبار التقليدية الفرنسية	/	136
المجموع	52767	107463

جدول عدد الأشجار المثمرة والآبار بواحات وادي ريغ بتقرت ما بين 1856م-1895م[2]

السنوات	1856م[3]	1865م[4]	1895م[5]	1906م	1907م[6]	1908م	1909م[7]	1914م[8]
عدد النخيل	359300	500000	630512	847000	921500	1070000	1085000	1463770

جدول يبين تطور عدد النخيل بتقرت خلال سنوات 1856م- 1914م

ث) بوسعادة: أما عن الزراعة ببوسعادة فحسب وصف أوجين دوما فقوامها ضفاف الأودية حيث تكثر زراعة النخيل، هذه الأخيرة بلغ تعدادها 7000 نخلة سنة 1862م[9]، وإلى جانب ذلك وجود عدة بساتين لأشجار مثمرة، وانتشار زراعة الحبوب بمختلف أنواعها [10].

---

[1] رضوان، شافو: مقاومة منطقة تقرت...، المرجع السابق، ص ص 121- 127.
[2] Georges, Rolland: Rapport Hydrologie du Sahara Algérien, Imprimerie Nationale, Paris,1895, C.C.D.S, p 324.
[3] Ibid. p 324.
[4] A.W.C: Joseph, Zaccone: Op.cit. p 203
[5] Georges, Rolland: Op.cit. p 324.
[6] Charles, Jonnart: Exposé de la situation... 1907,… Op.cit. p 91.
[7] Charles, Jonnart: Exposé de la situation... 1909,… Op.cit. p 67.
[8] Charles, Lutaud: Exposé de ... 1914 et 1915…, Op.cit. p 81.
[9] Le Baron Hernie, AU Capitaine, Op.cit, p 53
[10] Dumas Melchior, Joseph Eugène: Le Sahara... ,Op.cit.p 94.

ج) وادي ميزاب: كانت زراعة النخيل محور النشاط الفلاحي لسكان وادي ميزاب لكونها مصدر للعديد من المنتوجات المرتبطة بعدة صناعات التقليدية والاستعمالات اليومية لسكان وادي ميزاب على غرار الثمار التي يجنونها من هذه الشجرة، وهذا ما نلمسه من خلال الإحصائيات التي قامت بها السلطات الفرنسية [1] والمتمثلة في تقرير القائد "روبين" لمدن ميزاب السبع، حول أعداد النخيل والآبار الموجودة في المنطقة، حيث يذكر التقرير أن منتوج التمور وصل إلى 63000 قنطار من النوعية الجيدة، الجدول الآتي يوضح ذلك:

اسم المدينة	عدد النخيل	الآبار الحية	الآبار الناضبة
غرداية	64074	1240	275
بونورة	2865	173	23
القرارة	25875	417	124
العطف	9954	248	/
مليكة	16483	343	90
بني يزقن	27855	274	/
بريان	28000	280	/
المجموع	175106	2975	512

جدول يوضح عدد النخيل والآبار الحية والناضبة بمدن وادي ميزاب سنة 1882م[2]

من خلال الجدول نستنتج مدى حرص الميزابيين على زراعة النخيل والاهتمام بها، وهذا نلاحظه من أعداد الآبار في كل مدينة من المدن السبع، كما لم تقتصر الزراعة على النخيل فقط وإنما كانت هي الغالبة، فنجد أيضاً زراعة الحبوب وزراعة الخضر والفواكه [3].

لكن بعد الإلحاق مدن ميزاب سنة 1882م، وبداية توافد الأجانب والمعمرين واستيطانهم، عملت السلطة الاستعمارية على تطوير قطاع الزراعي بالتركيز على زراعة النخيل باستخدام تقنيات زراعية حديثة كما فعلت بباقي مناطق الجنوب خدمة للاقتصاد الاستعماري، الجدول الأتي يبين ذلك:

---

[1] عبد القادر عزام، عوادي : المرجع السابق، ص 41.

[2] A.W.C: Robin (Commandant): Op.cit.p16.

[3] عبد القادر عزام، عوادي : المرجع السابق، ص 42.

السنوات	1882م [1]	1905م [2]	1912م[3]	1913[4]	1914م[5]
عدد النخيل	175106	200000	200918	202073	212391

جدول يبين تطور عدد النخيل بملحقة غرداية خلال سنوات 1882م- 1914م

ح) **متليلي وبسكرة:** كان شعانبة متليلي يقومون بعدة زراعات موسمية، بعد هطول الأمطار وجريان الوديان، وقد تمثلت هذه المزروعات في زراعة بعض أنواع الخضروات والفواكه، زراعة الحبوب وزراعة النخيل بكثرة، حيث يصف تروملي (Trumelet) أن أشجار النخيل تمتد لمسافة أربعة كيلومترات وتنتج أجود أنواع التمور[6]، حيث وصل تعداد النخيل سنة 1896م إلى 27049 نخلة [7]، بالنسبة للزراعة في بسكرة فحسب وصف "الأب جون هاربيال (Jean Hurabielle) " سنة 1899م، فقد تنوعت مابين زراعة الحبوب، زراعة أشجار البرتقال، زراعة أشجار الليمون وزراعة أشجار الزيتون وهذه الأخيرة بلغ تعدادها 6000 شجرة، لكن يبقى أهم منتوج ببسكرة، هو منتوج التمور، حيث بلغ تعدد أشجار النخيل 150000 نخلة [8] ، ومع إدخال التقنيات الزراعية الحديثة من طرف السلطات الاستعمارية، عرف عدد النخيل تطورا ملحوظا، كما يوضح الجدول التالي:

السنوات	1899م [9]	1906	1907م [10]	1908م	1909م [11]
عدد النخيل	150000	572762	577490	598794	599573

جدول يبين تطور عدد النخيل ببسكرة خلال سنوات 1899م- 1914م

خ) **بشار:** تمركزت الزراعة في بشار على ضفاف الأودية الكبرى التي تعبرها باتجاه المناطق الصحراوية، مثل وادي قير وزوفانة اللذين ينبعان من سفوح الأطلس الصحراوي، ويكونان معا

---

[1]A.W.C: Robin (Commandant): Op.cit.p16.
[2] Chalet, (Lieutenant): «Les Palmiers du M'Zab» , B.S.G.A , Alger, 1905, p 33.
[3]Charles, Jonnart: Exposé de la situation... 1907,… Op.cit. p 91.
[4]Charles, Lutaud: Exposé de la situation générale des Territoires du Sud de l’Algérie , Année 1913, Imprimerie Typographie Adolphe Jourdan , Alger , 1914, p 79.
[5] A.N.A : Charles, Lutaud: Exposé de ... 1914 et 1915…, Op.cit. p 81.
[6] Corneille, Trumelet: Op.cit. p 367.
[7] لكحل، الشيخ: المرجع السابق، ص 50.
[8] Jean, Hurabielle: Op.cit. pp 49.
[9] Ibid. pp 49.
[10]Charles, Jonnart: Exposé de la situation... 1912,… Op.cit. p 78.
[11] Charles, Jonnart: Exposé de la situation... 1909,… Op.cit. p 67.

وادي الساورة عندما يلتقيان عند منطقة إيقيلي، حيث تكثر التربة الفيضية الخصبة على حوافهما [1].

ركزت قبائل ذوي منيع نشاطها الفلاحي على ضفاف وادي قير من خلال زراعتها للقمح والشعير، حيث وصل مردود الإنتاج إلى 30 قنطارا للهكتار الواحد ملثما عرفته مواسم سنوات 1902م– 1904م، إلى جانب ذلك امتلكت قبائل ذوي منيع مساحات واسعة من بساتين النخيل على طول وادي زوفانة خاصة بمنطقة بني قومي، حيث قدر " كالدورارو(Calderaro)" سنة 1904م عدد أشجار النخيل بحوالي99616 نخلة، وقد حصلت قبيلة ذوي منيع على تلك الملكية إما عن طريق الشراء، أو كغنيمة حرب نتيجة للغارات المتبادلة بين قبائل المنطقة [2].

فحين نجد أن قبائل أولاد جرير قد ركزت نشاطها الزراعي على وادي زوفانة، حيث كانت تزرع الحبوب خاصة القمح والشعير، فحين امتلك أفراد القبيلة مزارع النخيل على طول وادي زوفانة وأكثر بساتين نخيلهم تركزت في منطقة بشار، أما بالنسبة للنشاط الفلاحي لسكان الحضر، والذي مثله أهل القصور والواحات فقد كان كل قصر يمثل وحدة اقتصادية يتعاون فيها أفرادها ويتقاسمون المنتوج الفلاحي [3].

د) توات: سيطرت زراعة النخيل وإنتاج التمور في منطقة توات، ونستشف ذلك من خلال ما رصدته مذكرات الرحالة والمغامرون، كالرحالة الفرنسي "بيسول"(Bissuel) حيث ذكر أن عدد أشجار النخيل في الواحات توات في السنوات 1880م– 1890م قد وصل إلى 6801500 نخلة [4]، ومنه نرى أن التمور كانت أهم المنتجات استهلاكا لدى السكان، أو للتسويق والتجارة إلى مختلف البلدان والمناطق بما في ذلك مدن الشمال الجزائري، فعند وفرة هذه المادة تصل حمولة الجمل الواحد نحو 180– 220 كلغ من التمور، وإذا كان هناك نقص في الإنتاج فتكون حمولة

---

(1) محمد، برشان: الحياة الاجتماعية ...، المرجع السابق، ص 208.

(2) Calderaro: Op.cit. pp 327, 336.

(3) محمد، برشان: الحياة الاجتماعية ...، المرجع السابق، ص ص 209- 212.

(4) A.W.C: Henri Bissuel: Le Sahara français, conférence sur les questions sahariennes faite les 21 et 31 mars 1891 aux officiers de la garnison de Médéa- avec carte, Jourdan librairie, Alger,1891, p49.

الجمل الواحد من20 إلى 60 كلغ،[1] إلى جانب زراعة النخيل، كانت هناك زراعة التبغ والحناء ومختلف الزروع الأخرى [2]، كزراعة البصل، اللفت، الجزر، الفلفل[3]، وزراعة الحبوب (القمح والشعير)، حيث بلغ الإنتاج من الحبوب سنة 1904م بتوات 17000 قنطار، وفي ڤورارة 23000 قنطار وفي تيديكلت 8000 قنطار ورغم هذه الكميات المعتبر من الإنتاج إلا أن المنطقة برمتها تستورد هذه الماد الحيوية من الشمال عن طريق تجار المناطق الشمالية، ووصلت كمية القمح والشعير المستورد سنة 1906م حوالي 1000 قنطار [4].

3) الصناعة:

تعددت وتنوعت الصناعات في الجنوب الجزائري، لكن هذه الصناعات لا تتعدى كونها صناعات تقليدية بحكم نوعية المواد المستعملة التي اغلبها مما يتوفر في المحيط البيئي لكل منطقة، سنركز في دراستها هذه على نماذج للمناطق التي توفرت حولها المادة العلمية.

ا) وادي سوف: تعد الصناعة بوادي سوف صناعة تقليدية، فهي أشبه بالحرف من أن تكون صناعة، مع أن موادها الأولية هي في الأساس من النخلة، باعتبارها النبات الأساسي، وحيواناتها وصخورها، فمن خوص النخيل تصنع مختلف الأواني المنزلية والآلات، ومواد البناء، ومن أصواف الأغنام، ووبر الإبل يتم نسج الملابس والأفرشة، وإعداد الخيام والأكياس [5].

كما كان يتم دبغ الجلود حتى تجهز للاستغلال في مختلف الصناعات الجلدية الجميلة، أما الصخور الباطنية "كحجر التافزة" الذي هو أساس صناعة الجبس ويعتبر المادة الأساسية لتشييد المباني والمنشآت العمرانية [6].

ب) ورقلة: الصناعة في ورقلة هي صناعة تقليدية بالدرجة الأولى، إذ يعتمد في صناعتها على

---

[1] Jules, Cambon : Documents pour servir à l'étude du nord ouest africain, T3, éd. G. G.A , Alger, 1897, p 321.

[2] نور الدين، ايلال: « الوضع الاقتصادي في إقليم توات قبل 1901م »، المجلة العربية للأبحاث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجلفة، مج13، ع01، جانفي 2021، ص 640.

[3] Abderrahmane, Selka: Op.cit. p 550.

[4] A.W.O: Anonyme: «Les caravanes du Sud oranais en 1904 – 1905 », B.S.G.A.O, Oran, T25, 348.-1905, pp 311

[5] موسى بن، موسى: المرجع السابق، ص ص49- 50.

[6] نفسه، ص ص 49- 50.

ما توفره الحيوانات من جلود، وما توفره التربة من مواد طينية، فعلى الرغم من طابع البساطة الذي عرفته الصناعة الورقلية، إلا أن الصناعة بلغت مستوى لابأس به من التطور، إذ انتشرت محلات الحدادين والنجارين والخياطين، وكذا شركات صناعة الأسلحة و الأحذية، بالإضافة إلى صناعة الحلي التي اشتهر بها اليهود المستقرين بورقلة [1]، وظهرت الصناعة النسيجية كالزرابي، البرانيس، بالإضافة إلى بعض الصناعات الجلدية مثل: الأحذية والقِرب ... [2].

ت) بوسعادة: اشتهرت بوسعادة خلال القرن 19م كمركز للصناعات اليدوية وللنشاط الحرفي التقليدي، كالصناعات النسيجية كالبرنوس والقشابية وكذا المعدنية مثل الخنجر البوسعادي [3].

ث) وادي ميزاب: تنوعت الصناعة في وادي ميزاب، فنجد: صناعة مواد البناء من جير وجبس، صناعة تسوية أخشاب النخيل للتسقيف، وخشب بعض الأشجار لصنع البَكرات وحاملاتها وأدوات النسيج وأواني الطبخ، كما امتهن سكان بني ميزاب يمتهنون حرفة البناء، وأيضا نشاط الحدادة و دور النجارة[4]، ونجد أيضا حرفة دباغة الجلود، والصناعات النسيجية كالبرنوس والحايك [5]، وصناعة الفخار لصناعة الأكواب والأباريق، كما اشتهروا بصناعة البارود[6].

كانت المرأة الميزابية مشاركة في هذا النشاط الاقتصادي، وذلك من خلال صناعاتها المنزلية المتنوعة، خاصة كصناعة النسيج و غزل الصوف، ففي سنة 1893م كان عدد العاملات اللاتي يشتغلن في نسيج الزربية حوالي 6000 عاملة، ولكن مع مرور الوقت والظروف الاقتصادية والاجتماعية تقلص هذا العدد [7].

ج) توات: اشتهر إقليم توات بالصناعة النسيجية والألبسة، وبعض الحرف التقليدية كصناعة الأشرطة الخاصة بالجمال، الحبال، الأكياس، مهنة الحدادة، الصناعة الجلدية، الصناعة الفخارية،

---

[1] Dumas Melchior, Joseph Eugène: Le Sahara... ,Op.cit. p 86.

[2] رضوان، شافو: الجنوب الشرقي...، المرجع السابق، ص 96.

[3] Eudel, Paul, Op.cit. pp 188- 189.

[4] عبد القادر عزام، عوادي: المرجع السابق، ص 48.

[5] Paul, Soleillet: Op.cit. p 81.

[6] Amat, Charles: Op.cit. pp 216.

[7] عبد القادر عزام، عوادي: المرجع السابق، ص 49.

صناعة الحلي ... [1].

ح) الطوارق: تنوعت الصناعات التقليدية لدى الطوارق، فحسب وصف "بيسول" لم تتعدى كونها مجرد حرف تقليدية ممثلة في صناعة الخيمة التي تصنع من الجلد، أوتاد الخيمة، ورواحل الإبل سروج الخيل[2]، إلى جانب صناعة آلات الحرب والدروع والرماح، السيوف، الخناجر، وصناعة الأدوات المنزلية كالقصاع، الأقداح، صياغة حلي للنساء والرجال الخواتم، الأقراط، المجوهرات والخلاخيل [3].

4) التجارة:

تعد التجارة نشاطا هاما وحيويا بالنسبة لمجتمع الجنوب الجزائري، وقد كان للموقع الجغرافي لمدن وواحات الجنوب الجزائري دورا في فعال في استقطاب القوافل التجارية القادمة من مختلف الأقطار والبلدان المجاورة، وهذا ما نلمسه من خلال تنوع السلع المصدرة والمستورة في كل منطقة من مناطق الجنوب، سنركز في دراستها هذه على نماذج للمناطق التي توفرت حولها المادة العلمية.

أ) وادي سوف: عرفت منطقة وادي سوف نوعين من التجارة هما:

أ.1- التجارة المحلية:

كان سوق المواشي يعقد طوال أيام الأسبوع، مما يدل على الحيوية الهامة التي كانت تمثلها وادي سوف، فهي تعد أكبر سوق تجاري يؤمه التجار من مختلف الواحات والمدن، أما السلع الأكثر رواجا في الأسواق خاصة في سوق الوادي نجد: التمور، التبغ، اللحوم، والإبل، السمن، الحطب [4].

أ.2- التجارة الخارجية:

وتتمثل هذه التجارة أساسا في:

---

[1] عبد الله، بابا: المرجع السابق، ص ص 264- 268، ينظر ايضا: Abderrahmane, Selka: Op.cit. p 550

[2] A.W.C : Henri, Bissuel: Les Touaregs..,Op.cit. p 125.

[3] محمد السعيد، القشاط: التوارق عرب الصحراء الكبرى، ط2، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، القاهرة، 1989، ص 69.

[4] موسى بن، موسى: المرجع السابق، ص ص 50- 51.

– الصادرات: تتمثل في التمور، التبغ، الحيوانات (الجمال والأغنام) ومنتوجاتها (وبر الجمال، شعر الماعز)، المنسوجات (الزرابي، والبرانيس)، التمر، وقد بلغت كمية التمور المصدرة سنة 1910م حوالي 2400 طن.

– الواردات: تتمثل أساسا في الحبوب (القمح، الشعير، الدقيق، السميد، الأرز)، الأقمشة القطنية، الصوف، الجلود، والشمع، الكبريت الخردوات، الصابون، الشاي، السكر، القهوة، التوابل، السمن، الزيت، الملابس، وتعتبر الحبوب من أهم الواردات لارتباطها بغذاء السكان، ووصلت قيمة القمح المستورد في سنة 1914م حوالي 1000 قنطار [1].

ب) ورقلة: عرف عن ورقلة خلال الفترة الإسلامية والعثمانية أنها نقطة وصل ذات أهمية بين بلاد السودان وبلدان المغرب، وبالتالي فقد كانت محط رحال لكثير من القوافل التجارية الوافدة من كل جهة، كونها نقطة لتصريف المنتجات القادمة من مختلف المناطق، كما أن الطرق التجارية الصحراوية المارة بها، التي أعطتها هذه المكانة الاقتصادية، خاصة الطريق الرئيسي الذي يعرف بطريق الواحات والقصور، حيث ينطلق من تافيلالت نحو غدامس، ويتفرع من ورقلة وتقرت إلى كل من غات، تماسين، القليعة، الاغواط والزيبان، بالإضافة إلى طريق آخر لا يقل أهمية عن الطريق الذي سبق ذكره، وهو طريق الذهب الذي كان يمر على ورقلة وتقرت ويربط سواحل بلدان المغرب بمدن بلاد السودان كمدينة تمبكتو واهم المناطق التجارية التي كانت تتعامل معها ورقلة نجد: منطقة غدامس، بلاد الطوارق، غير أن هذا الازدهار التجاري سرعان ما اضمحل مع استقرار الاستعمار الفرنسي بالمنطقة، أما فيما يخص ابرز الصادرات والواردات بوقلة فنجد:

– الصادرات: التمور بكل أنواعه، الملح، الفواكه بكل أنواعها، علف الحيوانات، الشعير، الخضر، وبعض الصناعات كالمنسوجات....

– الواردات: العبيد، صفائح النحاس، قطع الحديد، أدوات مصنعة مثل: الإبر، فلفل اسود، أنياب الفيلة، جلود الحمير الوحشية، الجلود المطرزة [2].

[1] علي، غنابزية: مجتمع...، المرجع السابق، ص ص 223- 234.

[2] رضوان، شافو: الجنوب الشرقي...، المرجع السابق، ص ص 93- 95.

ت) بوسعادة: موقع واحة بوسعادة أهَلها لأن تكون محطة للقوافل التجارية ولاستراحة التجار وسوقا لتبادل البضائع مع السكان المحليين والمجاورين لهم مثل أولاد نايل وأولاد ماضي وأولاد دراج، ويقوم أولاد نايل بنقل سلع وبضائع الواحة وتسهيل علمية التبادل أكثر، فقوافلهم تصل إلى مناطق وادي ريغ وورقلة... [1]، وأكثر المناطق مُتاجرة مع بوسعادة هي وادي ميزاب[2].

تمر بالواحة بعض الطرق التجارية الكبرى مثل خط سوف الجزائر الذي يمر عبر بسكرة وبوسعادة، وخط غرداية تونس الذي يمر عبر الاغواط، بوسعادة، قسنطينة والكاف وخط تجاري بوسعادة غرداية عبر الاغواط [3].

سوق بوسعادة حسب وصف أوجين دوماس، كان يعقد داخل المدينة في مكان يسمى رحبت النوادر، تَرده يوميا القوافل المحملة بمختلف البضائع، قد يصل تعداد جمالها إلى 500 جمل، والقبائل والأعراش التي ترتاده هي: أولاد ماضي، أولاد عامر، أولاد سيدي حممة، الحوامد، أولاد نايل، المويعدات، أولاد سيدي عيسى، المطارفة، السوامع، أولاد عدي، ونوغة، قبائل بني عباس، أهل زمورة، زواوة، بني ميزاب، حرازلية، بساكرة، مسيلة، تقرت.

البضائع التي ترد سوق بوسعادة متنوعة ومختلفة المصدر والجدول أسفله يبين ما كان يحمله التجار القادمون من التل والتجار القادمون من الصحراء:

سلع سكان التل	سلع سكان الصحراء
نظام المقايضة	
القمح و الشعير	الصوف و ريش النعام
الزيت	خيم وبرية
البرانيس	الغنم
القماش	الحايك
البنادق	التمور والحنة
/	الزبدة والجبن
الحيوانات: بقر، جمال، خيول، بغال وحمير	الملح، العبيد

جدول يبين أنواع السلع المتداولة في واحة بوسعادة خلال القرن التاسع عشر[4]

[1] خميسي، سعدي: المرجع السابق، ص 134.

[2] Le Baron Hernie, AU Capitaine, Op.cit, p 51

[3] إنتوان كاريت، دي رينو بيليسييه : الاستكشاف العلمي للجزائر خلال أعوام 1840م، 1841م، 1842م، العلوم التاريخية والجغرافية، أبحاث حول اصل وهجرات أهم القبائل في إفريقيا الشمالية والجزائر خاصة، ج 6، ترجمة حمزة الأمين يحياوي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ،الجزائر، 2016، ص ص 216- 217.

[4] Dumas Melchior, Joseph Eugène: Le Sahara... ,Op.cit. pp 95- 96.

ث) وادي ميزاب: كانت التجارة إلى جانب الفلاحة من أهم الموارد الاقتصادية للميزابين، واشتهر بنو ميزاب بهذا العمل شهرة واسعة، وأصبحت تجارتهم ومحلاتهم منتشرة في المدن الجزائرية، وخلال الفترة الاستعمارية بقيت تجارة بني ميزاب مستمرة وفق المعاهدة المبرة سنة 1853م، وكانت حركة تنقل التجار من وادي ميزاب إلى المناطق الشمالية، موزعة على حسب المدن التي ينتمي إليها أولئك التجار، فنجد مثلاً: أهل غرداية يكثر ذهابهم نحو قسنطينة، سطيف وغليزان، وأهل بني يزقن إلى قالمة، سوق اهراس والبليدة، وأهل العطف نحو الجزائر وقسنطينة، وأهل مليكة إلى الجزائر، باتنة وخنشلة، وأهل القرارة نحو العلمة، باتنة، خنشلة والبليدة[1]، ومنهم من يتوجه خارج البلاد إلى تونس، السودان الغربي، طرابلس الغرب (ليبيا) ومصر...، ومن أهم واردات وادي ميزاب نجد: ملح البارود الذي يستخدم في صناعة البارود وبدوره يتم تصديره [2].

استأثرت منطقة وادي ميزاب بتجارة بلاد السودان الغربي والصحراء عامة، حيث كانت تلتقي القوافل التجارية القادمة من عين صالح، قورارة ومن غدامس في ميزاب قبل أن تنتقل إلى التل، ، فحسب وصف "بول صوليييه" أصبحت وادي ميزاب وسيطا تجاريا مهما بين مدن التل الجزائري والصحراء الكبرى[3]، لذلك استغلت السلطات الاستعمارية هذه الميزة، فقامت بفرض حصار تجاري على المنطقة ومنع القوافل التجارية من المرور بها، بداية من سنة 1852م من أجل فرض الحماية الفرنسية على وادي ميزاب سنة 1853م، كما يوضح الجدول التالي:

السنوات	1838م	1846م	1850م	1856م
عدد التجار الميزابيين في العاصمة	629	2233	861	1449

جدول يبين عدد التجار الميزابيين بالعاصمة 1838م- 1856م[4]

من خلال الجدول نلاحظ تذبذبا في عدد التجار الميزابيين بالعاصمة، وذلك راجع للظروف السياسية التي كانت تعيشها الجزائر نتيجة للتوسع الاستعماري الفرنسي في الجزائر والمقاومات الشعبية، فحين ارتفع عددهم إلى 4300 تاجر عام 1878 حسب إحصائية إبراهيم بن أيوب[5].

---

(1) عبد القادر عزام، عوادي: المرجع السابق، ص ص 46- 47.

(2) Amat, Charles: Op.cit. pp 293- 294.

(3) Paul, Soleillet: Op.cit. p 99.

(4) عبد القادر عزام، عوادي: المرجع السابق، ص 46.

(5) Brahim, ben Youb: Op.cit. p 12.

ج) متليلي: إن معرفة الشعانبة بالمسالك الصحراوية قد أهلهم لممارسة التجارة، وقد أشار فيليكس (Félix) إلى ذلك، حيث أكد بأن القوافل التجارية التي تتحرك من البيض إلى قورارة وتوات، تسير بواسطة أدلاء من الشعانبة وتحت حمايتهم [1]، فقد مثلت تجارة متليلي، تجارة عبور، حيث يجلب الشعانبة لميزاب الملح، الحنة، الحيوانات المستأنسة (الحمير البغال) والعبيد [2]، أما زيت الزيتون المنتج في بلاد القبائل فكان يسوق عبر متليلي، لينقل إلى المنيعة ومنها إلى توات بواسطة الشعانبة، وكانت تجارة العبيد رائجة عند الشعانبة [3].

ح) بشار: تحتل منطقة بشار موقعا استراتيجيا بحكم قربها من الحدود المغربية وإقليم توات، أهلها لتكون معبر لقافل التجارة والحجاج القادمة من تافيلالت في الجنوب المغربي.

أضحت مهمة قيادة القوافل التجارية، وتأمين مسيراتها من اختصاص الزاوية الزيانية ببشار خاصة تلك القوافل التي تنطلق من اقليم تافيلات ومواطن ذوي منيع واولاد جرير، كما كانت تشرف على مل المبادلات التجارية التي كانت تتجه عبر بشار كممر عبور تجاري الى تافيلات المغربية غربا، وفقيق شمالا، واقليم توات جنوبا، وكل هذه المحاور تمتعت بحماية تامة من قبل الزاوية سالف الذكر [4].

تنوعت المبادلات التجارية التي كانت تتم في المنطقة سواء عن طريق تجارة القوافل القادمة من السودان أومن المدن الشمالية، من أهم المنتجات الأساسية في المبادلات نجد الصادرات مادة الملح و التمور، أما الواردات فقد تنوعت من حيث المنتوجات الأوربية والإفريقية كالشاي، السكر، الزيوت، والعبيد من بلاد السودان.

تراجعت الأهمية التجارية لمنطقة بشار بعد الاحتلال الفرنسي سنة 1903م، فمع بداية القرن العشرين فقدت المنطقة مركزها التجاري بعد أن توقف شيوخ الزاوية عن الاشتغال بالتجارة وحماية القوافل التجارية، وبروز بلدة بني ونيف كمركز تجاري هام بعد تسوية مشكلة الحدود مع

---

[1] Félix, Jacquot: Op.cit. p 184.
[2] Paul, Soleillet: Op.cit. p 131.

[3] لكحل، الشيخ: المرجع السابق، ص 51.
[4] محمد، برشان: الحياة الاجتماعية ...، المرجع السابق، ص ص219- 222.

المغرب الأقصى ووصول السكك الحديدية إليها [1].

خ) توات: مثلث التجارة نشاطا متميزا لدى سكان إقليم توات، باعتبار الإقليم ملتقى الطرق التجارية بين الشمال والجنوب[2]، فحسب التقارير الفرنسية كانت عائدات مداخيل طريق توات عن صالح 750000 فرنك سنة 1891م [3]، أما فيما يخص صادرات الإقليم نحو السودان فهي متعددة ومتنوعة مثل: بنادق الصيد، الأسلحة البيضاء، قطن، برانيس، صابون، سكاكين، الكبريت، الملح... [4]، أما الواردات المجلوبة من السودان فهي: ريش النعام، العاج، الرقيق، كل هذه السلع يتم تداولها في المراكز التجارية للإقليم كتيميمون، أدرار، تمنطيط [5].

د) الطوارق: موقع الطوارق وسط الصحراء الكبرى جعلهم حلقة وصل بين دول الشمال الإفريقي: المغرب الأقصى، الجزائر، تونس وطرابلس الغرب وبين قبائل بلاد السودان الغربي، فهم التجار الوسطاء، بحيث ينقلون إلى بلاد السودان سلع الشمال: الملح، القماش، الأغطية ... ، وينقلون إلى الشمال سلع بلاد السودان: الذرة، الدخن الأرز، ريش النعام، الجلود، السيوف، والإبل... ، حيث يبيعونها في أسواق مدينة غدامس وإقليم توات وعين صالح[6]، ويعودون إلى بلادهم بسلع الشمال، كما كان طوارق يفرضون رسوم المرور على القوافل التي تمر على أراضيهم [7].

بالنسبة لطرق تجارة التي كانت تسلكها قوافل الطوارق هي: الطريق الغربي عبر مدينة سجلماسة،

الطريق الأوسط عبر مدينة ورقلة والطريق الشرقي عبر مدينة طرابلس مرورا بمدينة غدامس ومنطقة تاسيلي ناجر[8]، **(ينظر الملحق رقم 08).**

---

[1] محمد، برشان: الحياة الاجتماعية ...، المرجع السابق، ص ص 221- 222.

[2] Georges, Rolland: Op.cit. p178.

[3] نور الدين، ايلال: المرجع السابق، ص 642.

[4] Georges, Rolland: Op.cit, p178.

[5] Dumas Melchior, Joseph Eugène: Le Sahara...,Op.cit. p330.

[6] A.W.C : Henri, Bissuel: Les Touaregs..,Op.cit. pp 127- 128.

[7] محمد السعيد، القشاط: المرجع السابق، ص ص 76- 78.

[8] Ardaillon, Antoine (Lieutenant): « Notes sur les Touareg Ajjer » , B.S.G.A , Alger, T.16, 1911, pp 369- 372 .

ثانيا: المشاريع الاقتصادية الفرنسية في الجنوب الجزائري

1) الزراعية:

بعد احتلال المدن والواحات الصحراوية سعت السلطة الاستعمارية إلى استغلال الأراضي الزراعية الخصبة التي تم مصادرتها من أصحابها، والاستثمار في المنتوجات المحلية كالتمور والحبوب، وإدخال منتوجات جديدة كالتبغ، لذا سنتطرق إلى دراسة بعض النماذج من السياسة الزراعية الاستعمارية بالجنوب التي توفرت حولها المادة العلمية.

أ) زراعة النخيل:

منحت السلطة الاستعمارية للشركات الاستعمارية الفرنسية امتيازات واسعة لملكية الأرض بالجنوب، وركز أربابها في الاستثمار في إنتاج التمور التي لقيت رواجا في الأسواق الأوربية، لذلك أصبحت الفلاحة الصحراوية هي النشاط الرئيسي للمعمرين بالجزائر، فبدأت الرأسمالية الاستعمارية في امتلاك النخيل خلال القرن العشرين الذي وصل عددها إلى أكثر من160000 نخلة موزعة على أهم الشركات وهي كالتالي[1]:

- الشركة الفلاحية والصناعية للصحراء الجزائرية امتلكت2420 نخلة.
- الشركة الفلاحية للصحراء الجزائرية امتلكت 86313 نخلة.
- الشركة الاستعمارية لإفريقيا الشمالية امتلكت 8239 نخلة.
- شركة واحات شمال إفريقيا امتلكت 45024 نخلة [2].

ب) زراعة الحبوب:

خلال الفترة الممتدة من سنة 1881م إلى غاية سنة 1912م عرفت سياسة الاستيطان الأوربي ارتفاعا على حساب السكان في الجنوب، ونتيجة لتلك السياسة نجد أن الأراضي الزراعية التابعة للسكان الجزائريين في الشمال والجنوب قد تناقصت وانخفض إنتاجها بسبب المصادرة وارتفاع الضرائب، ففي سنة 1890م كانت مساحة الأراضي المخصصة لزراعة الحبوب الخاصة

---

[1] سميرة، دعاشي: الاهتمام الفرنسي بالتجارة في الصحراء و إفريقيا مابين 1850م– 1945م، تحت إشراف ا.د/ فلة موساوي القشاعي، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة غرداية، السنة الجامعية، 2014- 2015، ص 176.

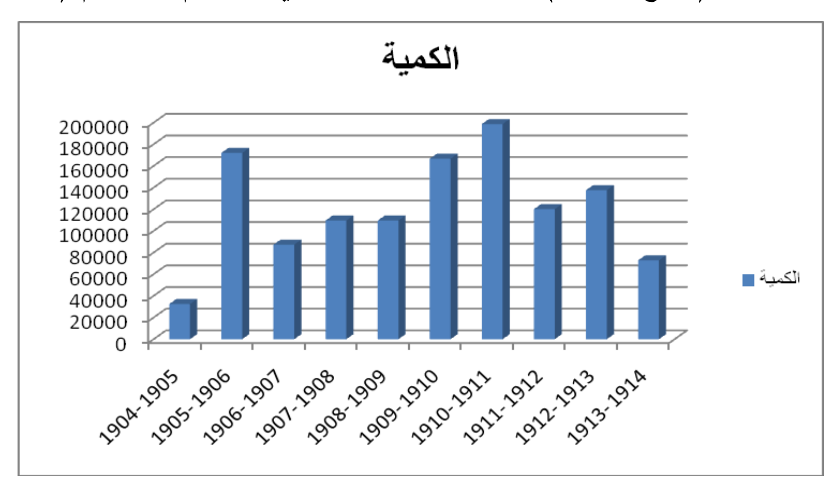
[2] نفسه، ص 177.

بالسكان تقدر بحوالي 2442679 هكتار انخفضت سنة 1900م إلى حوالي 2391236 هكتار [1].

الجدول التالي يوضح كمية الحبوب المنتجة بالجنوب الجزائري من طرف السكان المحليين والمعمرين، حسب إحصائيات الحكومة العامة الجزائرية:

السنوات	الكمية
1904 -1905	32438
1905 -1906	172027
1906 -1907	87305
1907 -1908	109573
1908 -1909	109567
1909 -1910	166614
1910 -1911	198716
1911 -1912	120087
1912 -1913	137621
1913 -1914	72782
المجموع	1206730

جدول يوضح كمية الحبوب (القمح والشعير) المنتجة بالجنوب الجزائري 1904م-1914م (الوحدة بالقنطار) [2]



مخطط يوضح كمية الحبوب (القمح والشعير) المنتجة بالجنوب الجزائري 1904م-1914م (الوحدة بالقنطار)

من خلال المنحنى البياني، نلاحظ تذبذب في كمية الحبوب المنتجة خلال السنوات 1904م-1914م، ذلك مرده التقلبات المناخية التي عرفتها مناطق الجنوب كالجفاف وغزو الجراد، يضاف إلى ذلك ضعف الدعم المالي والمادي من طرف السلطة الاستعمارية للفلاح الجزائري، واضطراره إلى الاعتماد على وسائل الإنتاج التقليدية، عكس نظيره الفلاح الأوربي.

---

(1) إبراهيم، مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي...، المرجع السابق: ص 142.

(2)A.W.C: G. G.A : Exposé de la situation… 2emP..., Op.cit.p 236.

ت) زراعة التبغ:

تعد زراعته من الزراعات الأكثر انتشارا في الجنوب، وكان إنتاجه السنوي يتأرجح ما بين 500 و800 قنطار، وتعتبر وادي سوف من بين المراكز الرئيسية لإنتاجه، حيث بلغ إنتاجها للتبغ سنة 1910 حوالي 150 قنطار، ويتم تصديره إلى المناطق الشمالية وتونس [1].

الجدول التالي يوضع الكميات التي استوردتها مستعمرة تونس من التبغ 1910م- 1906م:

السنوات	1906م	1907م	1908م[2]	1909م [3]	1910م[4]
الكمية المصدرة	50869	60424	106555	103283	105000

جدول يبين كمية التبغ المصدرة إلى مستعمرة تونس 1906م- 1910م (الوحدة بالكيلوغرام)

2) الصناعية:

سنتطرق إلى دراسة بعض النماذج من السياسة الصناعية الاستعمارية بالجنوب التي توفرت حولها المادة العلمية.

أ) استغلال المعادن:

اهتمت السلطات الاستعمارية بعمليات التنقيب على الثروات الباطنية بالجنوب، وبعد عمليات تم اكتشاف معدن النحاس والرصاص بضواحي بن حنجير (14 كلم غرب عين الصفراء) سنة 1901م، وبقرار حكومي صادر في 25 جويلية 1904م، حصلت الشركة الجزائرية الصناعية للنحاس والمعادن في 01 مارس 1905م، على حق التنقيب، وبعد هذا الاكتشاف سارعت العديد من الشركات الرأسمالية إلى البحث والتنقيب عن المعادن الأخرى كالحديد والرصاص وغيرها بالجنوب [5]، كما يوضح الجدول التالي:

---

[1] A.N.A : Charles, Lutaud: Exposé de ... 1914 et 1915…, pp 83- 84

[2] عبد القادر، مرجاني: المرجع السابق، ص 250.

[3] A.N.A: Charles, Jonnart: Exposé de la situation... 1909,… Op.cit. p 70.

[4] A.N.A : Charles, Lutaud: Exposé de la situation générale des Territoires du Sud de l'Algérie , Année 1911, Imprimerie Typographie Adolphe Jourdan , Alger, 1912, p 85.

[5] حمزة، بن قيطون: المشروع الاستيطاني بإقليم عين الصفراء العسكري 1882م-1914م، تحت إشراف ا.د/ دادة محمد، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة وهران 1، السنة الجامعية، 2014- 2015، ص 117.

السنة	المنجم	نوع المعدن	البلدية	الشركة المحتكرة
1904م	تيوت	النحاس	عين الصفراء	Barth élémy à Paris
	عين السخونة			Detrave Say à Paris
	تيورطلت			De Doissien à Paris
	سفيسفة			Girard Ain-Sefra
	عين الصفراء			Goyan Ain-Sefra
	وادي الناموس		عين الصفراء	Charbonnier Ain-Sefra
	جبل مهاية		بني ونيف	
1905م	النعامة		المشرية	Farouillata Lyon
1907م/1910م	مليد		عين الصفراء	Zamora Campy
1910م	وادي الكوفان		بني ونيف	Girandina à Beni Ounif
1906م	سلطان البطوم	الرصاص	بشار	C^{er} Makatar el Hadid
1908م	جبل عنتر		بشار	Ladey à Saida
1910م	بويعلا		بني ونيف	
	شبكة الشارف		عين الصفراء	Société Miniera de SO
1911م	عين ورقة	وقود حيوي		Brumaire et Riviere
	البيض			Braizat à Greyville

جدول يبين أسماء الشركات المحتكرة للتنقيب عن المعادن بإقليم عين الصفراء 1904م– 1911م[1]

ب) استغلال الفحم الحجري:

عملت السلطات الاستعمارية على استغلال الفحم الحجري الموجود في القنادسة ببشار، والذي بدأ التنقيب عنه منذ سنة 1906م، حيث بلغ إنتاجه حوالي 2000 طن، للتضاعف كمية إنتاجه خلال الحرب العالمية الأولى وفي فترة ما بين الحربين، مما دفع بسكان الجنوب الوهراني إلى الابتعاد عن ممارسة تجارة القوافل الصحراوية والعمل في مصانع إنتاج الفحم [2].

[1] A.W.O: Messier, (C).: «Territoire militaire d'Aïn-Sefra (Sud-oranais). Exposé de la situation géographique, administrative, sociale et financière de 1906 à 1912, 2^{em}P», B.S.G.A.O , Oran, T34 ,1914, pp 154- 155.

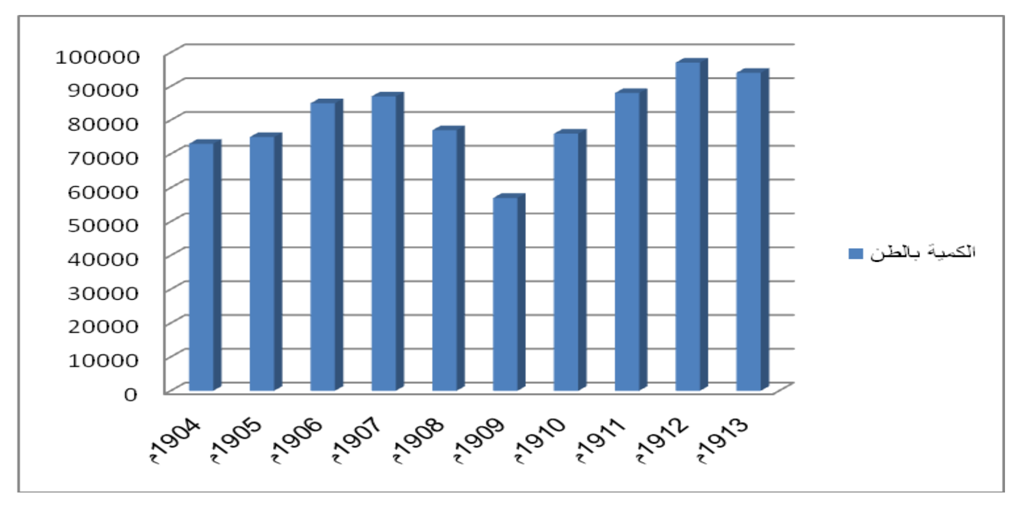
[2] حمزة، بن قيطون: المرجع السابق، ص 119.

ث) استغلال نبات الحلفاء:

لم ينحصر الاستغلال الاستعماري على الثروات الباطنية المتواجدة بالجنوب بل شملت كل الثروات التي يزخر بها الجنوب، خاصة نبات الحلفاء الذي شهد استنزافا لا مثيل له، ومَثل ثروة طائلة لدى العديد من الشركات الفرنسية، يأتي على رأسها الشركة الفرنسية– الجزائرية، التي تمكنت من الحصول على 700000 هكتار من حقول الحلفاء، وبدأت صادرات الحلفاء ترتفع سنويا حسب الطلب في الأسواق العالمية دون مراعاة المخاطر التي يشكلها الاستغلال العشوائي خاصة على قطاع تربية المواشي بالجنوب، وقد قدرت الكميات المصدرة عبر ميناء وهران وأرزيو كالآتي:

السنوات	1904	1905	1906	1907	1908	1909	1910	1911	1912	1913
الكمية بالطن	73000	75000	85000	87000	77000	57000	76000	88000	97000	94000

جدول يمثل كمية نبات الحلفاء المصدرة إلى الأسواق العالمية 1904م– 1913م [1]



مخطط بياني يمثل كمية نبات الحلفاء المصدرة إلى الأسواق العالمية 1904م– 1913م

3) التجارية:

كان اهتمام فرنسا في بادئ الأمر منصب حول معرفة الطرق التي كانت تسلكها القوافل التجارية الصحراوية، واعتمدوا في ذلك على الحملات العسكرية والبعثات الاستكشافية التي أرسلوها إلى الجنوب، إضافة إلى ما أورده الرحالة العرب في مؤلفاتهم أمثال: ابن بطوطة، الإدريسي، ابن

[1] حمزة، بن قيطون: المرجع السابق، ص 119.

حوقل، والحسن الوزان، ابن خلدون، البكري وغيرهم من الرحالة الذين عبروا الصحراء، لذا سنركز على دراسة أهم الطرق والوسائل التي اتبعتها السلطة الاستعمارية من اجل احتكار التجارة الصحراوية.

أ) الطرق التجارية الصحراوية قبل التوسع الاستعماري في الجنوب:

من بين الدارسات التي تطرقت للطرق الصحراوية نذكر دراسة "قوادري" (Quadruple) الذي اهتم بالعلاقات التجارية التي كانت تربط تلمسان مع بلاد السودان، و"إدوارد بلان" (Edward Balan) الذي أعد خريطة وحدد من خلالها الطرق التي مر عبرها المغامرون في أواخر القرن 18م وبدايات القرن 19م، وابرز الطرق التجارية التي تمحورت حولها الدراسات نجد:

1- طريق مراكش إلى تمبكتو: يمر على تارودانت، تاوريرت، تندوف، ويعبر رمال إيقيدي وعرق شيش ويتجه إلى تاوديني ويخترق الجرف شرقا ويمر على أونان ليتجه إلى تمبكتو، سلك هذا الطريق الرحالة "أوسكار لانز" (Oscar Linz) في سنة 1880م [1].

2- طريق فاس ومكناس إلى تمبكتو: يمر بقصبة المخزن، أم دريبينة، ويتبع حوض واد قير إلى إيقلي، ثم حوض أم الساورة إلى توات، وأكابيلي، بئر تيريشومين، ووالن، عين رنان، مبروك، وتمبكتو سلك هذا الطريق الرحالة" روني كاييه" (René caillet).

3- طريق وهران وأرزيو إلى تمبكتو: يمر عبر الخيثر، مشرية، عين الصفراء، فيقيق، ويتبع مجرى واد زوفانة إلى إيقلي، ليلتقي بطريق شقاس إلى تمبكتو مر خلاله الرحالة "كولونيو" (Colonieu) سنة 1860م.

4- طريق مدينة الجزائر إلى تمبكتو: يمر عبر البليدة، بوغار، الأغواط، غرداية، القليعة، وعين صالح، أكابلي، ومن توات إلى تمبوكتو، سلكه الضابط "بالا" (Pala) [2].

5- طريق سكيكدة وقسنطينة إلى أمقيد والهقار، وتمبكتو: يمر بباتنة، بسكرة، ورقلة، أمقيد، تيميسا، إيفرنان، وإلى مبروك وتمبكتو.

---

(1) يحي، بوعزيز: المرجع السابق، ص 91.

(2) نفسه، ص 91.

6- طريق طرابلس إلى تمبوكتو: يمر عبر سناون، غدامس، تيماسينين والبيوض ليتصل بطريق قسنطينة إلى تمبكتو.

7- طريق طرابلس إلى مرزق: يمر عبر سبهة ثم بئر بكر، تيجري، تومو، وهذا الطريق عبره الرحالة "فوجيل" (Vogel) سنة 1854م، الرحالة "بارث"(Barth) سنة 1855م، الرحالة "بورمان" (Birmen) سنة 1862م، الرحالة "رولفز" (Rohlfs) سنة 1866م والرحالة " ناتشيقال" (Natchell) سنة 1870م.

8- طريق طرابلس إلى جغبوب، سيوة، الفرافرة، والأقصر بصحراء مصر، ويتصل بالطريق عدة طريق أخرى آتية من مراكز العمران الساحلية بالشمال مثل: سرت، بنغازي، درنة والقصر الجديد.

9- طريق بنغازي إلى وداي وهذا الطريق يمر على أوجيلة، جالو، سرهن، كبانو، وتاهيتا، سلكه الرحالة "جيرهارد رولفز" (Gerhard Rohlfs) سنة 1874م.

10- طريق أسبوط وأسنا وأسوان، إلى دارفور بالسودان ويمر على سليمان والفاشر، عبر هذا الطريق الرحالة "برون" (Bron) سنة 1793م، الرحالة "كوني" (Connie) سنة 1858م والرحالة "ناتشيقال" (Natchell) سنة 1874م [(1)].

ويمكن الإشارة إلى أن جميع الطرق التي تمت دراستها والتوصل إليها كانت تؤدي إلى مجموعة من الأسواق المتواجدة في الصحراء الكبرى، من أهمها:

1- أسواق توات وتمبكتو بالسودان الغربي.

2- أسواق تشاد في السودان الأوسط، من ضمنها بورنو، وسوكوتو، وداي.

3- أسواق السودان الشرقي، من بينها دارفور، وكوردوفان[(2)]، **(ينظر الملحق رقم 09).**

عملت فرنسا على إتباع سياسة تمكنها من احتكار التجارة الصحراوية فاتبعت عدة طرق للوصل إلى هدفها من بين هذه الوسائل:

---

(1) يحي، بوعزيز: المرجع السابق، ص ص 92- 94.

(2) نفسه، ص 94.

ب) عقد الاتفاقيات والمعاهدات:

تعد كل من الاتفاقيات والمعاهدات وسيلة لاحتكار التجارة والتحكم في الطرق الرئيسية للتجارة، ومن أجل أن تحقق فرنسا مبتغاها في السيطرة على تجارة الصحراء وإفريقيا الغربية، قامت بعقد عدة اتفاقيات من بينها:

أ- معاهدة الحماية مع بني ميزاب في 19 أفريل 1853م، والتي نصت على حق الفرنسيين في التحكم وبسط نفوذها على الميزابيين، مع دفعهم ضريبة سنوية لفرنسا مقابل أن تعهد فرنسا بمنحهم حرية التجارة مع التل والصحراء [1].

ب- الاتفاقية التي أبرمتها فرنسا مع زعيم طوارق الازجر الشيخ إيخنوخن سنة 1862م، وأهم بنودها :إقرار الصداقة والتبادل التجاري مع زعماء قبائل الطوارق، والتزام السلطات الفرنسية وزعماء الطوارق بفتح طرق التجارة للفرنسيين إلى السودان وتحديد المكوس (الضريبة)، مما أدى إلى توسيع شبكة النشاط التجاري للتجار الفرنسيين بالجنوب الجزائري وكذا إفريقيا جنوب الصحراء.

ومن نتائج هذه الاتفاقيات توسيع عمليات التبادل التجاري بين فرنسا والجنوب الجزائري والصحراء الإفريقية، وفتح أبواب للاستثمار والحصول على منتجات أخرى [2].

ت) إقامة الوكالات والمراكز التجارية:

كان الفرنسيون على غرار الإنجليز يقيمون مراكز أو محطات تجارية من أجل التبادل التجاري وتعيين قناصلة للحصول على اتفاقيات مربحة مع شيوخ ورؤساء القبائل، ابتداء من ستينيات القرن التاسع عشر، حددت فرنسا كل من البيض (الأبيض سيدي الشيخ) والأغواط وبسكرة كمراكز انطلاق واستقبال للقوافل، ومن أهم المراكز التجارية التي استحدثتها نجد: مركز عين الصفراء الذي لاقى إقبالا كبيرا لأهميته التجارية، وكذا مركز بني ونيف وبشار، حيث تقدمت التجارة هناك بفعل إيصال المنطقة بخط السكك الحديدية، ومن ثمة تحولت بشار إلى سوق هام

[1] سميرة، دعاشي: الاهتمام الفرنسي ...، المرجع السابق، ص ص 169- 171.
[2] نفسه، ص ص 171- 172.

يعج بالتجار والسلع من جميع الأنواع، كما أنه باحتلال فرنسا لعين صالح جعلها تتحكم في هذا السوق لموقعه الاستراتيجي، حيث أنها تتوسط المسافة بين الجزائر شمالا و تنبكتو جنوبا، وموغادور غربا وطرابلس شرقا، وبالتالي فهي ملتقى الطرق الصحراوية التي تربط بلاد السودان بالشمال [1].

ث) تأسيس الشركات الاحتكارية:

أسست الإدارة الاستعمارية العديد من الجمعيات والشركات الاحتكارية لتسهيل مهمة التغلغل فيها، وكذا البنوك التجارية نذكر من بينها:

- **شركة النقل:** تأسست سنة 1890م على يد "ديفيك مارسال" في وادي ريغ تحت اسم الشركة الصحراوية للسيارات وذلك لنقل البضائع من شمالها نحو جنوبا مرورا بتقرت والتي عرفت ازدهارا بعد إنشاء سكة الحديدية في تقرت سنة 1914م.

- **شركة الفلاحة والصناعة لصحراء الجنوب:** كانت تسيطر على 24000 نخلة في الجنوب.

- **شركة باتنة والصحراء الجزائرية للزراعة الصناعية:** تأسست على يد "جورج رولاند" والذي قام بعدة دراسات حول الثورة المائية بوادي ريغ [2].

ج) تغيير وسائل التبادل التجاري:

غيرت فرنسا من طرق المعاملة بين التجار بتغيير المكاييل والموازين التي تواجدت في المنطقة منذ فترات طويلة، وعوضوها بمكاييلهم وموازينهم وفرضوها على سكان الجنوب مُرجعين ذلك إلى أن الأحجار والأوزان تختلف باختلاف المنطقة، أما فيما يخص النظام النقدي فقد أُدخل في منتصف القرن التاسع عشر، وكانت حكومات المستعمرات بغرب إفريقيا، تشجع على استخدام النقود الحديثة، وكذا إصرارها على دفع أجور العمال بالنقود المعدنية الأوربية، وعلى تحصيل الضرائب نقدا مع حرص الشركات الأوربية على تطوير التجارة النقدية نظرا للأرباح التي كانت تحصل عليها [3].

---

[1] سميرة، دعاشي: الاهتمام الفرنسي ...، المرجع السابق، ص 173.
[2] عبد القادر، مرجاني: المرجع السابق، ص 238.
[3] سميرة، دعاشي: الاهتمام الفرنسي ...، المرجع السابق، ص ص 179- 180.

ما يدل على استعمال الفرنك الفرنسي بالصحراء الجزائرية، هو وجود بعض النصوص لاتفاقيات تظهر استعمال عملة الفرنك الفرنسي عند بني ميزاب من خلال تقييدات مالية للشيخ القطب الحاج امحمد بن يوسف أطفيش، كما فرض على توات بعد احتلالها التعامل بالفرنك، بالإضافة إلى النقود المغربية التي كانت موجودة بالمنطقة [1].

ح) فرض الجمركة:

كان لسيطرة فرنسا سياسيا وعسكريا على الصحراء آثارا اقتصادية ، تمثلت أساسا في أن المنطقة تعودت على نوع من الاستقلالية في تعاملات التجارية والمبادلات، ثم وجدت نفسها في نوع من الانضباط والتنظيم أقرب إلى التقنين، مما فرض رقابة أكبر على النشاطات التجارية للسكان في الصحراء خاصة في تعاملاتهم مع قبائل المناطق المجاورة كمالي، النيجر، طرابلس الغرب، وتونس فأصبح هناك شرطة حدودية (جمارك) تضايق باستمرار حركة تجارة القوافل العابرة، خاصة التي ترفض الخضوع للإجراءات الضريبية التي كانت ترهق التجار، ومن ثم تؤثر على المستهلكين من خلال غلاء الأسعار وتمهد لزوال تجارة القوافل [2].

خ) مشاريع النقل الصحراوي:

- مشاريع السكك الحديدية الصحراوية:

في الوقت الذي كان فيه السلطة الفرنسية تعمل على التوغل إلى الصحراء، أولت اهتمامهما بموضوع المواصلات التي تمثل العنصر الأساسي والفعال، والذي كان الغرض منه:

- تسهيل عمليات تنقل قواتهم العسكرية الغازية، وتذليل ظروف استقرارها في المراكز العسكرية المختلفة التي أنشئوها فعلا أو التي سينشئونها مستقبلا، في الواحات والمدن الصحراوية.
- ربط مستعمراتهم الإفريقية ببعضها البعض في الشمال والغرب والوسط [3].
- تنشط الاقتصاد الفرنسي والعمل على ازدهاره وخاصة قطاع الخدمات، وذلك من خلال استغلال الثروات الطبيعية الظاهرة والباطنية التي يزخ بها الجنوب الجزائري فإقليمي قورارة وتوات غني

---

[1] عبد القادر، مرجاني: المرجع السابق، ص 239.
[2] سميرة، دعاشي: الاهتمام الفرنسي ...، المرجع السابق، ص ص 181- 185.
[3] يحي، بوعزيز: المرجع السابق، ص 90.

بالمعادن كالفحم الحجري وذلك حسب الدراسة التي قدمها "فلامو" وهضبة تاهيت الغنية بمركبات الكبريت حسب ما ذهب إليه" رولان "بالإضافة إلى العديد من المعادن الأخرى كالرصاص والزنك والنحاس.

– الحد من تجارة القوافل المغربية والطرابلسية والمالية العابرة للصحراء الكبرى والمحملة بكل أنواع السلع كالعطور والروائح والمنسوجات الصحراوية وريش النعام وبعض المعادن الثمينة كالذهب والفضة والنحاس.

لقد ظهرت فكرة مد خط سكة الحديد عبر الصحراء منذ منتصف الستينيات القرن 19، على اعتبار أن التسهيلات التي ستقدمها للتجارة وللمبادلات في هذه المناطق ستخضع سكان الجنوب للسلطة الفرنسية ولقد تبلورت هذه الفكرة أكثر بعد فشل كل المحاولات التي بذلت من أجل السيطرة على تجارة الصحراء الكبرى بما فيها الحنوب الجزائري

دشن الفرنسيون مشاريع النقل الصحراوي باقتراح كاباني (Cabanis) مشروع خط حديدي يمتد من الجزائر إلى بوسعادة، وورقلة، على أن يتفرغ بعد ذلك إلى فرعين واحد إلى تونس وطرابلس والآخر إلى عين صالح والهقار، وذلك منذ سنة 1853م [1].

برز بعد ذلك المهندس أدولف دوبونشيال (Adolf Duponchel)، اهتم منذ عام 1858م بدراسة مشاريع المواصلات الحديدية بالصحراء وتأثر كثيرا بالتوسع الاستعماري الإنجليزي في إفريقيا وألح على ضرورة مقاومة المنافسة الانجليزية بمد هذه الخطوط الحديدية، لربط المستعمرات الفرنسية ببعضها البعض واقترح خطا يمتد إلى مستعمرة الترانسفال في أقصى جنوب القارة الإفريقية، واستغرقت جهوده قرابة ثلاثة عقود، وإليه يرجع الفضل في إقناع البرلمان الفرنسي على اعتماد ثلاثة مشاريع لثلاثة خطوط سكك حديدية سنة 1880م [2]، **(ينظر الملحق رقم 10).**

عقب ذلك اقترحت عدة مشاريع من بينها:

– **مشروع المهندس بويان (Pouyanne):** القاضي بمد ثلاثة خطوط حديدية الأول ينطلق من

---

(1) أحميد، عميراوي: المرجع السابق، ص ص 79- 80.

(2) Adolf, Duponchel: Op.cit. pp 218- 334.

تيارت إلى المدية والثاني ينطلق من سعيدة إلى رأس الماء والمشرية والثالث ينطلق من سعيدة إلى المقرار والوتيد.

– **مشروع دوريان (Derien):** القاضي بمد خط حديدي من وهران الى توات عبر تلمسان، سبدو، العريشة، عين بن خليل، عين سفيسيفة ونخلة إبراهيم.

– **مشروع" كولونيو(Colonieu):** القاضي بمد خط حديدي من مستغانم نحو تيارت، عين صالح، السرسو، المنيعة، القليعة وتيميمون [1]

وكانت خلاصة هذه المشاريع، وضعها لنواة إنشاء ثلاثة خطوط حديدية إلى الجنوب الجزائر وأعماق الصحراء الكبرى وهي:

- **الخط الأول:** يمتد من مدينة قسنطينة إلى ورقلة عبر بسكرة وتقرت.

- **الخط الثاني:** يمتد من البليدة إلى الجلفة عبر المدية.

- **الخط الثالث:** يمتد من أرزيو إلى بني عباس عبر سعيدة وبشار، **(ينظر الملحق رقم 10).**

مع حلول سنة 1871م توسعت أشغال شبكة السكة الحديدية لتربط كل من مناطق السهول العليا بالسواحل وبشمال الصحراء وبعد تنظيم أقاليم الجنوب، واستحداث ميزانيتها المستقلة خصصت جزء من تلك الميزانية لانجاز الأشغال الكبرى من شق الطرقات البرية والسكك الحديدية، وانجاز لبعض المطارات العسكرية، وبناء القواعد العسكرية، وغيرها من المشاريع الضخمة المساعدة على التغلغل النفوذ الفرنسي داخل أعماق الجنوب الجزائري [2].

– **مشروع البحر الداخلي الصحراوي 1874:**

مشروع البحر الداخلي؛ هو أيضا أحد المشاريع الصحراوية الذي لا يقل أهمية عن مشروع الخطوط الحديدية الصحراوية، خلفيات هذه الفكرة تعود إلى نجاح مشروع " فيرديناند دوليسبس (Ferdinand de Lesseps) " عند حفره لقناة السويس، الأمر الذي حفزهم للبحث في خلق بحر

---

[1] Victor, Colonieu: Le tracé central du chemin Trans-saharien, imprimerie de E. huilier, paris, 1880, pp 1- 29.

[2] عبد القادر، مرجاني: المرجع السابق، ص 259.

داخلي صحراوي، لإحداث تغيير في الظروف الطبيعية القاسية ويسهل عليهم تنفيذ سياستهم التوسعية الاستعمارية في الجنوب.

منطلق المشروع هو بعض النظريات الجغرافية ومقاربات جيولوجية تعود إلى العصور القديمة، مفادها أن هناك بحرا داخليا يدعى بحيرة "تريتون"، التي تحدث عنها الرحالة اليوناني "هيرودوت" و"سيلاكس"، هذا البحر له ثلاثة منافذ إلى البحار المجاورة؛ واحد من البحر المتوسط عبر مجرى نهر الشلف والثاني إلى المحيط الأطلسي غربا عبر ممر تازة والثالث إلى خليج قابس بشرق تونس عبر شط فجاج [1].

هذا البحر اختفت بعض أجزائه وبقي البعض الآخر على شكل أحواض وشطوط، أهمها أحواض الجريد، شط ملغيغ والهضاب العليا، حيث تقع أحواض ملغيغ على انخفاض خمسة وعشرين مترا من مستوى سطح البحر، فراجت هذه الفكرة عند الجيولوجيين بخلق بحر داخلي في هذه النقطة، من أجل إحداث تغيير جذري في مناخها و بالتالي تغيير أوضاعها الاقتصادية، نواة هذا البحر الداخلي ستكون أحواض شط الجريد و شط الغرسة و شط فجاج، حيث يتم حفر قناة بحرية تصل هذه الشطوط بمنخفض ملغيغ و بوادي ريغ في الغرب وبحوض ايغارغار في الجنوب عبر واد سوف.

تحمس لهذا المشروع السيد "فرانسوا رودير" فشرع في وضع دراسات حوله منذ سنة 1873م، بعد اعتماد الجمعية الوطنية ملفا لدراسة الشطوط دراسة علمية، ذهب رودير من قسنطينة إلى بسكرة و منها إلى أحواض ملغيغ و درس تاريخها و جغرافيتها الطبيعية ومستواها عن البحر.

على الرغم أن" رودير" اكتشف أن شط الجريد يقع فوق مستو سطح البحر على عكس أحواض ملغيغ والحضنة، إلا أ نه لم يفقد الأمل في إنجاز هذا المشروع، لما له من نتائج حسنة على الجانب الاقتصادي، إذ يسمح البحر برفع منسوب المياه الجوفية في الشمال بالصحراء، كما

---

[1] سميرة، دعاشي: « جوانب من مظاهر الاهتمام الفرنسي بالتجارة العابرة للصحراء وإفريقيا الغربية 1850م- 1914م »، مجلة روافد للبحوث الدراسات، جامعة غرداية، (ع01)، ديسمبر 2016، ص 103.

أنه سيحدث تغيير في المناص من الجفاف إلى الرطوبة، بفعل تبخر منسوب من المياه في الجو و بالتالي تساقط الأمطار و تلطيف جو الصحراء القاسي.

بعد هذه الدراسة قام" رودير" بإعداد ملفه و قدمه إلى المجلس العلمي ليعرف آراؤهم حول الغلاف المالي الذي يتطلبه هذا المشروع، في نهاية المطاف تم اعتماد غلاف مالي جديد سنة 1878م، للقيام بدراسات جيولوجية جديدة شارك فيها "دوليسبس"، تألفت لجنة رسمية بين سنتي 1881م و1882م ترأسها دوفريسيني (De Freycinet) وقدرت تكاليف المشروع تزيد عن ثلاثة ملايير، كما أن عملية الحفر تستلزم أضعاف تكاليف حفر قناة السويس [1].

في سنة 1883م سافر كل من" رودير" و" دوليسبس" إلى منطقة قابس لدراسة المشروع على الطبيعة، لكن بعد عودتهما تم معارضة هذا المشروع من طرف أعضاء الجمعية الفرنسية، من بينهم" أوقست بوميل (Auguste Pomel)" و" كوسون(E.Cosson)" اللذان يعرفان الجزائر وتونس حق المعرفة، بعد أن لقي "مشروع رودير" معارضة بقي هذا المشروع يشغل بال الفرنسيين وتم إعادة فتح هذا الملف للنقاش سنة 1896م، من طرف هيئات علمية و رأسمالية، إلا أنها بقيت نفس الإشكاليات تُطرح، مثل الغلاف المالي الضخم والصعوبات التقنية وموقع شط الجريد فوق مستو سطح البحر، ليغلق هذا الملف مرة أخرى حتى سنتي 1952 – 1953 [2].

---

[1] سميرة، دعاشي: « جوانب من مظاهر ...، المرجع السابق، ص ص 103- 105.
[2] نفسه، ص ص 104- 106.

ثالثا: انعكاسات السياسة الاقتصادية الفرنسية على مجتمع الجنوب الجزائري

كانت للسياسة الاقتصادية الاستعمارية انعكاسات سلبية على اقتصاد مجتمع الجنوب، لذا سنركز على دراسة نماذج من تلك الانعكاسات والتي توفرت حولها المادة العلمية.

1) تذبذب تجارة القوافل الصحراوية:

تذبذب تجارة القوافل الصحراوية راجع لسببين رئيسيين:

ا) السبب الأول:

إنشاء السلطات الاستعمارية العديد من الطرق بجانب خطوط السكة الحديدية، حيث أصبح يتم نقل البضائع والسلع الصحراوية عن طريق الشاحنات والعربات، وتخزينها بالدكاكين المتركزة في مدن شمال الجنوب الجزائري؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر: كان التمر المنتوج الرئيسي لدى سكان الجنوب، أصبح لا يجد له أي مشتري بعد أن سدت في وجهه أسواق بلاد السودان الغربي، ونجد أيضا أن منتوجات الصناعات التقليدية لم تعد رائجة في الأسواق وقل عدد صناعها مثل: صانعي الزرابي في بني ميزاب أصبح عددهم 1500 صانع بعد أن كان حوالي 6000 صانع، وظهر منتوج آخر للتصدير نحو الخارج وهو نبات الحلفاء [1].

ب) السبب الثاني:

قامت السلطات الاستعمارية في الفترة مابين 1871م- 1891م، بتحويل وجهة رحلات القوافل التجارية عن بلاد السودان، وأهملت المسالك التجارية القديمة مثل: طريق وادي ريغ وميزاب لصالح طرقات طرابلس مرورا بغدامس، الساورة إلى المغرب الأقصى، فهذه الطرق تلتقي في البلدان المجاورة التي لم تخضع للاستعمار الأوربي، لذلك عجل الفرنسيون في وضع الحواجز الجمركية بمقتضى قرار الصادر سنة 1843م والذي تم تعديله وتطبيقه بأقاليم الجنوب بداية من سنة 1893م [2]، فأثر ذلك على المنتجات المحلية الصحراوية، فمن الملاحظ أن هذا القانون الجمركي يمنع الصادرات المحلية للسكان، وذلك لحماية المنتجات الفرنسية، مما أدى إلى كساد

---

(1) عبد القادر، مرجاني: المرجع السابق، ص 242.

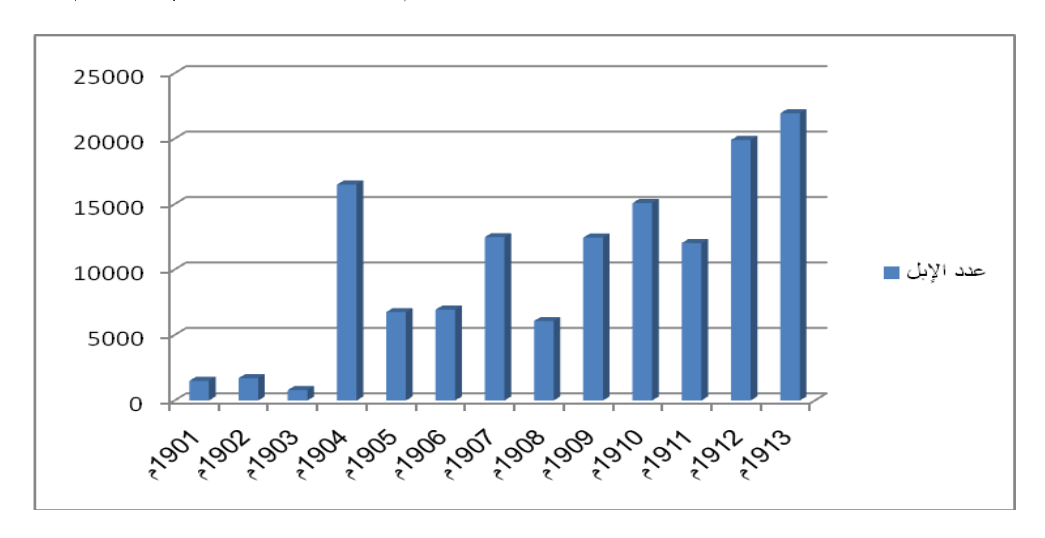
(2) نفسه، ص 242.

التجارة سكان الجنوب، وبإدخال الاستعمار الفرنسي هذه الإجراءات انتشر البؤس والحرمان في عديد من المناطق الجنوب [1].

نتيجة للسببين السابق ذكرهما، عرفت حركة القوافل التجارية العابرة للصحراء تذبذبا واضحا نظرا للتقلبات السياسة الاستعمارية وحروب التوسع الفرنسي في الصحراء الكبرى، والجدول الأتي يبين ذلك عدد ابل القوافل التجارية الصحراوية لقبائل إقليم عين الصفراء العسكري 1901م- 1913م:

السنوات	1901	1902	1903	1904	1905	1906	1907	1908	1909	1910	1911	1912	1913
عدد الابل	1500	1707	800	16500	6757	6942	12480	6072	12446	15087	12031	19910	21944

جدول يبين عدد ابل القوافل التجارية الصحراوية لقبائل إقليم عين الصفراء العسكري 1901م- 1913م[2]



مخطط بياني يوضح عدد إبل القوافل التجارية الصحراوية لقبائل إقليم عين الصفراء العسكري 1901م- 1913م

من خلال المخطط البياني، نلاحظ تذبذب واضح في عدد إبل القوافل الصحراوية في الفترة مابين 1901م- 1913م، وهذا راجع إلى حروب التوسع الاستعماري الفرنسي نحو عمق الجنوب (بشار، توات، الهقار...)، والمقاومة التي جوبه بها من طرف السكان، مما أدى في نهاية المطاف إلى انخفاض عدد ابل القوافل التجارية، إما بسبب مشاركة أصحابها في المقاومات الشعبية، أو مصادرتها من طرف السلطات الاستعمارية كعقوبة أو استخدامها في حمل ومؤن جنود الحملات العسكرية، فمع مطلع العقد الثالث من القرن العشرين فقدت ابل قوافل الصحراوية أهميتها التجارية خصوصا مع استخدام السلطات الاستعمارية السيارات والشاحنات لنقل البضائع.

[1] عبد القادر، مرجاني: المرجع السابق، ص 242.

[2] A.W.C: G. G.A : Exposé de la situation… 2emP..., Op.cit.p 396.

2) استنزاف المياه الجوفية:

يعود الاهتمام السلطات الفرنسية بالآبار الارتوازية بالجنوب الجزائري إلى سنة 1856م، حين أمر" الجنرال ديفو" (Desveaux) بحفر بعض الآبار الارتوازية في منطقة وادي ريغ، فكان الهدف الأساسي من وراء عمليات الحفر هو تأمين المياه لمزروعات المعمرين، وللقوافل العسكرية التي تجوب الصحراء، وفي سنة1891 م تم انجاز آبار ارتوازية جديدة تسمح بتوسيع غراسة النخيل والقطن، ووصل عدد الآبار الارتوازية سنة 1901م إلى 160 بئر [1]، أدت عملية التنقيب عن المياه عن طريق حفر الآبار الارتوازية من طرف المعمرين والمستثمرين الأجانب بنسبة كبيرة خاصة في منطقة وادي ريغ والزيبان، إلى ارتفع عدد النخيل لدى الشركات الاستعمارية يقابلها إتلاف أشجار نخيل السكان، وذلك راجع إلى جفاف الآبار التقليدية وضعف وسائل الحفر لديهم [2].

3) استنزاف أراضي الرعي:

انعكس الاستغلال المفرط للحلفاء سلبا على الثروة الحيوانية لدى سكان الجنوب، كما أنَّ سنوات القحط والجفاف التي كانت تصيب المنطقة من وقت إلى آخر، وكذا انتشار الأوبئة التي فتكت بالماشية، كما حدث لسكان إقليم عين الصفراء العسكري على سبيل المثال لا الحصر:

المناطق / السنوات	1905	1906	1907	1908	1909	1910	1911	1912
بوقطب	22813	274479	35825	11995	16591	23496	24107	18860
المشرية	12903	23761	11310	20753	6047	11749	15145	9661
ميكاليس	1125	14612	/	70	3892	13438	4431	1715
عين الصفراء	25313	21692	18039	5888	6620	8482	3129	4465
بني ونيف	1395	2514	2116	1071	975	496	196	490
بشار	/	2561	6341	6544	6660	47111	2030	2845
مناطق أخرى	503	691	277	457	/	35	/	/
المجموع	64052	93340	73908	45788		62107	49038	38036

جدول يبين تراجع عدد رؤوس المواشي بإقليم عين الصفراء 1905م– 1912م،(الوحدة رأس) [3]

[1] عبد القادر، مرجاني: المرجع السابق، ص242.
[2] رضوان، شافو: الجنوب الشرقي...، المرجع السابق، ص ص 225- 226.
[3] A.W.O: Messier, (C).: «Territoire militaire d'Aïn-Sefra (Sud-oranais) Exposé de la situation géographique, administrative, sociale et financière de 1906 à 1912, 3emP», BSGAO, Oran, T34 ,1914, p358.

4) تفكك البنية الاجتماعية:

التركيبة المتماسكة لمجتمع الجنوب الجزائري لم تكن في صالح عملية التوسع الاستعماري، بل ساهمت في تأخير العملية لعقود، لذا اتبعت السلطة الاستعمارية مجموعة من الأساليب ساهمت إلى حد بعيد في زعزعت النظام القبلي ويأتي في مقدمتها ملكية الأرض التي استخدمتها كوسيلة لإخضاع المجتمع، عن طريق سن قوانين وتشريعات تكسبها شرعية انتزاع الأراضي الزراعية من أصحابها [1].

مكن تطبيق القرار المشيخي على أراضي الجنوب من انتشار عدد كبير من الدواوير، وذلك على حساب تفكيك بنية مجموعة من القبائل فعلى سبيل المثال لا الحصر: قبيلة ارباوات بالجنوب الوهراني التي كانت تتربع على مساحة قدرها 141723 هكتار، تم تقسيمها إلى ثلاث دواوير مع مطلع القرن العشرين، كما أخضعت قبائل الأغواط أكسال لنفس القرار حيث كانت هذه القبيلة تتربع على مساحة قدرها 500000 هكتار، تم تقسيمها إلى ستة دواوير سنة 1899م على نحو التالي: دوار ستيتن، الرزيقات، أولاد مومن، اولاد عيسى، أولاد عمران (القراريج)، الغاسول [2].

5) الهجرة:

مع امتداد التوسع الفرنسي نحو الجنوب وممارسته لأبشع وسائل الحرمان والقمع والاضطهاد والإبادة الجماعية، وجدت بعض قبائل الجنوب نفسها مجبرة أمام أربع خيارات:

- الاستسلام للإدارة الاستعمارية عن طريق عقد العديد من المعاهدات والاتفاقيات.
- مقاومة الاحتلال الفرنسي والتأقلم مع حياة الحل والترحال.
- موالاة السلطة الفرنسية والتعاون معها.
- الهجرة خارج الوطن ومنها إلى الأقطار المجاورة: تونس، المغرب الأقصى، طرابلس الغرب (ليبيا) والمشرق العربي.

فالهجرة كانت إجبارية نظرا لفقدان العديد من القبائل والعائلات لممتلكاتهم، إما بالمصادرة أو

(1) حمزة، بن قيطون: المرجع السابق، ص 127.

(2) A.W.C: G. G.A : Exposé de la situation…2emP... ,Op.cit.pp 456 -457.

الحجز من جهة أخرى، أو بالسطو والظروف المناخية والطبيعية التي ضربت المنطقة لسنوات عديدة من جهة أخرى، وتنوعت هذه الهجرة مابين هجرة جماعية أو فردية، واتخذت ثلاث اتجاهات: تونس، المغرب الأقصى، المشرق العربي [1]، سنتطرق إلى دراسة الهجرة إلى الاتجاهات الثلاث المذكورة أنفا، نظرا لاستمرار هجرة سكان الجنوب مع مطلع القرن العشرين واتساع نطاقها لتشمل الهجرة نحو طرابلس الغرب (ليبيا) وفرنسا.

أ) الهجرة إلى تونس:

- هجرة السوافة:

شملت الهجرة ربوع الوطن بكامله نتيجة السياسة الاستعمارية المتعسفة، فكانت وادي سوف من بين المناطق التي عرفت عبر فترات مختلفة موجات هجرة متعددة انطلاقا من الحدود التونسية والليبية، ولم تختلف أسبابها عن الأسباب العامة التي عرفتها الهجرة في أرجاء عديدة.

إن قرب تونس من وادي سوف كان عاملا هاما في تشجيع الهجرة، وقد عرفت الهجرة إليها أفواجا عديدة، وهذا قصد الكسب عن طريق وظائف عديدة منها: التجارة، العمل والتعليم، فقد كان أكثر المهاجرين لها هم الطلبة، وقد شهدت الهجرة إلى تونس فترات متعددة كانت الهجرة فيها تعرف تفاوتا في العدد، وخلال فترة الاحتلال الفرنسي نجد أن سكان المنطقة أصبحوا أكثر رغبة في الهجرة إلى تونس، وعلى هذا حاولت السلطة الاستعمارية بتونس تنظيم المهاجرين في تجمعات سكانية خاصة واستغلالهم في دفع الضرائب في جميع الأرجاء المتواجدين فيها بتونس [2].

- هجرة الورقليين:

تعتبر تونس وجهة هامة لسكان ورقلة وذلك بحكم القرب الجغرافي والمحاذاة الحدودية لإقليم الجريد بالجنوب التونسي، وسهولة التنقل وعدم اكتراث السلطات التونسية لهذه الهجرات، ورغم محاولات السلطات الاستعمارية التحكم في حركة تنقل الجزائريين عبر حدود لتونس من خلال قرارها الصادر في7 فيفري 1898م إلا أن هذا لم يمنع سكان ورقلة من الهجرة نحو تونس من

(1) حمزة، بن قيطون: المرجع السابق، ص ص 131- 132.

(2) موسى بن، موسى: المرجع السابق، ص ص 112- 113.

البحث عن العمل، وقد شملت الهجرة أربعة أعراش وهم: بني سسين، بني ابراهيم، بني واقين، بني تماسين وبلغت نسبتهم حوالي 4.7% من مجموع الجزائريين المتواجدين بتونس، وكان تنقلهم مشيا على الأقدام تارة، وركوبا على الحيوانات تارة أخرى [(1)].

ب) الهجرة إلى المغرب الأقصى:

بعد القضاء على مقاومة الأمير عبد القادر سنة 1847م، ومرورا بثورة أولاد سيد الشيخ سنة 1864م وانتهاء بثورة الشيخ بوعمامة سنة 1908م، يضاف إلى ذلك فقدان بعض القبائل لأراضيهم وثرواتهم الحيوانية، وغلق العديد من أراضي الرعي التي كانت ترتادها قطعانهم، تضاعفت هجرة قبائل الجنوب الوهراني تجاه المغرب الأقصى [(2)]، فعملت السلطة الاستعمارية على دعم الاستيطان بكل السبل والوسائل بالجنوب الوهراني، وفي هذا الشأن وجدت القوات الفرنسية بعد احتلالها لعين الصفراء سنة 1881م بعض القصور بسفيسيفة وعين الصفراء خالية من سكانها، حيث أن سكان تلك القصور هاجروا منذ بداية سنة 1849م إلى غاية سنة 1875م، كما يبين الجدول التالي:

المنطقة		السنوات		
		1849م	1861م	1875م
سفيسيفة	عدد السكان	1200	350	145
	عدد القصور الآهلة	200	70	33
عين الصفراء	عدد السكان	1000	500	300
	عدد القصور الآهلة	250	100	64

جدول يبرز عدد السكان والقصور الآهلة بسفيسيفة وعين الصفراء مابين 1849م – 1875م[(3)]

من خلال الجدول يتضح أن عدد السكان المهاجرين قد ارتفعت بحلول سنة 1875م، نتيجة

---

(1) رضوان، شافو: الجنوب الشرقي...، المرجع السابق، ص ص 232- 233.

(2) حمزة، بن قيطون: المرجع السابق، ص 134.

(3)Jules, Cambon : Documents… T2…, Op.cit. p 424.

الممارسات الاستعمارية التعسفية وعلى رأسها إثقال كاهل السكان بدفع الضرائب، فعلى سبيل المثال لا الحصر: هاجرت قبيلة "الشرفة" القاطنة بمنطقة عين الصفراء إلى المغرب الأقصى سنة 1884م، نتيجة اكتوائها بنار الضريبة التي فرضت عليها منذ بداية سنة 1872م وحددت ب 1000 فرنك سنويا، لترتفع مبلغ الضريبة إلى 2000 فرنك سنة 1875م، فكانت السلطات الاستعمارية بهذه الإجراءات تسعى إلى طرد هذه القبيلة والتخلص منها، وبالفعل فخلال سنوات 1884م إلى غاية 1893م قدرت عدد خيام التي هاجرت من تلك القبيلة بحوالي 21 خيمة من اصل 32 خيمة [1].

مع استمرار ثورة الشيخ بوعمامة 1882م-1908م، وملاحقته من طرف السلطات الاستعمارية مع جميع القبائل المنضوية تحت لواءه، مما اضطر العديد من تلك القبائل إلى الهجرة نحو المغرب الأقصى، من بينها نجد: قبائل العمور والحميان و62 خيمة من قبيلة المذابيح التي هاجرت سنة 1884م[2]، لتتوالى الهجرات فيما بعد، حيث هاجرت 80 خيمة من قبيلة أولاد سليم و أولاد عبد الله، وحوالي 120 خيمة من قبيلة الصوالة أولاد عليات سنة 1888م [3].

لم تستثنى قبيلة أولاد سيدي الشيخ بفرعيها هي الأخرى من الهجرة التي كانت إما طواعية بحيث هاجرت بعض فروعها بملء إرادتها، أو مجبرة نتيجة فشل الثورات وسياسة النفي الإجباري من طرف السلطات الاستعمارية[4]، **(ينظر الملحق رقم 11).**

ج) الهجرة إلى المشرق العربي:

الهجرة إلى المشرق العربي ارتبطت بحركة قوافل الحج، وبحكم أن مناطق الجنوب الجزائري خلال القرن 19م وبدية القرن 20م، كانت لا تزال ميدانا للتوسع الاستعماري والمقاومات الشعبية، اضطرت السلطات الاستعمارية إلى تشديد مراقبة الحدود الجنوبية الشرقية للجنوب المحاذية لجنوب مستعمرة تونس الفرنسية، وطرابلس الغرب لمنع دخول وخروج قادة المقاومات، ومن ثم

---

[1] Jules, Cambon : Documents… T2…, Op.cit.pp 323- 327.
[2] Ibid. pp 285 -288.
[3] Ibid. pp 301 - 303.
[4] محمد ابن الطيب، البوشيخي: المرجع السابق، ص ص 178- 179.

فقد استغل سكان الجنوب قوافل الحج للهجرة نحو بلدان المشرق العربي تحت غطاء أداء مناسك الحج، وكرد فعل من طرف السلطات الاستعمارية، فرضت إجراءات قمعية واستبدادية تفتيشية ضد الحجاج في الجنوب على غرار حجاج مناطق الشمال، حيث أخذت الإدارة الاستعمارية في الجنوب تتماطل في إعطاء جوازات السفر، لذا نجد عدد المهاجرين من مناطق الجنوب كان ضئيلا [1]؛ والجدول الأتي يوضح ذلك:

المنطقة	عدد المهاجرين	عدد العائدين بعد الهجرة
غرداية	1	1
الاغواط	2	1
الجلفة	–	6
عين الصفراء	1	2
البيض	–	1
بسكرة	47	20
أولاد جلال	70	23
وادي سوف	12	60
المجموع	133	114

جدول يوضح عدد المهاجرين من الجنوب الجزائري إلى سوريا مابين 1910م– 1915م[2]

6) انتشار اللصوصية وقطع الطريق:

أدت السياسة الاستعمارية الاقتصادية إلى إفقار مجتمع الجنوب، ودفع ببعض أفراده إلى ممارسة اللصوصية وقطع الطريق فيما بين قبائل الجنوب، وحتى على ممتلكات المعمرين فيما بعد، وان كانت هذه الظاهرة منتشرة قبل الاحتلال؛ فقد تطرقت المؤرخة "مجدوب كريمة" في أطروحتها الموسومة بعنوان: "الاستعمار انعدام الأمن وإشكالية المقاومة الشعبية والهامشية في القطاع الوهراني (1881–1920م)" بشكل مفصل حول هذه الظاهرة؛ فالملاحظ في الأمر ارتفاع

(1) رضوان، شافو: الجنوب الشرقي...، المرجع السابق، ص 234.

(2) عمار، هلال: الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847م-1918م، دار هومه، الجزائر،2007، ص ص 126- 128.

هذه الظاهرة بشكل كبير، والدليل على ذلك كثرة التقارير الحكومة الاستعمارية حول تلك الظاهرة[1].

من بين الأفراد والجماعات التي اشتهرت بممارسة عملية اللصوصية وقطع الطريق نجد: مجموعة "بل بادين" من منطقة عين الصفراء وقد قامت هذه الأخيرة بعملية سطو سنة 1896م استهدف قطيع جمال، وبعد مطاردة من طرف السلطة الاستعمارية تم القبض على أفرادها سنة 1897م، وفي نفس السنة قامت مجموعة من قبيلة "حميان" بالسطو على قافلة تجارية قادمة من المغرب الأقصى قرب ضاحية الأعوج بالعريشة؛ فحين كثفت مجموعات من قبيلة "أولاد جرير" من عمليات السطو على الحدود المغربية الجزائرية، وتم استهداف مواكب ومراكب المعمرين والمراكز العسكرية الاستعمارية، مما أدى تأزم الوضع بين السلطنة المغربية والحكومة الاستعمارية بالجزائر وفتح ملف تحديد الحدود بين الطرفين سنة 1902م[2].

---

[1] مجدوب،كريمة: الاستعمار انعدام الأمن وإشكالية المقاومة الشعبية والهامشية في القطاع الوهراني (1881-1920م)، تحت إشرافا.د/ بلقاسمي بوعلام، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، السنةالجامعية، 2009-2010، ص 154.

[2] نفسه، ص ص 155، 159.

الفصل الرابع:

الوضع الثقافي لمجتمع الجنوب الجزائري(1852م– 1914م)

أولا: السياسة الثقافية الفرنسية في الجنوب

ثانيا: النشاط الثقافي لمجتمع الجنوب

ثالثا: النشاط الثقافي لمجتمع الجنوب

أولا: السياسة الثقافية الفرنسية في الجنوب الجزائري

1) النشاط التنصيري الفرنسي بالجنوب:

يعتبر النشاط التنصيري، من أبرز المشاريع الاستعمارية الذي ساعد فرنسا في حركة التوغل نحو الجنوب الجزائري، بحيث اتخذت السلطة الاستعمارية من الكنيسة وسيلة وأداة لتحقيق أهدافها في محاولة إذابة المجتمع الجزائري في بوتقة الأمة الفرنسية، ولتحقيق هذه المهمة جندت الإدارة الاستعمارية منذ سنة 1830م، جمهور العاملين في الكنيسة من رهبان وقساوسة وجمعيات تبشيرية في عدة مناطق من الجزائر وكذا في الجنوب الجزائري، من ابرز هذه الجمعيات نجد:

أ) النشاط التنصيري لجمعية الآباء البيض (Pères Blancs):

- إرهاصات التأسيس:

كان الجنوب الجزائري ضمن اهتمامات الكاردينال شارل لافيجري(•)"(Charles Lavigerie)"، حيث يرى أن التوغل داخل الجنوب لنشر المسيحية بين سكانه أمرا هاما وجوهريا، لأنه يعتبر الجنوب نقطة الانطلاقة التي تتسرب منها حركة التبشير إلى إفريقيا كلها، خاصة في ظل التنافس الاستعماري الأوربي عليها، وقد صرح عن نواياه في رسالة بعثها إلى "رولان (Rolland)" أحد كبار مهندسي مشاريع سكة الحديد بالصحراء الكبرى، قائلا له: " لطالما اعتبرت مسألة التوغل في الصحراء والسودان الغربي أحد النقاط الأساسية لمصلحة فرنسا في الجزائر " [1] وبالرغم من تجذر الدين الإسلامي في نفوس سكان الجنوب، إلا أن الكاردينال لا فيجري صرح لدى وصوله إلى الجزائر قائلا: " إن الجزائر باب مفتوح بيد العناية الإلهية على قارة متوحشة يعيش عليها مليونان من النفوس، بحيث أن تأمين الصحراء وتهدئتها لفتح الطريق أمام

---

[1] عبد القادر، مرجاني: المرجع السابق، ص 129.

(•) **الكاردينال شارل لافيجري:** هو شارل أنطوان مارسيال لافيجري (1825- 1898م)، ولد بمدينة بايون بفرنسا، وفي صباه، أظهر لافيجري ميله للدين من خلال حضوره الدائم لكنيسة المدينة، وفي سنة 1843م دخل مدرسة سان سلبيس بضواحي باريس لدراسة الفلسفة لمدة سنتين، ثم بعدها دخل معهد علم اللاهوت سنة 1845م، ترقى بعدها في سلك رجال الدين المسيحي، بعدها استدعاه الحاكم العام مكماهون، ليعينه أسقف مستعمرة الجزائر سنة 1867م، وقد تصادف وصوله إلى الجزائر مع مجاعة سنتي 1867-1868م فاغتنم الفرصة ليفتتح مشواره بالتبشير، وقد أثمرت جهوده، حيث وصل عدد الكنائس بالجزائر إلى 121 كنيسة سنة 1898م إلى جانب عدد كبير من ملاجئ الأيتام ومراكز ومحطات لحركة التبشير، ينظر: أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي1830- 1954، ج6 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص ص 119- 133.

المبشرين الذين يقصدونها إلى إفريقيا السوداء".

فعمل على استحداث مراكز تنصيرية متقدمة بمدن الجنوب، تساعده على التعرف على سكان الجنوب، فكانت البداية بإرساله لثلاثة من الراهبات إلى مدينة الأغواط في ديسمبر 1870م ووصلن إليها بعد ستة أيام من سفر كان شاقا ومتعبا، و لعدم مقدرتهن على التأقلم مع قساوة المناخ، اضطر لافيجري إلى استدعائهن واستبدالهن، باثنين من الرهبان– وذلك بعد فترة قصيرة من الإرسالية الأولى–، هما الأب "روشي (Rocher) " والأب "أوليفيي (Olivier) " اللذان كانا يتقنان اللغة العربية، فكان من أهداف هذه الإرسالية ضمان الممارسة الدينية المسيحية لدى المستوطنين المقيمين هناك، والقيام بوظيفة الإرشاد الديني في أوساط الجيش الفرنسي المُعسكر بالأغواط [(1)].

عين الكاردينال لافيجري الأب "شارموتان (Charmetain)" رئيسا لمركز التنصير بالأغواط، لينطلق هذا الأخير في رحلة من الأغواط إلى وادي ميزاب سنة 1872م، وخلال هذه الرحلة التي استغرقت شهرا كاملا، جمع فيها معلومات قَيمة حول حياة سكان المناطق الواقعة بين وادي ميزاب والاغواط، ولما قدم تقريره أمام الكاردينال لافيجري حول ما شاهده من طريقة معيشة هؤلاء السكان وتركيبتهم الاجتماعية، ونشاطهم الاقتصادي وحتى ممارستهم الدينية، وبناء على تلك المعلومات اتخذ لافيجري خطوة أخرى سنة 1873م، حيث قام بإرساله للمرة الثانية، على أساس راهب إلى الأغواط برفقته اثنين من الآباء، هما "بوشان" و"بولميي" وحدد لهما هدفا أساسيا يتمثل في الوصول إلى بسكرة، كما أرسل الأب "ريتشارد" نحو تقرت وورقلة، وقام بإرسال الأب" باسكال" إلى البيض، ثم أمرهم جميعا بعد ذلك بوجوب زيارة بسكرة، غرداية، متليلي والمنيعة، فقد كانت هذه الخطوة النواة الأولى لتأسيس جمعيات تبشيرية تكون طليعة لنشر المسيحية في الجنوب الجزائري؛ فبرزت للوجود ضرورة تأسيس جمعية تنصيرية حملت اسم "جمعية الآباء البيض" [(2)].

---

(1) عبد القادر، مرجاني: المرجع السابق، ص 129.

(2) نفسه، ص ص 131- 130.

- التأسيس:

أسس الكاردينال لافيجري جمعية منصيري الجزائر (La Société Missionnaires d’Alger) أو "جمعية الآباء البيض" سنة 1874م، مستغلا ظروف المجاعة التي أصابت الجزائر سنتي 1867م و1868م، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الزي الأبيض الذي كان يلبسه أعضاؤها، والذي يشبه تماما الزي العربي في ذلك الوقت، إلا أن التسمية الحقيقية التي أطلقها عليها مؤسسها آنذاك هي "جمعية مبشري السيدة الإفريقية" أو "مبشرو الجزائر"، أما عن دستورها فهو يقع في ستة فصول[1]، عُدل عدة مرات إلى أن استقر في صيغته النهائية عندما صادق عليه بابا الفاتيكان سنة 1885م، وينص على:

- ضرورة لباس المنخرطين الزي العربي الجزائري.
- ضرورة إتقانهم اللغات واللهجات المختلفة.
- ضرورة حصولهم على دراسات عُليا في علم اللاهوت.
- التقشف في المعيشة، المسكن والملبس.
- التعهد حتى الممات بخدمة التنصير في القارة الإفريقية.

وفي سنة 1874م بدأت الجمعية نشاطها بتأسيس مراكز لها بمدن الجنوب كبسكرة، الأغواط، متليلي، والأبيض سيدي الشيخ [2].

- النشاط:

قام لافيجرى في سنة 1875م بإرسال ثلاثة من المبشرين –إلى تمبكتو مرورا ببلاد الطوارق– وهم: الفريد بولميي (Alfred-Marie Paulmier)، فيليب مينوري (Ménorets Philippe) وبيار بوشار (Bouchard Pierre)، وقد عبر لافيجري عن هؤلاء قائلا: " في هذه الساعة يوجد ثلاثة من المنصرين من رجالنا في بلاد الطوارق، وعما قريب سوف يدخلون إلى تمبكتو في عزم وتصميم ليستقروا في عاصمة السودان الغربي تمبكتو أو يلقوا فيها حتفهم حبا في

(1) عبد القادر، مرجاني: المرجع السابق، ص ص 131- 130.
(2) نفسه، ص 129.

الحقيقة"، لكن في نهاية المطاف لقوا حتفهم على يد مرافقيهم من الطوارق [1].

على اثر تلك الحادثة، أُنشأت محطة تنصيرية بمتليلي سنة 1875م، لتكون أولى خطوات التوغل داخل الجنوب، وانطلاقا من هذه المحطة أخذ كل من الأب كرامبو (Krambon) والأب مالفري (Malfreyt) بالاستكشاف حتى مدينة المنيعة (القليعة) جنوب محطة متليلي، بهدف دراسة الطرق التي تؤدي إلى دواخل الجنوب الجزائري ليكون المحطة الموالية للتوغل أبعد نحو الصحراء الكبرى الإفريقية [2].

كما قام الأب ريتشارد (Richard) سنة 1876م برحلة إلى قبيلتي من قبائل الطوارق هما: قبيلة "الإيفوغاس" و"الإيمانغاستان"، واستمرت رحلته 56 يوما إلى أن وصل إلى وادي تيكاملت، وقد نجح في رحلته الأولى باعتباره يُحسن النطق بالعربية، ما شجعه على معاودة الرحلة من جديد للوصول إلى غدامس، فبتاريخ 18 ديسمبر 1881م انطلق الأب ريتشارد رفقة الأب "مورات (Morat)" والأب" بوبلار (Pouplar)" إلى غدامس ، لكن في اليوم التالي من رحلتهم تم قتلهم من طرف مرشديهم في الصحراء على بعد 40 كم جنوب غدامس.

رافق افراد جمعية الآباء البيض أيضا الجيش الاستعماري، فكان كلما احتل الجيش الفرنسي مدينة أو واحة صحراوية، تمركزوا بها ليفتحوا بها مراكز للتنصير بالمسيحية، فعلى سبيل لا الحصر: مدينة غرداية تم إنشاء بها مركز تنصيري تولى تسييره الأب" تولوت" الذي أصبح مرشدا للإرساليات التنصيرية بالصحراء والسودان ابتداء من سنة 1884م، وكذلك الأمر بالنسبة للمنيعة التي تم إنشاء بها مركز للتتنصير سنة 1892م.

اتبع المنصرون نفس الطرق التي انتهجوها في منطقة القبائل بالتل، وذلك تماشيا مع تعليمات الكاردينال لافيجري التي تقتضي بضرورة كسب ثقة السكان، فقام الآباء بفتح مستوصفات لمعالجة المرضى مجانا، مما كان له أثر بالغ في استمالة سكان الواحات والمدن، حتى بلغ تعداد الذين دخلوا هذه المستوصفات حوالي 4000 شخص سنويا، وبطول مكوث هؤلاء

[1] حاج إبراهيم، حاج أمحمد: المرجع السابق، ص ص 86- 87.

[2] عبد القادر، مرجاني: المرجع السابق، ص 132.

المبشرون بالمدن والواحات الصحراوية، تمكنوا من إقامة علاقة ودية مع السكان، مما ساعدهم على التعرف على عاداتهم وتقاليدهم، أثمرت تلك المعلومات التي تم جمعها على بسط النفوذ الاستعماري في الجنوب فيما بعد [1].

ب) النشاط التنصيري لجمعية إخوان الصحراء المسلحين (Les frères armes du Sahara) :

قام الكاردينال لافيجري بتأسيس جمعية أخرى تحت مسمى "إخوان الصحراء المسلحين" في بسكرة سنة 1891م، وكان الغرض منها حماية المنصرين في مدن وواحات الجنوب الجزائري نتيجة هلاك الكثير منهم في الجنوب الجزائري.

فقد طلب الكاردينال لافيجري من رئيس المجلس الاستشاري الفرنسي تقديم العتاد العسكري لتسليح أفراد جمعيته، فقام هذا الأخير بعرض قضيته على السلطات الاستعمارية بالجزائر والحكومة الفرنسية، الممثلة في: وزير الخارجية، وزير الدفاع، وزير الداخلية، الحاكم العام بالجزائر، وقادة الحاميات العسكرية بالعمالات: الجزائر، قسنطينة ووهران، وأجمع كل هؤلاء على أنه لا مانع من تقديم السلاح والذخيرة مجانا للجمعية، ما دام هؤلاء يخدمون مصالح فرنسا التوسعية في الجنوب الجزائري والقارة الإفريقية، وقد تعهدت السلطات الاستعمارية بتويل هذه الجمعية سنويا بمبلغ 10000 فرنك، واشترطت على الفاتيكان أن تتعهد بأن يكون رئيسها من جنسية فرنسية.

على إثر ذلك أقام الكاردينال لافيجري في أفريل 1891م حفلا دينيا لجمعية إخوان الصحراء المسلحين، بمناسبة ارتدائهم اللباس الديني والعسكري الرسمي، حيث بلغ عددهم 30 عضوا، الأمر الذي كان إعلانا رسميا لبداية نشاطهم العسكري والتبشيري في الجنوب الجزائري، [2] فالنشاط التنصيري لهاته الجمعية يحتاج الى المزيد من الابحاث، شرط توفر المادة الارشيفية.

---

[1] عبد القادر، مرجاني: المرجع السابق، ص 132.

[2] نفسه، ص 134.

ج) النشاط التنصيري شارل دوفوكو ببني عباس و الهقار 1901م- 1914م:

يعتبر دوفوكو من أبرز رواد حركة الاستكشاف والتنصير، بل من أخطر المنصرين قاطبة، وخطورته تكمن في إيمانه الراسخ بما ينجزه خدمة للمشروع الاستعماري معتمدا على إستراتيجية منطلقها قاعدتين: محاربة العقيدة الإسلامية ودراسة لغة وعادات وتقاليد وثقافة المجتمع المراد إخضاعه [1].

- سيرته:

كانت أول زيارة لدوفوكو للجزائر سنة 1880م، ضمن فرقة عسكرية فرنسية للخيالة أرسلتها فرنسا إلى الجزائر، حيث مكث عدة أسابيع بين مدينتي عنابة وسطيف، وبعد أشهر استقال من الجيش، ولم يبلغ عمره حينها 24 سنة، ومع اندلاع ثورة الشيخ بوعمامة في الجنوب الوهراني عاد دوفوكو مرة أخرى لحمل السلاح في هذه الحرب المقدسة -في نظره-، ثم استقال سنة 1881م تلقائيا، قرر بعدها القيام برحلة إلى أعماق الجنوب خدمة لفرنسا والمسيحية، وقصد الحصول على نتائج أكثر إيجابية تساعد على التوسع الاستعماري، ولكن بعد الدراسة تأكد له أنه لا يمكن القيام بذلك إلا بتعلم اللغات.

فقرر التجول في المغرب الأقصى وجمع المعلومات عنه، فتنكر في زي خادم يهودي مشرد وفقير، وطاف في جبال الأطلس المغربي بداية من 20 جانفي 1883م إلى غاية 23 ماي 1884م، خرج من هذه الرحلة بمعلومات غزيرة تعد دليلا قيما ومرجعية أساسية أفاد فرنسا في احتلالها للمغرب الأقصى فيما بعد [2]، قرر بعدها ممارسة التنصير في الجنوب الجزائري ومنها إلى إفريقيا الغربية.

- رحلته الأولى داخل الجزائر سنة 1885م:

عند عودته إلى الجزائر تعلم اللغة العربية، وقام بالتجول في الجنوب، حيث زار مدينة الأغواط، غرداية، ميزاب، المنيعة تقرت ومدينة قابس بتونس وفق الطريق الذي رسمه الرحالة

---

(1) عبد القادر، مرجاني: المرجع السابق، ص ص 134- 137.

(2) أحميد، عميراوي: المرجع السابق، ص 119.

"هنري دوفري"، الذي التقى به عدة مرات، وقد منحته الجمعية الجغرافية الميدالية الذهبية نتيجة أعماله المهمة ومؤلفاته القيمة، حيث قامت بنشر كتاب المعنون بعنوان:"التعرف على المغرب" [1].

- رحلته الثانية داخل الجزائر سنة1901م:

قام دوفوكو برحلة أخرى نحو الجنوب الجزائري سنة 1901م، ونفسه تدفعه إلى مزيد من الاستكشاف والبحث عن المجهول، وفي هذه الرحلة حاول أن يجد لنفسه مستقرا يأوي إليه ويتخذه مركزا لاستئناف نشاطه، فأقام أول الأمر في بني عباس في مرتفع صخري، وكان يفد إليه ما لا يقل عن مائة زائر من البؤساء والفقراء وذوي الحاجة، ليبث التبشير في قلوب هؤلاء المساكين مستغلا ضعفهم وحاجاتهم، ونسق أيضا نشاطه مع رهبان جمعية الآباء البيض، كما سعى ليكون عينا وعونا في نفس الوقت للإدارة الاستعمارية [2].

- نشاطه التبشيري:

- ببني عباس 1901م- 1905م:

في بني عباس مكث حوالي أربع سنوات ، حاول خلالها تقديم صورة مثالية للرجل المسيحي، فكان يعمل لعدة ساعات ثم ينقطع للعبادة، ويخصص بعضا من وقته لمجالسة سكان بني عباس، وفي سنة 1905م طلب قائد إقليم الواحات الرائد "لابرين (Laperrine)" من شارل دو فوكو المشاركة في حملات تموين التي ينظمها لفائدة الطوارق الذين تقتضي مصلحة الإدارة الاستعمارية إخضاعهم بالطرق السلمية عوض استخدام القوة [3].

- بتمنراست 1905م- 1916م:

انتقل بعدها إلى الهقار في سنة 1905م، بعد أخذ الإذن من الأمنوكال "موسى آق آمستان" زعيم طوارق الهقار، كما كان على اتصال دائم ومباشر مع أعيان وأشراف طوارق الهقار، أين بنى ديرا بالمنطقة مباشرا عمله التبشيري، من بين أهم العوامل التي سهلت مهمته، هو تكوينه العسكري الذي أهله للعمل في قضايا الاستخبارات العسكرية، فقد قضى إحدى عشر سنة

---

[1] عبد القادر، مرجاني: المرجع السابق، ص 119.
[2] أحميد، عميراوي: المرجع السابق، ص ص 119- 120.
[3] عبد القادر، مرجاني: المرجع السابق، ص ص 120- 124.

في التقرب من الطوارق ليتعلم لهجتهم، فأنجز قاموسا من الفرنسية إلى التارقية، ومن التارقية إلى الفرنسية في أربع مجلدات، كما حاول التمركز بين القبائل التارقية، وكسب أطفالهم، وتحببيهم مبادئ المسيحية، ولتحقيق هذا قام دوفوكو بتنشئة طفل مختطف بني عباس على المسيحية، وسماه بول مارابو (Paul Marabout) وما إن بلغ سن الرشد وعرف ما حوله تمرد على متبنيه وانفصل عنه.

كانت نهائية شارل دو فوكو وخيمة في الهقار، فبعد إقامته الطويلة بين السكان أخذت نشاطات هذا الراهب تتطور وأصبحت مريبة ومشبوهة بل ومثيرة للشكوك فحامت حوله عدة شبهات، انتهت بقتله سنة 1916م على يد الطوارق [1]، فيما يخص موقف سكان الجنوب من النشاط التنصري، سنقتصر على دراسة موقف الشيخ أطفيش من التنصير في وادي ميزاب فيما سيأتي.

22) سياسة التعليم الفرنسية بالجنوب:

يختلف التعليم الفرنسي عن التعليم المحلي الجزائري التقليدي في كونه تعليما ممنهجا، ومنظما وفق برنامج عام مسطر من قبل السلطات الاستعمارية، ويحمل في طياته أهدافا إستراتيجية سخرت لها الوسائل والإمكانيات اللازمة لإنجاحها، ضمن سياسة محكمة وعمل منهجي طويل المدى، لان تعليم الجزائريين أضحى من منظور السياسية الفرنسية ضرورة لتثبيت الحكم الاستعماري في الجزائر عامة والجنوب خاصة [2].

برامج التعليم الموجه لتلاميذ سكان الجنوب في المدارس الفرنسية تتمحور حول: النطق الصحيح للغة الفرنسية، وبرامج دراسية حول الحرف والأعمال الفلاحية، كزراعة الكروم والأشجار المثمرة، أما بالنسبة للبنات فاقتصر تعليمهن في مجال الصحة وتقنيات النظافة [3]، ولأجل إنجاح مشروع فرنسة مجتمع الجنوب الجزائري، قامت الإدارة الاستعمارية بانجاز مجموعة من المشاريع في القطاع التعليم الحكومي الفرنسي تمثلت في: بناء المدارس، ورفع عدد المتمدرسين سواء

---

(1) عبد القادر، مرجاني: المرجع السابق، ص ص 124- 126.
(2) محمد، برشان: الحياة الاجتماعية...، المرجع السابق، ص 373.
(3)A.W.C: G. G.A: Exposé de la situation... 2emP..., Op.cit. pp 403 -404.

المحليين والأوربيين منهم، ومضاعفة ميزانة الإنفاق.

أ) بناء المدراس: قامت السلطات الاستعمارية بتوسيع مشروع بناء المدارس في الجنوب، والجدول التالي يوضح ذلك:

السنوات	المناطق	عدد المدارس
1903م	عين الصفراء	06
	المشرية	01
	الأغواط	01
1904م	بني ونيف	01
1906م	بشار كولومب	01
1909م	بوقطب	01

جدول يبين عدد المدارس الفرنسية التي تم إنشائها في الجنوب الجزائري 1903م- 1909م[1]

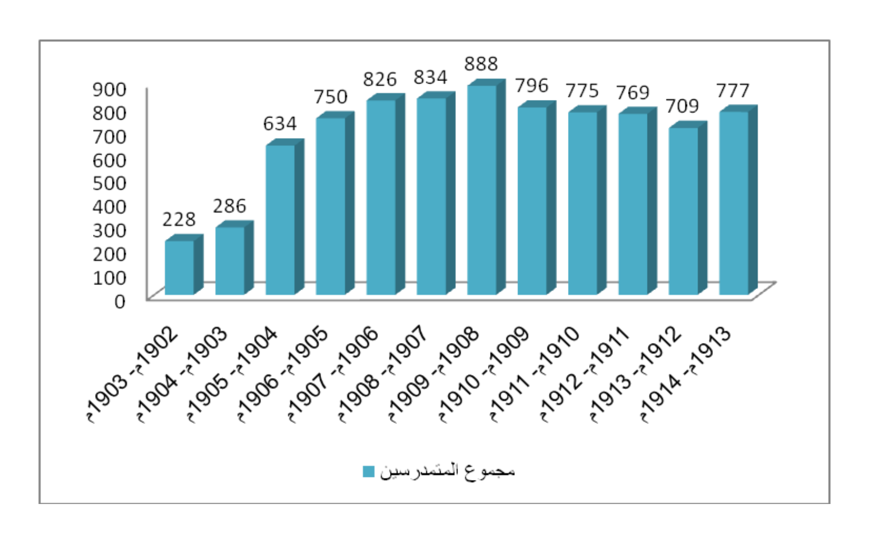
ب) زيادة عدد المتمدرسين: عملت السلطات الاستعمارية على استقطاب أبناء سكان الجنوب لتسجيل أبنائهم في المداس الفرنسية، وبالخصوص أبناء العائلات المتعاونة مع السلطة الاستعمارية بالجنوب يضاف إليهم أبناء المعمرين الذين وفدوا حديثا، والجدول التالي يوضح ذلك:

السنوات	عدد المتمدرسين		المجموع
	ذكور	إناث	
1902م- 1903م	81	147	228
1903م- 1904م	122	164	286
1904م- 1905م	246	388	634
1905م- 1906م	324	426	750
1906م- 1907م	340	486	826
1907م- 1908م	291	543	834
1908م- 1909م	411	477	888
1909م- 1910م	241	555	796
1910م- 1911م	241	534	775
1911م- 1912م	238	531	769
1912م- 1913م	260	449	709
1913م- 1914م	271	506	777

جدول تعداد التلاميذ المسجلين في المدارس الفرنسية 1902م- 1903م [2]

(1)A.W.C: G. G.A: Exposé de la situation... 2emP..., Op.cit. pp 404 -405.

(2) Ibid. pp 406.

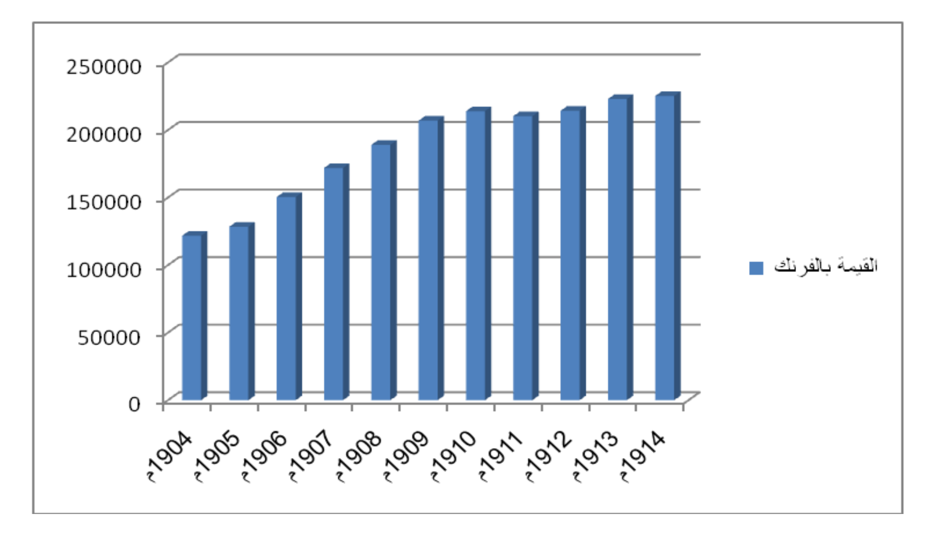


مخطط بياني لتعداد التلاميذ المسجلين في المدارس الفرنسية 1902م- 1903م

ت) مضاعفة ميزانة الإنفاق: تزامنا مع ارتفاع عدد التلاميذ المتمدرسين في المدارس الفرنسية، برزت ضرورة بناء مدارس جديدة وتوظيف معلمين جدد، مما حذا بالسلطات الاستعمارية إلى رفع ميزانية الإنفاق على التعليم الحكومي الفرنسي، كما يوضح الجدول الأتي:

السنوات	1904	1905	1906	1907	1908	1909	1910	1911	1912	1913	1914	المجموع
القيمة بالفرنك	121789	128466	150445	171945	189056	206992	213947	210279	214270	222974	225248	2554411

جدول يبين حجم المصاريف المنفقة في التعليم الحكومي الفرنسي بالجنوب الجزائري 1904م- 1914م[1]



مخطط بياني يبين حجم المصاريف المنفقة في التعليم الحكومي الفرنسي بالجنوب الجزائري 1904م- 1914م

شملت السياسة التعليمية الفرنسية في الجنوب كافة المدن والواحات الصحراوية دون استثناء، لذا سنتطرق لدراسة بعض النماذج للمدن التي توفرت حولها المعلومات.

---

[1] A.N.A: G. G.A : Statistique Financière …Op.cit. pp 198- 199.

ث) التعليم الفرنسي بوادي سوف:

كان لصدور مرسوم 13 فيفري 1883م المتعلق بتنظيم التعليم الحكومي الفرنسي، والعمل على نشره في كامل ربوع القطر الجزائري، حيث افتتحت أول مدرسة فرنسية بواد سوف سنة 1886م، بأربعة أقسام و ثلاث سكنات للمعلمين، غير أن الإقبال عليها كان ضعيفا، إذ لم يتعد تعداد المتمدرسين في الموسم الأول ثمانية تلاميذ معظم آبائهم يعملون في الإدارة الفرنسية [1]، وفي سنة 1890م بلغ تعداد المتمدرسين بالمدرسة الفرنسية 12 تلميذا، ليرتفع العدد إلى 278 تلميذ في حدود سنة 1900م، وقد وسعت السلطات الاستعمارية من نطاق بناء المدارس في المناطق المجاورة لمدينة سوف، ففي سنة 1893م افتتحت مدرسة منطقة كوينين ضمت قسما واحدا وسكنا للمعلم، وفي سنة 1903 تم إنجاز مدرسة بمنطقة القمار ضمت ثلاثة أقسام وثلاثة سكنات للمعلمين، وقد قدر عدد المتمدرسين في المدرستين سنة 1903م بحوالي 100 تلميذ، مما يوحي بضعف إقبال السكان إرسالهم أطفالهم للتعلم في المدارس الفرنسية، من اجل للحفاظ على الهوية الوطنية.

أما فيما يخص التعليم المهني فلقد بدأ الاهتمام به مع بداية سنة 1909م، حيث تم الانتهاء من بناء وتهيئة الورشات الخاصة بدروس التمهين في تعليم نسيج الزرابي، المنشأة بقرار 13 أكتوبر 1908م، في مدارس الأهالي بقمار وواد سوف [2].

ج) المركز الفرنسي للتدريس بوسعادة:

سنة 1911م كان المدرس الوحيد بهذا المركز هو "الشيخ عبد القادر بن الحاج"، وكان يلقي دروسه بجامع بوسعادة، كما كان يتلقى راتبا سنويا قدره 1500 فرنك وكان عدد الطلبة الحاضرين لدروسه ثمانية طلبة فقط، مما يوحي بنفور سكان المدينة من تدريس أبنائها في المدارس الفرنسية، من بين المواد التي كانت تدرس بالمركز نجد: دروس التوحيد، الأدب، البلاغة، الحساب، النحو، المنطق، الفقه [3]، وما يمكن ملاحظته حول طبيعة هذه الدروس، هو خلوها من

---

[1] موسى، بن موسى: المرجع السابق، ص 103.

[2] نفسه، ص ص 103- 104.

[3] أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي1830- 1954، ج3 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 109.

الدروس الدينية والفقهية التي توجه أبناء المجتمع نحو المحافظة على الهوية والأصالة [1].

ح) التعليم الفرنسي بورقلة:

حظي التعليم الفرنسي في ورقلة باهتمام السلطة الاستعمارية في العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، وشهدت ورقلة بناء مدرسة سنة 1898م، والتي سجل فيها حوالي 50 تلميذا، وفي سنة 1900م لجاء السلطات الاستعمارية إلى إنشاء ما سمي بالمدارس الخاصة يعمل على تأطيرها رهبان جمعية الآباء البيض، حيث تم إنشاء مدرسة خاصة بورقلة ضمنت حوالي 30 تلميذا، وفي سنة 1903م أصبحت هذه المدرسة تخصص دروسا للتلاميذ بمعدل خمس مرات في الأسبوع، وكان عدد التلاميذ يتراوح ما بين 40 إلى 50 تلميذ [2]، كما يوضح الجدول الأتي:

السنة	عدد التلاميذ	عدد الأقسام
1900م	30	1
1903م	50	1

جدول تعداد التلاميذ المسجلين بمدارس الآباء البيض بورقلة 1900م – 1903م [3]

خ) التعليم الفرنسي بوادي ميزاب:

منذ الإلحاق الفرنسي لوادي ميزاب سنة 1882م، شرعت الإدارة الفرنسية في فتح المدارس في قرى وادي ميزاب، فافتتحت مدرسة بمدينة غرداية سنة 1889م، مدرسة بمدينة العطف، مدرسة بمدينة بني يزقن سنة 1892م، ومدرسة بمليكة سنة 1907م.

بادئ الأمر لم يتقبل سكان وادي ميزاب هذا التعليم، فعارضوه وقاطعوه وامتنعوا عن إرسال أبنائهم إلى هذه المدارس، ووصل بهم الأمر إلى إرسال أبنائهم إلى خارج وادي ميزاب، لأنهم رأوا أن الهدف من التعليم، هو محاربة الإسلام واللغة العربية، ومن اجل إجبار السكان على السير في سياستها قامت الإدارة الاستعمارية بإجراءات ضدهم، تمثلت في إصدار أمر بإجبارية التعليم سنة

---

[1] أبو محمد السعيد، قاصري: « ملامح من الحياة الثقافية بمنطقة المسيلة خلال الحقبة الاستعمارية 1841م-1941م »، مجلة عصور جديدة، جامعة وهران، ع 16- 17، 2014- 2015، ص 310.

[2] رضوان، شافو: الجنوب الشرقي...، المرجع السابق، ص ص 252- 254.

[3] نفسه، ص 255.

1890م لكل أبناء الميزابيين، وعدم السماح لأي تلميذ بمغادرة المنطقة إلا برخصة، وكانت تأمر كل رئيس العشيرة أن يرافق تلاميذ العشيرة بنفسه يوم الدخول المدرسي، ورغم ذلك ظل سكان بني ميزاب يتجنبون إرسال أولادهم إلى هذه المدارس حتى مطلع القرن العشرين، حيث بدأت نسبة التلاميذ المتمدرسين في المدارس الفرنسية بالارتفاع [1]، نظرا لوجود فئة من السكان كانت تعمل في الدوائر الاستعمارية، وكذا وجود مجموعة من المستوطنين، وهذا ما تبينه إحصائيات سنة 1906م:

اسم المدينة	عدد التلاميذ
غرداية	64
القرارة	40
العطف	45
مليكة	30
بني يزقن	50
بريان	40
المجموع	**269**

جدول تعداد التلاميذ المتمدرسين في المدارس الفرنسية بمدن ميزاب سنة 1906م[2]

لم يتوقف نشر التعليم الفرنسي في المدارس الحكومية فقط، بل تعدى الأمر فرض التدريس في مدارس جمعية الآباء البيض، وهذه المدارس كانت عبارة عن مؤسسات تمارس التبشير تحت غطاء التعليم، وكان مقرها في بادئ الأمر في متليلي سنة 1883م، ثم حولت إلى غرداية سنة 1884م، ووقف السكان ضد نشاط هذه المدارس وكان في مقدمتهم الشيخ أمحمد بن يوسف اطفيش، الذي دعى إلى المقاطعة، وعدم تسجيل أبنائهم في مدارسهم وبالفعل أثمرت جهوده عام 1896م، حيث اشتكى "الأب قريزي" من مغادرة التلاميذ لمدارس الآباء البيض بغرداية [3]، والجدول الأتي يبين عدد التلاميذ المسجلين في تلك المدارس:

---

[1] عبد القادر عزام، عوادي: المرجع السابق، ص ص 65- 66.
[2] ابن عمر الحاج موسى، بن بكير: « مشروع الثقافي الفرنسي في الجزائر ومقاومته في مزاب »، مجلة الحياة ، معهد الحياة بالقرارة -غرداية، (ع 16)، 2012، ص 208.
[3] عبد القادر عزام، عوادي: المرجع السابق، ص 66.

التاريخ	عدد التلاميذ	عدد المواظبين على الحضور
23 جانفي 1884م	15	/
24 جانفي 1884م	مابين 20 و30	/
مارس 1890م	50	/
ديسمبر 1890م	69	/
1892م	مابين 90 و100	مابين 70 و75
1897م	30	/
1900م	40	/
1901م	91	66
1903م	80	35
1907م	100	/
1914م	/	46

جدول تعداد التلاميذ المسجلين في مدارس الآباء البيض بغرداية 1884 م– 1914م [1]

ج) التعليم الفرنسي ببشار:

نتيجة لعمليات التنقيب عن الثروات، التي كانت تقوم بها الشركات التصنيع المعدنية الفرنسية بمنطقة بشار، وتحول هذه الأخيرة إلى مركز استقطاب الأيدي العاملة الأوربية، واستقرارها النهائي في المنطقة، وتشجيع السلطة الاستعمارية على ذلك، بل وتوفير الظروف المناسبة لعملية الاستيطان من مساكن، مستشفيات، وبالضرورة وجود مدارس لتعليم أبناء المستوطنين وأبناء فئة معينة من السكان تتعامل مع السلطات الاستعمارية، كما يوضح الجدول الأتي:

[1] عمر، داود: الحركة التبشيرية في الجزائر، نشاط الآباء والأخوات البيض في غرداية، مقاربة سوسيو- تاريخية ، دار نزهة الألباب، الجزائر، 2016، ص 244.

السنوات	عدد التلاميذ ببشار			عدد التلاميذ ببني ونيف		
	الذكور	الإناث	المجموع	الذكور	الإناث	المجموع
1906م	العدد غير معروف		35	29	92	121
1907م			38	38	68	106
1908م			68	37	38	75
1909م			83	36	35	71
1910م			72	42	41	83
1911م	55	42	97	37	35	72
1912م	51	45	96	38	42	80

جدول تعداد المتمدرسين في المدارس الفرنسية ببشار وبني ونيف مابين 1906– 1912 [1]

مما يلاحظ في الجدول أن العدد الأكبر من المتمدرسين هو من أبناء المعمرين الأوربيين، في حين نجد ضعف إقبال سكان بشار على تسجيل أبنائهم في المدارس الفرنسية، وذلك راجع للظروف المعيشية الناتجة عن السياسة الفرنسية، وتكاليف التدريس التي يجب على الآباء دفعها من اجل تمدرس أبنائهم في المدارس، يقابلها مجانية المدارس القرآنية [2].

فيما يخص انعكاسات السياسية الثقافية على مجتمع الجنوب، فستبرز نتائجها مع مطلع ثلاثينيات القرن العشرين، مُمثلة في ظهور نخبة من أفراد المجتمع مثقفة ثقافة فرنسية، وتطالب بدمج مجتمع الجنوب بالمجتمع الفرنسي لتحقيق المساواة بينهما.

---

(1)A.W.O: Messier, (C).: «Territoire... 2emP..., Op.cit. pp 146.

(2) محمد، برشان: الحياة الاجتماعية...، المرجع السابق، ص 374.

ثانيا: النشاط الثقافي لمجتمع الجنوب

1) التعليم المحلي في الجنوب:

يمثل هذا النمط من التعليم طرفين: المدارس القرآنية ونشاط المثقفين المسلمين عبر المدارس والمساجد والزوايا، فمسألة تعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم كانت محل اهتمام السكان في الجنوب، حتى أن المدارس القرآنية كانت تنتشر في كل مكان ، بحيث نجد على الأقل مدرسة أو اثنين لتعليم القرآن في كل قرية [1].

كان حفظ الولد للقرآن الكريم يمثل شرفا لعائلته، أما بالنسبة للوسائل المتوفرة في هذه المدارس أو المؤسسات التي تعلم القرآن فهي وسائل بسيطة للغاية، بحيث كانوا يفترشون الأرض فوق الرمال، والقليل من كان يمتلك حصائر، وكان لمعلم القرآن هيبته الخاصة لدى السكان، وعندما يتم الصبي حفظ القرآن يقام له احتفال فيشتروا له ملابس جديدة ويطاف به في البلدة لإشهاره بين الناس [2].

نظرا لتشعب موضوع التعليم في الجنوب، بحكم شساعة النطاق الجغرافي للجنوب وتعدد مدنه وواحاته، سنركز على دراسة بعض النماذج من تلك المدن التي توفرت حولها المادة العلمية.

أ) الكتاتيب والمدارس القرآنية:

كان التعليم العربي الإسلامي في مختلف المؤسسات والمراكز التعليمية المنتشرة في الجنوب قبل وأثناء الاحتلال تعليما دينيا محضا، فكان تحفيظ القرآن هو المادة الأساسية الوحيدة الملقنة عادة في المدارس والكتاتيب القرآنية التي توزعت عبر مدن وواحات الجنوب الجزائري، من ابرز تلك المدن نجد:

أ.1) وادي سوف: كان هذا التعليم يدرس بالمدارس والكتاتيب، المنتشرة بكثرة بقرى ومدن وادي سوف، و هذه المدارس قد تكون تابعة للمساجد أو منفصلة عنها، كما كانت بعض العائلات بواد سوف تشيد مدارس قرآنية، مثل مدرسة القروي، التي أسست في حدود عام 1890م من طرف

---

(1) عبد القادر، مرجاني: المرجع السابق، ص 312.

(2) نفسه، ص 312.

رجل يدعى " محمد القروي بن علي" [1].

أ.2) **ورقلة:** لعبت المساجد لعبت دورا كبيرا في النشاط التعليمي بورقلة، فقد ذكر دوما (Daumas) أنه سنة 1842م احتوت ورقلة على ثلاثة مساجد [2]، بينما تقرير فرنسي لسنة 1842م ذكر أن عدد المساجد بلغ 13 مسجدا، منها 12 مسجدا للمذهب المالكي، ومسجد واحد للمذهب الإباضي ليرتفع عددها أواخر القرن التاسع عشر الميلادي إلى 31 مسجد موزعا بين مساجد المالكية ومساجد الاباضية.

فيما يخص طريقة التعليم القرآني في المدارس القرآنية بورقلة، فبجرد بلوغ الطفل أربعة سنوات من عمره حتى يتم إرساله إلى المدرسة القرآنية التابعة للمساجد أو لمنزل احد معلمي القران الكريم في القرية، وفي بعض الحالات كانت العائلات الثرية تستدعي معلم القران إلى ديارها لتعليم أبنائها.

كما أنه كان هناك تقليد خاص بالطلبة النجباء، حيث يتم إرسالهم إلى جامع لالة ملكية لاستكمال دراستهم ولتدريبهم على عملية التدريس ليتخرجوا فيما بعد معلمي قرآن، وفي ذات السياق كان الطالب الجديد لما يدخل إلى جامع لآلا ملكية يرمون فوق رأسه حزمة من أقلام القصب التي تستخدم للكتابة على الألواح، وبعدها يتسابق الطلبة الآخرين عليها لأخذها واستخدامها في الكتابة، وكان تأثيث المدارس القرآنية تأثيثا بسيطا، حيث يجلس الأطفال على حصائر مصنوعة من نبات السمار أو أفرشة مصنوعة من بقايا القماش، وكان تحفيظ القران في المدارس لا يتم إلا برخص يمنحها لهم الحاكم العسكري للمنطقة [3].

أ.3) **بشار:** تشير بعض التقارير الفرنسية ببشار خلال سنة 1902م، إلى أن عدد المدارس القرآنية بإقليم عين الصفراء العسكري وصل إلى أكثر من 300 مدرسة قرآنية موزعة على مدن وواحات الإقليم بما فيها مدينة بشار، وهذه المدارس ملحقة بالمساجد وضمت ما يربوا عن 100

---

[1] موسى، بن موسى: المرجع السابق، ص ص 98- 99.

[2] Dumas Melchior, Joseph Eugène: Le Sahara..., Op.cit. pp 72 -80.

[3] رضوان شافو: الجنوب الشرقي...، المرجع السابق، ص ص 251- 252.

تلميذ حسب تقرير" الضابط مسنيار" [1].

أما فيما يتعلق بالمدارس القرآنية التي تواجدت خارج مدينة بشار فقد تقلص نشاطها خلال الحقبة الاستعمارية، حيث تراجع عدد تلاميذها إلى اقل من 15 تلميذ بسب ضعف التمويل المادي، نتيجة للسياسة العقارية الفرنسية التي صادرت الأوقاف التي كانت مداخليها تمول هذه الأخيرة.

اختلفت مناهج التعليم وطرقه في المؤسسات التقليدية بين مؤسسة وأخرى، حيث كان المنهج المعتمد يجمع بين حفظ القرآن حفظا كاملا، وتعليم اللغة العربية بهدف تعليم التلاميذ القراءة والكتابة [2].

أ.4) **توات:** عكف الكثير من مشايخ وعلماء إقليم توات- خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين- على الاشتغال بالتدريس في المساجد والزوايا والكتاتيب، التي كانت منتشرة عبر مدن وواحات إقليم توات، فقد اشتهرت بعض المدن والقصور التواتية بنشاطها الثقافي والتعليمي، فكانت كل من: تمنطيط ، أدرار، بودة، ملوكة وزاوية كنته، تعد أماكن تعليمية رئيسية بمنطقة توات [3].

مراحل التعليم في تلك لفترة تبدأ عادة بالكتاتيب أو المساجد وهي متاحة فقط لفئات معينة في المجتمع كفئة الأشراف، المرابطين، الأحرار، وفئة الحراطين دون فئة العبيد [4]، وفي الكتاتيب يتعلم الصغار مبادئ القراءة والكتابة أولا، ثم حفظ القرآن الكريم على أيدي معلمين تفرغوا لمثل هذا العمل، وكانت أغلبيتهم من فئة الحراطين، أما الأسرة التي يتعلم احد أبنائها بالكتاتيب، كانت عليها أن تخصص حصة سنوية من التمر والقمح لمعلم الكُتّاب، نظير مجهوده التعليمي، بعد أن يُتم الطفل تعليمه الابتدائي الذي يتوج بحفظه الكامل للقرآن الكريم [5].

تأتي بعد ذلك مرحلة تعليمية أعلى من سابقتها، وتتم في الزاوية أو المسجد، ويتولى التعليم

---

[1] A.W.O: Messier, (C). : «Territoire... 2emP... , Op.cit. pp 146.

[2] محمد، برشان: الحياة الاجتماعية...، المرجع السابق، ص ص 364- 367.

[3] فرج محمود، فرج: إقليم توات خلال القرنين 18 م و 19 م، دراسة لأوضاع الإقليم السياسية والاجتماعية الاقتصادية والثقافية، مع تحقيق كتاب القول البسيط في أخبار تمنطيط لمحمد بن بابا حيدة، تحت إشراف د/ أبو القاسم، سعد الله، أطروحة دكتوراه في التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1977، ص ص 85- 86.

[4] Déporter Victor, Benjamin: Op.cit. p 30.

[5] فرج محمود، فرج: المرجع السابق، ص 86.

فيها الفقيه أو الإمام، حيث يتلقى الطلبة كافة العلوم من قواعد وآداب اللغة العربية كالنحو والصرف، الحساب والجبر، وكذا العلوم الدينية كالحديث، التفسير، الفقه... ، وعند انتهاء الطلبة من استيعاب كل ما تقدم ذكره، يُعقد لهم امتحان ليتم تقييمهم، والمتفوقون منهم يمنحون إجازات علمية، تؤهلهم لكي يواصلوا مسيرتهم العلمية، لدى بعض العلماء والمشايخ المشهورين، والمنتشرين في ربوع إقليم توات [1].

ب) النشاط التعليمي للزوايا:

لعبت الزوايا هي الأخرى دورا كبيرا في المقاومة الثقافية، وقد عرفت مناطق الجنوب الجزائري انتشارا واسعا للزوايا، كما يوضح الجدول التالي:

اسم الزاوية	المنطقة		المؤسس	سنة التأسيس
الهامل	بوسعادة		محمد أبو القاسم الحسيني	1862م
الاخضري	بسكرة	بنطيوس	عبد الرحمان الاخضري	القرن 16م
سيدي خالد	بسكرة	سيدي خالد	/	القرن 16م
العثمانية	بسكرة	طولقة	سيدي علي بن عمر	القرن 19م
الناصرية	بسكرة	خنقة سيدي ناجي	محمد بن ناصر	القرن 17م
الرحمانية	بسكرة		عبد الحفيظ بن محمد الخنقي	القرن 19م
المختارية	بسكرة	أولاد جلال	المختار بن عبد الرحمان	1812م
القادرية	بسكرة		الشريف ين إبراهيم الهاشمي	1870م
سيدي الصادق بلحاج	بسكرة	سيد المصمودي	سيدي الصادق بلحاج	القرن 19م
الشيخ مصطفى بن رمضان	بسكرة	لوطاية ببسكرة	مصطفى بن رمضان	1880م
سيدي سالم	وادي سوف		الشيخ سيدي سالم	1800م
عين ماضي	عين ماضي بالاغواط		أبو العباس احمد التيجاني	القرن 19م
التيجانية	تماسين بتقرت		/	القرن 19م
سيدي الحاج يحي	المنيعة		سيدي الحاج يحي	القرن 16م
سيدي الحاج بحوص			سيدي الحاج بحوص	القرن 16م
أولاد عمر موسى	متليلي		سيدي الزغم	القرن 16م
سيدي موسى المقبض			سيدي موسى المقبض	1900م
سيدي احمد بن موسى	بني عباس ببشار		/	القرن 17م
حوالي 20 زاوية	توات		مجموعة من شيوخ المنطقة	القرن 15م- القرن 19م

جدول الزوايا في الجنوب الجزائري منذ تأسيسها إلى غاية القرن 19م [2]

نظرا لكثرة عدد الزوايا في مناطق الجنوب سنتطرق إلى أهمها، وسنركز على جانبها التعليمي:

ب.1) زوايا منطقة بسكرة: تركز نشاط التعليم المحلي ببسكرة في الزوايا، وهذا ما يدل على كثرة

---

[1] محمد الصالح، حوتية: توات و الأزواد خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص 249.

[2] عبد العزيز، شهبي: الزوايا والصوفية و العزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2007، ص ص 32- 34.

انتشارها بالمنطقة، نذكر أبرزها:

- زاوية منطقة طولقة: تأسست هذه الزاوية أوائل القرن 19م على يد الشيخ "علي بن عمر" المتوفي سنة 1842م، وقد عايشت هذه الزاوية ظروفا صعبة صادفت تأسيسها، ونعني الاحتلال الفرنسي من جهة وحركة المقاومة من جهة أخرى، كما واجهت الزاوية امتحانا صعبا عند ثورة 1871م، وكانت عندئذ بزعامة "الشيخ علي بن عثمان"، فلم تؤيد ثورة الشيخ الشيخ حداد في دعوته للمقاومة، وظلت الزاوية في ظاهر الأمر محايدة [1].

أما في الجانب التعليمي، فقد بذلت مجهودا كبيرا في نشر التعليم العربي والعلوم الإسلامية، فاشتهرت بالخصوص في عهد شيخها "علي بن عثمان" (1842م– 1896م)، فقد كان محبا للعلم وللكتب فأسس مكتبة، وفتح أبواب الزوايا للتلاميذ من مختلف النواحي، وكان والد الشيخ الحفناوي مؤلف كتاب " تعريف الخلف برجال السلف " قد تولى التدريس بزاوية طولقة خلال ستينيات القرن 19م، وضمت هذه الزاوية مابين 40 إلى 50 تلميذا، بالإضافة إلى جمع غفير من الناس يضيق بهم جامع الزاوية، وفي القرن العشرين استقبلت الزاوية عددا من التلاميذ الذين برزوا في ميادين أخرى، فمنهم من أصبح عضوا في جمعية العلماء المسلمين بعد تأسيسها عام 1931م [2].

- زاويتي منطقة الخنقة: عرفت منطقة خنقة سيد ناجي بأولاد جلال تواجد زاويتان: الأولى تعرف بالزاوية الناصرية التابعة لعائلة "ابن حسين"، والثانية الزاوية الرحمانية التي أنشاها الشيخ "عبد الحفيظ"، وكلتاهما نشرت التعليم في المنطقة ونواحيها، ومن تلاميذ زاوية خنقة سيدي ناجي نجد "الشيخ العربي التبسي" الذي درس بها ثلاث سنوات، حفظ خلالها القرآن ومبادئ اللغة العربية.

- زاوية أولاد جلال: كانت زاوية أولاد جلال قد سارت في نفس الاتجاه أيضا على يد "الشيخ المختار بن خليفة"، وكانت قد خدمت أهل الناحية سيما أولاد نايل والصحاري بنشر التعليم والمحافظة على مبادئ الدين أثناء التواجد الاستعماري في منطقة.

ب.2) الزاوية التيجانية بتماسين: رغم أن الزاوية التيجانية بعين ماضي بالاغواط قامت على

---

[1] أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر ... ج3، المرجع السابق، ص 215.

[2] نفسه، ص ص 215- 216.

تراث الشيخ "احمد التيجاني"، إلا خلفاءه لم يتبنوا التعليم كأساس لنشر سمعتهم، بل اكتفوا بتحفيظ القران فقط لأبناء البلدة شأن أي مسجد في أية قرية [1].

فحين تبنت الزاوية التيجانية بتماسين التعليم ومارسته على خلاف التعليم بالطريقة التي سارت عليها الزوايا الأخرى، إذ أنها تبنت تعليما خاصا بأبناء الزاوية أنفسهم بدلا من التعليم الشعبي المفتوح، فاستقطبت بعض العلماء للتدريس لأبناء الزاوية فقط، حيث كانت تقوم بتحفيظ القران الكريم، وكانت تقام الدروس والحلقات العلمية في مختلف العلوم الدينية واللغوية فنجد: علم الفقه، علم التفسير، الحديث النبوي، علوم اللغة العربية، التصوف، السيرة النبوة، التاريخ [2].

ب.3) زاوية الهامل ببوسعادة: تأسست سنة 1849م على يد "الشيخ محمد بن بلقاسم"، استعان الشيخ محمد بلقاسم في التدريس بعدد من الشيوخ، من اشهرهم ابن أخيه الشيخ "محمد بن الحاج"، الشيخ "محمد بن عبد الرحمان الديسي" والشيخ "عاشور الخنقي"، أما برنامج التعليم المتبع في الزاوية فقد كان على نمط برنامج جامع الزيتونة، فهناك مراحل ومستويات تبدأ من مرحلة الابتدائي إلى مرحلة تدريس الدروس من النوع العالي [3].

تنوعت العلوم التي كانت يتم تدريسها للطلبة فنجد: علم التفسير، الحديث، الفقه المالكي، أصول الفقه، أصول الدين، علم التصوف، علم التوحيد، النحو، الصرف، البلاغة، الأدب، الحساب والتاريخ بما فيه تاريخ السيرة النبوية [4].

ت) المعاهد الإسلامية:

لم يقتصر التعليم فقط على النشء الصاعد، بل تعدى الأمر تعليم البالغين أيضا، وقد لعب شيوخ الزوايا والعلماء دورا في تأسيس معاهد لتدريس البالغين، لعل ابرز تلك المعاهد المشهورة في الجنوب، المعاهد الموجود في منطقة وادي سوف.

---

[1] أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر ... ج3، المرجع السابق، ص ص 218- 226.

[2] السعيد، عقبة: « الزاوية التيجانية بتماسين ودورها الاجتماعي بالمنطقة »، مداخلة الملتقى الوطني الثاني حول : الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12- 13ه / 18م- 19م من خلال المصادر المحلية، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بالوادي– الوادي يومي: 24-25 جانفي 2012، ص ص 149- 150.

[3] أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر ... ج3، المرجع السابق، ص ص 218- 222.

[4] عبد العزيز، شهبي: المرجع السابق، ص 85.

تعدد مهام العلماء بوادي سوف خلال مطلع القرن العشرين، لم يمنعهم من تعليم البالغين المبادئ الدينية، وأصول العلوم الشرعية واللغوية، وهذا من خلال المساجد والزوايا بالإضافة إلى بيوتهم، حيث كانت مقصدا لطلب العلم، وقد عملت بهذا الأسلوب بعض الطرق الصوفية من خلال زواياها، كالزاوية القادرية بعميش التي فتح فيها" الشيخ الهاشمي الشريف" معهدا للتعليم، وقد كانت في تلك الأثناء ثلاث حواضر علمية ضمت كل حاضرة ثلة من العلماء البارزين بالمنطقة [1]، وهي على التوالي:

ت.1) حاضرة الوادي: ابرز المدرسين الذين عملوا بها نجد: الشيخ "محمد العربي بن محمد الصالح بن موسى (1873م- 1904م) "، فقد كانت له إسهامات معتبرة في التعليم بكل من وادي سوف وتقرت.

ت.2) حاضرة قمار: تعد هذه الحاضرة من أكبر الحواضر التي حوت بين أطرافها عددا لا يستهان به العلماء والمدرسين أبرزهم: الشيخ "أحمد سالم (1842م- 1927م)" وهو الملقب بالقاية، كان له دور هام في تعليم القرآن والفقه، وقد تتلمذ على يده عدد كبير من الطلبة.

ت.3) حاضرة الزقم: ابرز المدرسين الذين عملوا بها نجد: " إبراهيم بن السلمي (توفي سنة 1914م)"، وهو شيخ ذو شهرة داخل الصحراء وبلاد التل، لكونه فطن وذو غزارة في العلم، وقد كان له دور في تعليم الناشئة بمنطقة الزقم [2].

ث) الدور التعليمي لهيئة العزابة بوادي ميزاب:

التعليم في وادي ميزاب، كان يتم عن طريق الكتاتيب أو الزوايا، وحتى المساجد، لكن ما يميزه عن مناطق الجنوب، هو انه كان يتم الإشراف عليه من طرف هيئة تسمى هيئة العُزابة.

– تعريف العُزابة: لغة: مفردها "العُزيب" هو الرجل الذي ينقطع عن أهله وماله، للقيام بالوظائف الدينية بالمسجد، وإرشاد الناس وتوجيههم، أما اصطلاحا: فهي هيئة تشرف على تسيير مجتمع وادي ميزاب بطريقة تكفل له الاستمرارية في ظل مذهبه الاباضي الإسلامي، وعاداته ونظمه،

---

[1] موسى، بن موسى: المرجع السابق، ص ص 101- 102.

[2] نفسه، ص ص 102- 103.

بحيث تُسير كل مدينة من مدن وادي ميزاب بالمجلس الديني، الذي يسمى أعضائه بالعزابة [1].

أهم الأعمال التي تكفلت بها هيئة العزابة، هي تعليم مجتمع وادي ميزاب، فبالرغم من الظروف الصعبة التي مرت بها منطقة وادي ميزاب، في ظل التواجد الاستعماري بوادي ميزاب، ومحاولته التقليص من دورها ومهامها في المجتمع، إلا أنها صمدت وواجهت هذه الوضعية من خلال محاولة الإصلاح، وذلك بتشجيع وتكثيف التعليم لجميع الفئات.

كان نظام التعليم في منطقة وادي ميزاب يمر بمرحلتين أساسيتان هما:

– المرحلة التحضيرية: تمثل المستوى الأول من التعليم وتتم في الكتاتيب، الموجودة بجانب كل مسجد بالمدينة، وهذه الكتاتيب يرأسها أحد أعضاء العزابة، الموكلة إليه مهمة التعليم فيها، وتكتظ هذه الكتاتيب بالصبيان الصغار لتحفيظهم القرآن وتعليمهم الكتابة و قواعد اللغة العربية، إلى جانب تعليمهم الصلاة [2].

– المرحلة الابتدائية: تمثل المستوى الثاني من التعليم، يؤهل فيه الطلبة بناء على مدى حفظ جميع سور القرآن الكريم واستظهاره، فيرتقون تدريجا إلى مستوى طلبة القرآن الكريم بعد إذن الشيخ إذن كما تعد هذه المرحلة تكوين علمي واجتماعي لهؤلاء الطلبة لالتحاق الأكفاء منهم بهيئة العزابة، لمساعدتها في تحمل المهام الاجتماعية والدينية، أما العلوم التي يتلقونها فهي العلوم الشرعية، من عقيدة، فقه، علم الحديث وعلم التفسير، إلى جانب قواعد اللغة العربية، ويخضع الطلبة إلى مراقبة صارمة في أخلاقهم وسلوكهم من قبل أعضاء العزابة، لينظروا مدى التزامهم بالفرائض والآداب العامة، استعدادا لتوليتهم مهام العزابة مستقبلا [3].

ساهم التعليم المحلي في الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية للمجتمع الجنوب، وتكوين نخب مثقفة ثقافة إسلامية عربية، ستكون هذه الأخيرة نواة لتأسيس التيار الإصلاحي مع مطلع عشرينيات القرن العشرين الممثل في جمعية علماء المسلمين عام 1931م.

[1] عبد العزيز، شهبي: المرجع السابق، ص ص 169- 170.
[2] عبد القادر عزام، عوادي: المرجع السابق، ص 59.
[3] نفسه، ص ص 59- 60.

2) جوانب من عادات وتقاليد مجتمع الجنوب من خلال بعض الكتابات الفرنسية:

العادات والتقاليد مجموعة من السلوكيات والطقوس التي تتوارثها الأجيال، وتؤدي دورا مهما في حياة المجتمعات، فبعضها مفيد للمجتمع مثل: التكافل في الأفراح والأحزان، وبعضها مضر مثل: الخرافات والشعوذة والعصبية القبلية، وقد ركز المستكشفون الفرنسيون على دراسة عادات وتقاليد مجتمع الجنوب الجزائري، من اجل تثبيت النظام الاستعماري بالجنوب والذي تطلب معرفة عقلية مجتمعه؛ نظرا لتشبع موضوع العادات والتقاليد مجتمع الجنوب، ارتأينا دراسة جوانب توفرت حولها المادة العلمية، المتمثلة في: طقوس الزواج ونوعية اللباس.

أ) طقوس الزواج:

الزواج شرط أساسي لتكوين الأسرة، وهو نظام من أهم النظم الاجتماعية وأعظمها شأنا في حياة الأفراد والمجتمعات، كما هو أيضا علاقة شرعية بين الرجل والمرأة، ويتم دائما وفق عادات وتقاليد يقرها المجتمع، وتنوعت طقوس الزواج في مختلف مناطق الجنوب باختلاف أصول وعادات وتقاليد كل مجتمع من مجتمعات الجنوب الجزائري؛ سنركز على دراسة نماذج من مناطق الجنوب، توفرت حولها المادة العلمية.

أ.1) الزواج بتوات حسب وصف فوانو وعبد الرحمان سلكة التواتي:

يعد الزواج في المجتمع التواتي أمرا مقدسا، وهو السبيل الوحيد لبناء الأسرة، فإن الاستعداد لهذه المرحلة يمر عبر خطوات شرعية وعرفية تضبط طريقة لإقامة رابطة بين أسرتين داخل القصر الواحد أو يتعدى الأمر إلى القصور المجاور في أغلب الأحيان[1]، وحسب قول "فوانو (Voinot) فان تكلفة مَهر الزواج عند الأغنياء تتراوح مابين 50 إلى 500 فرنك، أما الفقراء فيتراوح المهر ما بين 5 إلى 15 فرنك، وينحصر الزواج بين الفئات النبيلة فقط [2].

تتم مراسيم الزواج في جو احتفالي يتميز بإقامة الولائم وضرب الدفوف، بحيث يتم التحضير له مسبقا من طرف أهل العريسين، كان يقوم العريس ببناء البيت مما توفره البيئة المحلية من مواد

---

[1] عبد الله بابا: المرجع السابق، ص 138.

[2] A.W.O: Voinot, L: «Le Tidikelt, étude sur la géographie, l'histoire et les mœurs du pays 2emP», B.S.G.A.O , Oran, T29,1909, p439.

بناء، أما العروس فإلى جانب شرائها مستحقاتها من اللباس ومواد الزينة، تقوم أيضا بالمشاركة في تجهيز البيت بما يلزم من الأفرشة والأواني والماشية، ومختلف الأمور الضرورية الواجب توفرها في البيت، في يوم الدخلة يتم إحضار جهاز العروس الخاص بها، والمكون من: أدوات الزينة، ومواد غذائية، وأثاث للمنزل، والماشية للاستعانة بها في تلبية حاجيات الزوجين اليومية [1].

أ.2) الزواج بمنطقة تيميمون من خلال كتاب"الصحراء الكبرى لاوجين دوما":

أتيحت لاوجين دوما خلال جولاته في أقاليم الجنوب الجزائري، فرصة الإطلاع على عادات وتقاليد المجتمع الجزائري بما فيه مجتمع الجنوب، فقد كان له فرصة حضور مراسيم زواج بتيميمون، وقد أسهب في ذكر التفاصيل الخاصة بذلك الزواج، بداية بذكر مقدار المهر المدفوع لأهل العروس المتمثل في مبلغ 100 دورو، والحصول على امرأة خادمة من العبيد، يضاف إليها حلي، ألبسة، عطور، أفرشة...، أما مراسيم الزفاف فتكون بتحضير الوليمة للمدعوين، يصاحبها زغاريد النساء، وإطلاق البارود من قبل الرجال، وتُحضر العروس إلى بيت أهل العريس فوق دابة، أو في هودج يحمله العبيد [2].

أ.3) الزواج عند الطوارق حسب وصف الرحالة هنري دوفري والرحالة بيسول:

عُرف عن الطوارق، تأخر سن الزواج فيما بينهم، فنجد الفتاة تتزوج في سن العشرين، والرجل يتزوج في سن تتراوح ما بين 25 و30 سنة، نظرا لميل الشباب التارقي للحياة الماجنة حسب وصف الرحالة هنري دوفري[3]، يقترن الرجل التارقي بامرأة واحدة ذات نسب رفيع، ويتجنب التعدد لأنه لا يستطيع إعالة عائلتين فأكثر [4]، وكذا تطبيقا للعرف السائد بينهم، خصوصا وان المجتمع التارقي مجتمع أمومي، يحترم ويرفع المرأة إلى منزلة عالية[5]، والدليل على ذلك أن المرأة هي التي تختار شريك حياتها دون معارضة والدها، حتى وان كان الشريك لا يشرف عائلتها.

---

(1)Abderrahmane, Selka: Op.cit. pp 551- 552.

(2)Dumas Melchior, Joseph Eugène: Le Grand Désert, ou Itinéraire d'une caravane du Sahara au pays des Nègres (royaume d'Haoussa), Imprimerie et Librairie Centrales de Napoléon Chaix et Cie, Paris, 1848, pp 72- 88.

(3) A.W.C : Henri, Duveyrier: Les Touaregs..,Op.cit. p 429.

(4)A.W.C : Henri, Bissuel: Les Touareg… Op.cit, p 106.

(5) A.W.C : Henri, Duveyrier: Les Touaregs..,Op.cit. p 414.

ويتم الزواج عند الطوارق بالطريقة التي يتبعها كافة المسلمين، ويحافظ المجتمع التارقي على الزواج من الفئة نفسها، ويتجنون الاختلاط مع باقي الفئات كفئة العبيد، إلا في حالات نادرة نجد الزواج المختلط نظرا لانعدام الإمكانيات وغلاء المهور[1]؛ تحدد المهور حسب إمكانية العائلة وحسب الفئة، فعلى سبيل المثال لا الحصر: حسب وصف الرحالة بيسول، المرأة من فئة النبلاء مهرها سبعة من النوق، إضافة إلى كميات من الذهب والحلي والقماش [2]، وفي حالة غلاء المهور يلجا الرجل الفقير إلى الزواج بامرأة من فئة الأتباع، فمهر هذه الأخيرة عبارة عن ماعز وأفرشة فقط.

بعد أن يختم حفل الزفاف يجتمع الزوجان في خيمتهما المنصوب أمام وسط أهل زوجته، ولا يقرب الرجل التارقي زوجته لمدة ثلاث ليالي وفق طقوسهم، فالليلة الأولى يَعتبرها أخته، وفي الليلة الثانية يُعدها أمه، وفي الليلة الثالثة يعتبرها حماته، حتى حلول الليلة الرابعة لتصبح زوجته رسميا [3].

كما تجدر الإشارة أن السلطة الاستعمارية تدخلت في تحديد سن الزواج لدى مجتمع الجنوب، وحددته بالنسبة للفتاة بسن 18 سنة، وكان الزواج لا يتم تحت هذا السن إلا بموافقة الطبيب [4].

ب) نوعية اللباس:

اللباس مظهر من المظاهر الثقافية، التي كثيرا ما يعتمد عليها علماء الأنثروبولوجيا، للحكم على الخلفيات الفكرية والعقائدية للمجتمعات، ومجتمع الجنوب هو الأخر عرف تنوعا كبيرا من حيث نوعية وطريق ارتداء اللباس، نظرا لاختلاف الأعراق المكونة للمجتمع، والظروف المناخية التي تختلف من منطقة إلى أخرى؛ ركزنا على دراسة نماذج من مناطق الجنوب، التي توفرت حولها المادة العلمية.

---

(1) أمال، هاشمي: المرجع السابق، ص 63.

(2)A.W.C : Henri, Bissuel: Les Touaregs..,Op.cit. p 106.

(3) أمال، هاشمي: المرجع السابق، صص 63، 65.

(4) عبد الله، بابا: المرجع السابق، ص 141.

ب.1) اللباس التواتي حسب وصف فوانو:

اللباس التواتي مزيج من لباس بلاد السودان واللباس العربي، بحيث يرتدي الرجل التواتي سروال عريضا وعباءات كثيرة، يرتديها فوق بعضها البعض كالتالي: عباءة من القماش الأزرق تلبس على الجلد ويلبس فوقها عباءة بيضاء وأخرى زرقاء، وعباءة سودانية زرقاء مطرزة بألوان زاهية وأخيرا يلبس البرنوس، هذا بالنسبة للأغنياء، أما الفقراء فلباسهم السروال وعباءة من القماش الأزرق ويلفون رؤوسهم بقطعة من القماش الملونة تسمى العمامة، أما النساء التواتيات فلباسهن عبارة عن قماش بسيط يسمى الحولي، يلف حول الجسم وتربط في زاوية من زوايا الحولي المفاتيح وترمى من الخلف وتبقى معلقة ماسكة بالحولي من الخلف، ويمسك الحولي أيضا بماسك ذو أسنان حادة تسمى الخلالة، ويلف طرف من الحولي حول الرأس أو يمسك باليد من الأمام [1].

ب.2) اللباس التارقي حسب وصف الرحالة هنري دوفري:

الطوارق يتميزون بلباسهم الفضفاض الذي غالبا ما يكون لونه أزرق، فحسب وصف الرحالة هنري دوفري فان غالبية الطوارق يرتدون قميصا طويلا أبيض يسمي "تيكاميست"، وسروالا عريضا أزرق يسمى "كرتبه"، وثوبا طويلا ازرق اللون يكون بمثابة المعطف، يسمى "تيكاميست كوري"، والشيء المميز المتميزة لدى الطوارق والذي أشار إليه الرحالة هو اللثام، و يطلقون عليه اسم" تيقلموست" بلهجتهم، وهو عبارة عن قطعة قماش طويلة ملونة ومطرزة من جهة، توضع بحيث لا يمكن رؤية إلا العيون، واللثام عادة لا يضعه إلا الرجال الأغنياء النبلاء فهو مقدس عندهم على عكس العبيد الذين لا يغطون الوجه كاملا.

لا يسمح التارقي لأي أحد أن يرى وجهه حتى أهله وأقرب أصدقاءه، و يظل اللثام على وجهه طول النهار و بالليل كذلك، وحتى وهو نائم، وأثناء الطعام يكشف المُلثم عن فمه لتناول الأكل، ومنهم من يرفع اللثام ويضع الطعام ثم يمضغ، و ربما أخذوا جانبا بعيدا عن الناس ليتناولوا طعامهم حتى لا يراهم أحد، واللثام أو ما يسمى بالتِيقْلموست يغطي الرأس، الجبهة، الرقبة، العنق

---

[1] A.W.O: Voinot, L: Op.cit. pp 434- 441.

وجزء من الوجه [1]، بالنسبة للباس المرأة التارقية فيتميز عموما بالبساطة؛ فهو يتكون من عباءتين إلى ثلاث عباءات قطنية تلبس فوق بعضها البعض، تحزم العباءات بحزام عند الخصر، وتضع المرأة فوق رأسها وشاحا ثم تضيف فوق الوشاح قطعة قماش طويلة تسمى الحايك [2].

3) نماذج من أعلام الجنوب ومؤلفاتهم:

أ) الشيخ محمد بن يوسف أطفيش 1820م- 1914م بالجنوب أنموذجا:

عرفت منطقة ميزاب بالجنوب الجزائري، تطورات وتحولات عميقة في تاريخها الحديث، كانت سببا في إخراجها من عزلتها بدءا بقدوم العثمانيين وحكمهم للجزائر، ووصولا إلى الاحتلال الفرنسي لهذه المنطقة سنة 1882م، والذي تزامن مع بروز الشيخ أطفيش، الذي حمل على عاتقه مهمّة إصلاح المجتمع الميزابي، وإخراجه من مستنقع الجهل والتخلف؛ سنركز على دراسة جانب واحد من نشاطه الوطني، وهو موقفه من الوجود الاستعماري وسياسياته في وادي ميزاب [3].

أ.1) سيرته العلمية 1820م- 1914م:

هو محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن إسماعيل أطفيش، وينتهي نسبه إلى عمر بن حفص جد العائلة الحفصية الحاكمة – سابقاً – في تونس، كنيته القطب، ولد عام1820م في بني يزقن بوادي ميزاب، أدخلته أمه المسجد ليحفظ القرآن ولم تمر ثلاث سنوات حتى أتم حفظ القرآن الكريم، ولما بلغ العشرين من عمره اشتهر في وادي ميزاب، حيث عكف على التدريس والوعظ والتصنيف حتى وافته المنية سنة 1914م من تلاميذه: بابكر بن الحاج مسعود، صالح بن عمر، صالح بن يحي بن الحاج سليمان، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد أطفيش وأبو اليقظان [4]، قام بتأليف أكثر من ثلاثمائة كتاب، تنوعت بين كتب التفسير، الفقه وأصوله، التوحيد وعلم الكلام، الفلسفة، التاريخ، السير، الفلك، الحساب والأدب، أبرز تلك الكتب نجد:

---

[1] A.W.C : Henri, Duveyrier: Les Touaregs..,Op.cit. p 406.
[2] Ibid. pp 391- 392.
[3] بالحاج، أوزايد: « جهود الشيخ أطفيش الإصلاحية ومواقفه الوطنية »، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، جامعة غرداية، ع12، 2011، ص 191.
[4] نويهض، عادل : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والنشر، بيروت، 1980، ص ص 19- 20.

كتاب" ترتيب الترتيب"، في الأحاديث النبوية، كتاب" داعي العمل ليوم الأمل"، في أربعة أجزاء، فسّر فيه القرآن وكتاب الرسالة الشافية، في تاريخ ميزاب وانساب قبائله [1].

أ.2) موقفه من الوجود العسكري الاستعماري بوادي ميزاب 1853م– 1882م:

– موقفه من معاهدة الحماية سنة 1853م:

تولى الشيخ أطفيش زعامة المعارضين للمعاهدة، وأعلن البراءة ممن يسعى أو يُحبّذ التحالف مع فرنسا عدوّة الإسلام، فكان يقول: "...إنني أرضَى أن نُشيع ثمانين جنازة في اليوم في بني يزقن، ولا أرضَ بحال أن يطرق سمعي أن فرنسا وضعت حجرا واحدا في تِيضَفت (موقع بمدينة غرداية)..." ، وعلى اثر ذلك سانده بعض السكان ببعض بمواقفهم حيث رفض جميع المزابيين وظيفة القياد، ورفضوا إرسال أبنائهم للتعلم في المدارس التي افتتحها الفرنسيون [2].

– مساندة الشيخ أطفيش للثورات الشعبية رغم المعاهدة الحماية:

وقف الشيخ أطفيش بالمرصاد أمام أهداف الإدارة الاستعمارية ومخططتها تجاه وادي ميزاب، فاتخذ المعاهدة ستارا لمساندة الثورات التي كانت تندلع هنا وهناك، مثل ثورة المقراني والشيخ الحداد عامي 1871م– 1872م، وثورتي أولاد سيدي الشيخ عام 1864م، وغيرها من الانتفاضات، فكان المزابيون يمدون الثوار بما يحتاجونه من المؤونة والعتاد والأسلحة المصنوعة محليا، والمستوردة من الأسواق الحرة خاصة من طرابلس الغرب ، فانتعشت الثورات الشعبية في الجنوب، وأصبح وادي ميزاب همزة وصل بين الثوار وقبائل الجنوب فهذه المعاهدة لم تعزل المجتمع الميزابي عن إخوانهم الجزائريين، ولم تحل بينهم وبين أداء واجبهم تجاه وطنهم، حتى أن هذا الوضع كان من جملة الأسباب التي تذرعت بها فرنسا لإلحاق المنطقة بالسلطة الاستعمارية في الجزائر سنة 1882م [3].

عندما زار الجنرال بايو (Payot) منطقة وادي ميزاب، طلب ملاقاة أعيان المنطقة بما فيه الشيخ أطفيش، لبّى الأعيان طلبه لكن هذا الأخير رفض، فقال الجنرال: "... بأن فرنسا تفتخر

---

[1] نويهض، عادل :المرجع السابق، ص ص 20- 21.

[2] بالحاج، أوزايد: المرجع السابق، ص 196.

[3] نفسه، ص 197.

بوجود عالم جليل مثله في إمبراطوريتها... "، ولما ألحوا عليه قَبل ورَد على قول الجنرال بقوله: " اللهم اِجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا" ومن مواقفه أيضا أنه كان يُلصق الطوابع البريدية التي تحمل صور المستعمرين مقلوبة، اِستهزاء ونكاية بهم، ومن أمثلة اِعتداده بدينه ووطنه أنه زاره بعض القساوسة وكبار الولاة من المستوطنين، فوقفوا معه في مستوى واحد من الأرض لكنه أبى ذلك وصعد إلى درجة أعلى منهم، ولما اِستفسر أحدهم عن ذلك، رد عليه قائلا: "الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه" (1).

– موقفه من إلحاق وادي ميزاب سنة 1882م:

عاصر الشيخ أطفيش الحملة العسكرية الفرنسية على وادي ميزاب التي أُعدت بأمر من الجنرال لاتور دوفيرني (la tour Dauvergne) قائد وحدة العسكرية بالمدية، ولما سمع بوصولها إلى مدينة بريان، نصب خيامه في الدّبداية وأعلن الجهاد، وحاول بمساعدة صديقه "الشيخ عمر بن سليمان نوح "تكوين جيش من الشباب لمحاربة قوات الحملة، لكنه لم يجد اِستجابة كبيرة من جانب السكان، بسبب معارضة أعيان البلد لموقفه، فعدل أسلوبه واكتف بأسلوب الاحتجاج لدى قائد الحملة الجنرال مرغريت (Marguarite)، مما ثار مخاوف القائد الفرنسي من أن يُثير عليه سكان ميزاب، فقام بتطويقه واعتقاله مع بعض أنصاره أياما حتى اِحتل غرداية (2)، ففي رسالة إلى الحاكم العام راندون (Randon) يُصرّح الجنرال مارغريت(Marguarite) عند احتلاله غرداية سنة 1882م، بما يلي:" ...أن الطلبة والعزابة كانوا دائما من أكبر، وأشد أعداء الاحتلال، وعلى رأسهم زعيمهم الشيخ أطفيش، الذي أعلن الجهاد ضدنا فسجنته ليعلم مواطنيه أنه لا يستطيع أن يصنع المعجزات أمام قواتنا..." (3).

أ.3) احتجاجاته على السياسة الاستعمارية في وادي ميزاب 1882م- 1914م:

بعد احتلال وادي ميزاب سنة 1882م اتبع الشيخ أطفيش أساليب متعدد لمواجهة السياسة

---

(1) بالحاج، أوزايد: المرجع السابق، ص ص 196- 197.

(2) مصطفى بن ناصر، وينتن: « موقف الشيخ أمحمد بن يوسف، أطفيش من الاستعمار »، مجلة الحياة ، معهد الحياة بالقرارة – غرداية، ع 2، جانفي 1999، ص 24.

(3) نفسه، ص 25.

الاستعمارية في وادي ميزاب:

بحيث حوّل الشيخ بيته إلى معهد لتكوين وتربية طلابه على أفكاره، فنفخ فيهم روح كراهية المستعمر الكافر، ومحاربته بشتى الوسائل الممكنة، فبرز منهم علماء أقطاب قارعوا الاستعمار أينما وجد سواء في ميزاب أو في الجزائر وحتى في مختلف أقطار العالم الإسلامي، وكذا إفتاؤه بحرمة الهجرة من الجزائر هروبا من الاستعمار، حيث رأى أن هذه الهجرة إخلاء للجو للمستعمر وتمكين له في الأرض [1].

اِمتاز باستعماله لمصطلحات شديدة النبرة في مراسلاته للمسئولين الفرنسيين، محتجا على قضية من القضايا أو مطالبا بحق من الحقوق، أو ساخرا منهم في موقف من المواقف، ومن الأمثلة على ذلك على سبيل الذكر لا الحصر:

– أرسل رسالة إلى البرلمان الفرنسي عندما أراد القوات الفرنسية احتلال ميزاب، مهددا إياهم بالجهاد.

–بعث برسائل أخرى احتجاجية للحكومة الاستعمارية على نقض فرنسا لمعاهدة الحماية مع المزابيين، منها رسالة بتاريخ 20 جانفي 1888م إلى الحاكم العام في الجزائر "لويس تيرمان" يعترض فيها على إلحاق وادي ميزاب بالدولة الفرنسية.

–رسالة اعتراض شديدة اللهجة إلى الحاكم العام بالجزائر، عندما أرادت السلطة الفرنسية هدم الجامع الكبير بالعاصمة، يحذره فيها من الاقتراب من بيوت الله، ويتوعّده بالانتقام لله تعالى [2].

–وجه عريضة احتجاج إلى الحاكم العام جول كامبون(Jules Kambon)، يعارض فيها مشروع القانون الرامي إلى تعديل القانون الخاص بالميراث، كما عارض قانون الملكية العقارية.

–رسالة اِحتجاج إلى الحكومة الفرنسية بباريس، ذكر فيها ظلم الحكام لأبناء الشعب الجزائري، ومنعهم من الذهاب إلى الحج، والسفر إلى الخارج.

أثمرت مجهودات الشيخ أطفيش بقيام معارضة سياسية واسعة داخل المجتمع الميزابي لكل ما له

---

[1] مصطفى بن ناصر، وينتن: المرجع السابق، ص 25.

[2] نفسه، ص 25.

صلة بالاستعمار، وقد تمثلت تلك المعارضة في: مقاطعة المدارس الرسمية الفرنسية فقد ظل بنو ميزاب يقاطعون التعليم الفرنسي، ويعتبرون أن المدارس الفرنسية أنشئت قصد نشر الكفر ومحاربة الإسلام [1].

أ.4) موقفه من النشاط التنصيري بوادي ميزاب:

عرفت منطقة وادي ميزاب شأنها شأن مناطق الجنوب نشاطا تنصيريا ممنهجا، تحت إشراف رهبان وقسيسي جمعية الآباء البيض، وبدعم من السلطة الاستعمارية، إلا أن ذلك النشاط جوبه بمقاومة تلقائية من طرف مجتمع وادي ميزاب، والفضل كله يرجع لجهود نظام العزابة، المتمثل في نشاطها التعليمي الموجه لتعليم الصغار والكبار، ونشاطها التوعوي في المناسبات والتجمعات الدينية وحتى في خطب يوم الجمعة، كل ذلك كان له نتائج ايجابية تمثلت في عدم قدرة المنصرين الاحتكاك بالمجتمع وتأثيره فيه، حيث قال أحد المنصرين "... في المناسبات الدينية والتجمعات الدينية والخطب الخاصة كل شيء موجه ضد المرابط الرومي، الذي يرونه مفسدا للبلد..." [2].

فحين لعب الشيخ أطفيش هو الأخر دورا هاما في مواجهة النشاط التنصيري عن طريق التأليف والرد على شبهات المبشرين الموجهة لتشويه صورة الإسلام ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ففي كتابه "الرسالة الشافية"، وبالخصوص في الفصل الأول من الكتاب برهن على صدق رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، من خلال استخراج آيات من التوراة والإنجيل تثبت ذلك[3]، كما ألف في نفس السياق كتابين آخرين هما : كتاب "رد الشرود إلى حوض المورود" وكتاب "قذى العين على أهل القيْن"، يتناول فيهما ضلالة عقيدة النصارى المحرفة من خلال أسفار كتبهم وتناقضاتها، وكان الغرض من تأليفهما هو الخوف من أن يَضل ضِعاف الإيمان وينساقوا وراء أكاذيب المُنصرين[4].

---

[1] بالحاج، أوزايد : المرجع السابق، ص ص 199- 200.

[2] الحاج أمحمد، الحاج إبراهيم: المؤسسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية في نهاية ق19م، مزاب والأهقار نموذجا،، تحت إشراف أ. د/ فاطمة الزهراء، قشي، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 2، السنة الجامعية، 2011-2012، ص 114.

[3] محمد بن يوسف، أطفيش: الرسالة الشافية في بعض تواريخ وادي ميزاب، مخطوط بصيغة PDF، د.د. ن، الجزائر، 1880، ص ص 1- 18.

[4] الحاج أمحمد، الحاج إبراهيم: المرجع السابق، ص ص 118- 122.

ب) دراسة نماذج لمؤلفات مؤرخي مناطق الجنوب الجزائري:

خلال مختلف مراحل تاريخ الجزائر كانت هناك حركة تدوين واسعة لكتابة التاريخ المحلي، فظهر مؤرخون تعددت توجهاتهم بتعدد ثقافاتهم، وفي الفترة الاستعمارية من تاريخ الجزائر كان للتاريخ مكانة متميزة باعتباره يعبر عن ثقافة ذلك العصر، ويعد حماية للهوية الوطنية التي ترفض الانسلاخ عن ماضيها والاندماج في المجتمع الفرنسي، وقد عكف بعض الجزائريين خلال هذه الحقبة الحرجة من تاريخ الجزائر على تدوين تاريخ بلادهم لأسباب شتى، فظهرت كتابات كثيرة في هذا المجال، وان كانت تتفاوت في الأهمية التاريخية والقيمة العلمية، ولكنها كتابات عبرت عن تصورات كتابها وأرائهم، وهي مصادر محلية لا يمكن الاستغناء عنها. فحركة التأليف في المناطق التل كانت متزامنة مع حركة تأليف في مختلف مناطق الجنوب، **(ينظر الملحق رقم 12).**

سنقصر على دراسة ثلاث نماذج من مؤلفات أبرز مؤرخي الجنوب الجزائري وهي النحو التالي:

ب.1) كتاب "الرسالة الشافية في بعض تواريخ وادي ميزاب" للشيخ محمد بن يوسف أطفيش:

مُؤلف كتاب "الرسالة الشافية" هو الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، وهو عبارة عن خلاصة لتاريخ بني ميزاب تتضمن أنسابهم وأصولهم وعقائدهم وتواريخهم ورجالهم، وقد ألفه بناء على طلب المستشرق الفرنسي "ايميل ماسكري (Émile Masqueray)" الذي كانمهتما بمدن ميزاب ولهجتها وتاريخها،فخلال تحريره للكتاب، لم يدون إلا ما رآه نافعا غير ضار بالمسلمين، سيما انه يعرف أن الفرنسيين قد يتخذون من عمله ذريعة للإساءة إلى بني جلدته، وقد طبع هذا الكتاب مرتين الأولى: سنة 1880م، والثانية: سنة 1908م بالجزائر،عُد هذا الكتاب أول عمل يطبع حول تاريخ بني ميزاب، لأن المصادر السابقة كانت تدمجهم ضمن الحديث عن الإباضية، لكن تكوين الشيخ أطفيش الفقهي طغى على شخصيته كمؤرخ، فلم يكتب تاريخا وإنما كتب أخبارا عامة ومعلومات لا تؤرخ فعلا لإنشاء المدن الميزابية[1]، ولا تذكر أصول المؤسسات الاجتماعية والدينية، ولا النظم السياسية، وطريقة توارث الأئمة، ذلك أن أطفيش قدم فيها معلومات عن العلاقات القديمة بين وادي ميزاب ومدينتي البصرة وتيهرت، وذكر فيه أصول قبائل بني ميزاب، وقائمة هامة بعلماء

---

[1] أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر ... ج7، المرجع السابق، ص 389.

المذهب الاباضي إلى حدود القرن العاشر الهجري، كما ذكر الأسانيد الفقهية، ودافع عن الفرقة الإباضية، ورفض العبارة الشائعة القائلة أنهم خوارج، ضم الكتاب خمسة عشر فصلا تمحورت حول:

مضمون الكتاب			
رقم الفصل	مضمونه	رقم الفصل	مضمونه
01	البعثة النبوية	04	جمع أحاديث قيلت في البربر
02	أسلاف بني ميزاب في المدن السبع	05	التطرق إلى الأصل اللغوي لكلمة ميزاب
03	قضايا فقهية في المذهب الإباضي	06	انتشار الاباضية في المغرب الإسلامي
07	ذكر نسبه المنتمي إلى العائلة الحفصية	11	التطرق إلى مواضيع دينية
08	الدفاع عن الدين الإسلامي ضد التبشير	12	الدفاع عن الفرقة الاباضية
09	نبوءات أهل الكتاب حول البعثة النبوية	13	أئمة المذهب الاباضي
10	شرعية الأعراف الميزابية الغير مناقض للإسلام	14و15	تراجم وروايات المتناقلة حول بعض علماء الاباضية

جدول يبين المحتوى الوارد في كتاب الرسالة الشافية للشيخ محمد بن يوسف أطفيش [1]

ب.2) كتاب "الصروف في تاريخ الصحراء وسوف" لإبراهيم محمد الساسي العوامر:

إبراهيم محمد الساسي العوامرهو أحد قضاة وادي سوف، قام بتأليف كتابه سنة 1913م، والذي حملالعنوان: "الصروف في تاريخ سوف"، وقد قام بتأليفه بطلب من أحد الفرنسيين أيضا، ولم يذكر العوامر اسم الشخص الذي طلب منه ذلك، ولكنه عبر عنه في كتابه بعبارة : "ولاة الأمور"، وهي إشارة إلى قائد المكتب العربي التي كان على رأسهآنذاك الضابط" كوفيه"، وقد ألف أيضا نسخة أخرى منقحة سنة 1916م، وهي تكاد تكون كالأولى، غير أن التنقيحات التي أضيفت جعلت الكتاب يشمل الحديث عن نواحي أخرى من المناطق الصحراوية المجاورة لوادي سوف، ليصبح عنوان الكتاب: "الصروف في تاريخ الصحراء وسوف"[2].

نظام الكتاب يشبه نظام المذكرات، فهو بدون فصول ولا أبواب، وإنما يشمل الأحداث والعناوين المستقلة، وكلما انتهى من تغطية الحدث أو الموضوع انقل إلى آخر، فهو عبارة عن مسائل وحوادث متفرقة وليس تاريخا مترابطا، وقد اعترف المؤلف نفسه بذلك،حينما كتب وبعد: " فهذه نبذة لطيفة ومسائل شريفة، في بيان أحوال الصحراء وسوف، وما اشتملت عليه من الحوادث

[1] محمد بن يوسف، أطفيش: المصدر السابق، ص ص 1- 133.

[2] أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر... ج7، المرجع السابق، ص ص 389.

والصروف..." [1].

يتمحور الكتاب حول النُبذ التاريخية والأنساب، بحيث تطرق إلى الحديث عن جغرافية المناطق الصحراوية كوادي سوف، الأغواط، بسكرة، غرداية، تقرت وورقلة، وذكر الأمم والشعوب القديمة التي استوطنت بلاد المغرب كالكنعانيين، الرومان، الوندال والروم (البيزنطيين)، ثم الفتح الإسلامي و استقرار الفاتحين، وكذا هجرة بني هلال وبني سليم للمغرب- سيما هجرة قبيلة طرود وعدوان- والوقائع التي جرت في عهدهم سواء مع قبائل زناتة البربرية و بايات تونس، وعلاقاتهم مع النواحي المجاورة لهم، كإقليم الزيبان، ثم انتقل إلى الحديث عن أحداث جرت في النصف الأول من القرن التاسع عشر كالمناوشات والغارات بين القبائل المحلية من اجل تأمين الحدود، وكذا العلاقات مع الفرنسيين منذ احتلالهم وادي سوف سنة 1854م، ومقاومة بوشوشة سنة 1874م [2].

اعتمد إبراهيم العوامر في تأليفه لكتابه على مصادر عديدة، بلغت حوالي العشرين، منها: كتاب العبر لابن خلدون، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس لابن أبي دينار، عجائب المخلوقات للقزويني، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية للزركشي وتاريخ العدواني الذي اعتمد عليه كثيرا[3].

ب.3) كتاب تاريخ توات لعبد الرحمن سلكة:

عبد الرحمن سلكة، هو من أولئك الجزائريين الذين تعلموا في إحدى المدارس الفرنسية الرسمية، ووجدوا عملا لهم كأعوان لضباط المكاتب العربية بمنطقة توات، حيث شغل منصب كاتب في مركز توات سنة 1913م، ومهما كان أمره فقد اهتم بتاريخ منطقة توات وجمع معلومات عنها ونشرها في كتاب بعنوان " تاريخ توات" سنة 1922م، أما منهج تأليف الكتاب فيوحي بأن الفرنسيين كانوا وراء إعداده، لأنهم يتبعون منهجا واحدا في كتاباتهم تبتدئ بالتعريف بأصول السكان، طبقاتهم، صناعاتهم، تجارتهم، نظام الزراعة عندهم، أخبار علمائهم، وقصورهم

---

(1) إبراهيم محمد الساسي، العوامر: المصدر السابق.

(2) نفسه، ص ص 419- 421.

(3) فارس، كعوان: المرجع السابق، ص 331.

(قراهم)[1].

تطرق في كتابه إلى التركيبة سكان واحة توات، حيث قال إنهم ينقسمون حسب الأصول والطبقات،فالنسبة للأصول نجد: البيض والسود، أما بالنسبة للطبقات فنجد: الأسياد والعبيد (فئة الحراطين والزنوج)، وقدم إحصاء لعدد سكان توات سنة 1909م، ثم انتقل للحديث عن الصراع بين قبائل توات على الأراضي، وذكر اللغات السائدة في القصور التواتية: كالعربية، الزناتية ولغة زنوج السودانية، كما تطرق إلى تاريخ نشأة القصور بتوات والتقسيم الإداري لإقليم توات، حيث ذكر انه يتكون من تسع مقاطعات [2]، كما تطرق إلى الزوايا وشيوخها، وفي قسم أخر من دراسته تحدث عن التجارة– وعلى رأسها تجارة العبيد–،الصناعة، الفلاحة، الرعي،وانتقل للكلام عن العادات والتقاليد بإقليم توات، فذكر طريقة الاحتفال بالمولود الجديد، عادات الزواج،الحداد على الميت،الضيافة، الإيمان بالخرافات لدى بعض الناس، وختم كتابه بنتيجة انه هدفه من الكتابة معرفة ذهنية التواتيين، ومساعدة وتشجيع فئة الحراطين بإقليم توات على نيل حريتهم، وأشار في ختام كتابه أن هذه الدراسة أعدت في 27 ديسمبر 1913م بمركز توات[3].

---

[1] أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر ... ج7، المرجع السابق، ص ص 394- 395.

[2] Abderrahmane, Selka: Op.cit. pp 522- 529.

[3] Ibid. pp 530-555.

4) دراسة إحصائية لمريدي الطرق الصوفية بالجنوب:

ارتبط الوضع الثقافي في الجنوب الجزائري طيلة القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بنشاط الطرق الصوفية التي كان لها تأثير مباشر في توجهات أفراد مجتمع الجنوب الروحية ومواقفهم السياسية؛ فقد عملت تلك الطرق على تعميق روح التدين لدى مجتمع الجنوب، عن طريق الحث على المواظبة على العبادات،تلاوة القرآن الأذكار النبوية وحضور حلقات الذكر، وقد كثرت الطرق الصوفية بالجنوب وقوي نفوذها الديني، وتأثيرها الثقافي والاجتماعي والسياسي على مجتمعه، وما يميزها تَعدد طُرقها وكثرة شيوخها وزواياها، ومن اشهر الطرق الصوفية بالجنوب نجد: الطريقة الشاذلية بفروعها البالغة حوالي عشرين فرعا[1]، والطريقة القادرية والطريقة التيجانية **(ينظر الملحق رقم 13)**؛ فموضع الطرق الصوفية بالجنوب موضع قائم بحد ذاته لذا ركزنا على الدراسة الاحصائية؛ المخططات البيانية التالية توضح تعداد مريدي الطرق الصوفية بالجنوب:

أ) الطريقة الشاذلية:

الطريقة الشاذلية
المشرية: 443
عين الصفراء: 676
جيريفيل (البيض): 416
اقلو: 12
الجلفة: 30
الاغواط: 876
غرداية: 1416
بوسعادة: 168
ورقلة: 5
بسكرة: 125
طولقة: 40
عدد مريديها

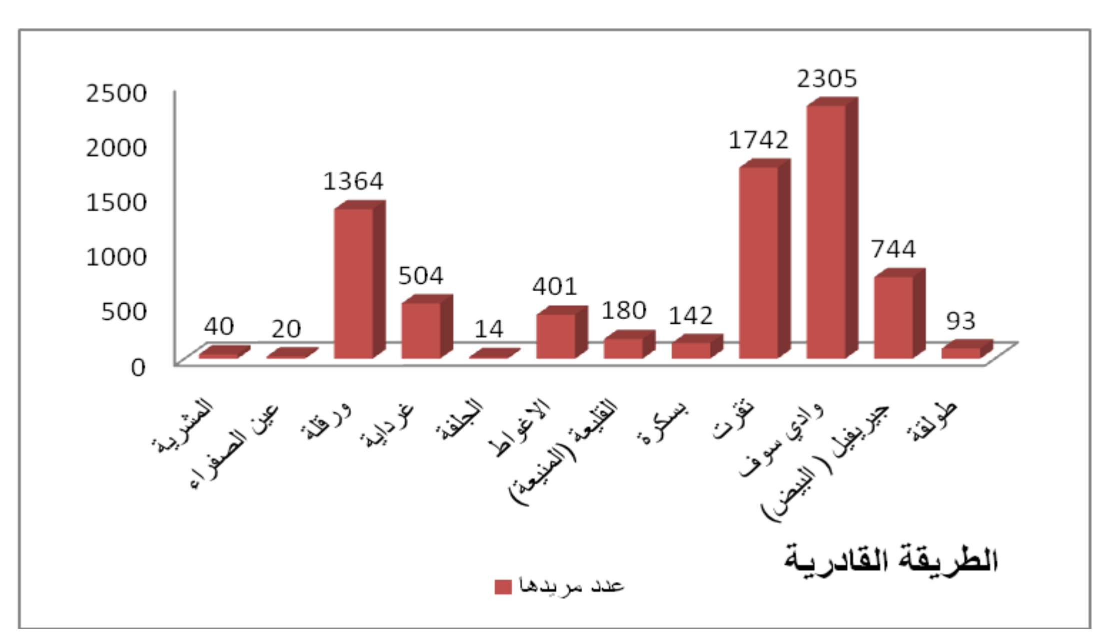
مخطط بياني لتعداد مريدي الطريقة الشاذلية بجميع فروعها بالجنوب خلال القرن 19م[2]

---

[1] أبو القاسم، سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي1830م- 1954م، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998،ص 77.

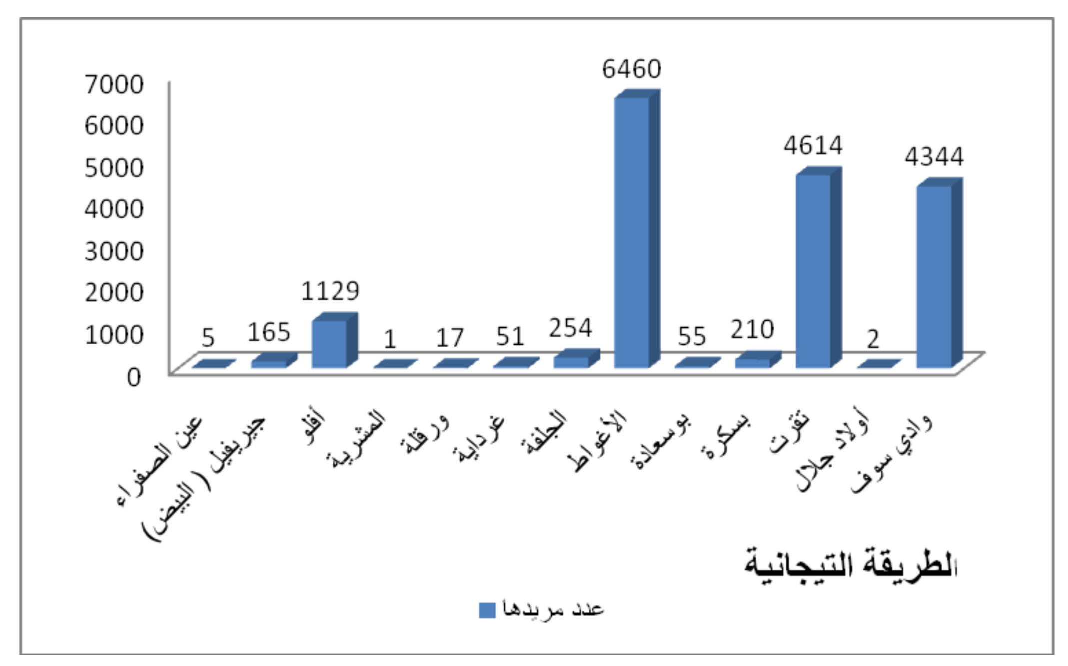
[2] Louis, Rinn: Marabouts et Khouans, étude sur l'Islam en Algérie, Alger Adolphe Jourdain,Libraire Editeur, Alger, 1884, pp 211- 342, Voir aussi:Octave Depont, Xavier Coppolani: Les Confréries religieuses Musulmanes Adolphe Jourdain, Alger, 1897,pp 454-519.

ب) الطريقة القادرية:



مخطط بياني لتعداد مريدي الطريقة القادرية بالجنوب الجزائري خلال القرن 19م[1]

ت) الطريقة التيجانية:



مخطط بياني لتعداد مريدي الطريقة التيجانية بالجنوب الجزائري خلال القرن 19م[2]

من خلال المخططات البيانية الثلاث، نلاحظ أن الطريقة الشاذلية عرفت انتشارا واسعا في جميع مناطق الجنوب عكس الطريقة القادريةوالطريقة التيجانية حديثة العهد، حيث تعود البدايات

---

[1] Octave Depont, Xavier Coppolani: Op.cit. pp 313- 315.

[2] Louis Rinn: Op.cit. p 416, Voir aussi:Octave Depont, Xavier Coppolani: Op.cit. pp 437- 438.

الأولى لظهور الطريقة الشاذلية وانتشارها في بلاد المغرب الإسلامي إلى القرن 12م، على يد شعيب ابن الحسين الأندلسي المعروف "بأبي مدين" دفين تلمسان سنة 1197م، الذي تأثر بالفكر التصوفي للشيخ عبد القادر الجيلاني، وأبي القاسم الجنيد[1]، وقد تتلمذ علي يديه مجموعة من التلاميذ من أشهرهم ابن مشيش، وهذه الأخير تَتلمذ على يديه الشيخ أبي الحسن الشاذلي، الذي تنسب إليه الطريقة الشاذلية[2]، كما نلاحظ أيضا أن عدد مريدي الطريقة التيجانية بلغ 17307 مُريد، وهذا راجع إلى أن شيوخ الطريقة التيجانية كانوا موالين للسلطة الاستعمارية، لذلك لم يجد شيوخها صعوبة في نشر طريقتهم في مختلف مناطق الجنوب[3]، فحين نجد أن عدد مريدي الطريقة القادرية بلغ 7549 مريد، وعدد مريدي الطريقة الشاذلية بلغ 4207 مريد، وهذا العدد منخفض جدا مقارنة بعدد مريدي الطريقة التيجانية، نظرا لان كلتا الطريقتين حملتا لواء المقاومة الشعبية ضد التوسع الفرنسي في الجنوب، قبل أن تحتويهما السلطة الاستعمارية ضمن سياساتها، وتُسخرهما لخدمة أغراضهما الممتثلة في ترسيخ الوجود الاستعماري بالجنوب بإخضاع مجتمعه.

---

(1) Octave Depont, Xavier Coppolani: Op.cit. pp 443- 446.

(2) Ibid. pp 447.

(3) لمزيد من التفاصيل حول علاقة التيجانيين بالسلطة الاستعمارية، ينظر: بن يوسف، تلمساني: الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم بالجزائر (الحكم العثماني، الأمير عبد القادر، الإدارة الاستعمارية) 1782م- 1900م، تحت إشراف د/ ناصر سعيدوني، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 1997- 1998، ص ص 197- 240.

خاتمة

بعد العرض والتحليل توصلنا إلى أهم النتائج، والتي نلخصها في النقاط التالية:

1) استطاعت الرحلات والبعثات الاستكشافية الفرنسية جمع كم هائل من المعلومات حول مجتمع الجنوب الجزائري ودراسته من كل الجوانب، ساعد ذلك في التحضير لتنفيذ المشروع الاستعماري بالجنوب، وكان دور المبشرين في هذا قويا- كشارل دوفوكو مثلا- ، من خلال الأساليب التي وظفها هؤلاء في كسب ولاء بعض زعماء القبائل ورجال الطرق الصوفية، تجلى ذلك في الحماية التي وجدها هؤلاء، والمعلومات التي قدمت لهم عن سكان الجنوب، كما أن نتائج دراساتهم أفادت كثيرا السلطة الاستعمارية في المضي قدما للتوغل نحو الجنوب الجزائري.

2) النفي والإبادة الذي استهدف الكثير من زعماء المقاومة وسكان الواحات والمدن في الجنوب الجزائري، كانت نتيجة حتمية في نظر السلطة الاستعمارية تأتي عقب فشل كل ثورة أو انتفاضة شعبية، والغاية منها الزجر والردع لاحتواء حركة المقاومة، وهو ما حدث في واحة الزعاطشة سنة 1849م، مدينة الأغواط سنة 1852م وواحة العامري سنة 1876م.

3) تنصيب قُياد متعاونين مع الإدارة الاستعمارية في مدن وواحات الجنوب، وجعلهم عصا لإخضاع وقهر سكان الجنوب الجزائري.

4) النزاع والشقاق الذي كان بين الأسر المُتنفذة في الجنوب مثل النزاع الذي كان قائما بين عائلة بوعكاز وبن قانة في مدينة بسكرة وإقليم الزيبان، والنزاع داخل عائلة بن بابية بواحة نقوسة، والنزاع بين عائلة أولاد سيدي الشيخ بصحراء الجنوب الوهراني، ساهم ذلك النزاع بشكل مباشر في تمزيق روابط هذه الأسر، وفَتح بذلك المجال للاستعمار الفرنسي في الجنوب الجزائري.

5) قانون 24 ديسمبر 1902م المتعلق بتنظيم أقاليم الجنوب الجزائري، أعطى استقلالية مالية وإدارية لأقاليم الجنوب عن أقاليم الشمال، وكانت بداية فكرة فصل جنوب الجزائر عن شمالها.

6) عرفت التركيبة الاجتماعية لمجتمع الجنوب تنوعا من حيث التقسيم، فنجد في بعض المدن والواحات التقسيم المَبني على أساس رابطة الدم والعرق والقرابة مثل واد سوف وورقلة، وفي البعض الأخر نجد التقسيم المَبني على أساس الطبقي وحسب المهنة كما هو الحال في توات وعند قبائل الطوارق.

7) اختلف دور ومكانة المرأة في مجتمع الجنوب من منطقة إلى أخرى، حيث نجد أن المرأة في مدينة وادي ووادي سوف وورقلة لم يتعدى دورها من أن تكون ربة بيت فقط، فحين كانت مثيلاتها في توات ووادي ميزاب وعند قبائل الطوارق قد حظين بمكانة رفيعة وشاركن في مختلف جوانب حياة المجتمع.

8) حظي القطاع الصحي مثله مثل القطاعات الأخرى لاهتمام من طرف السلطة الاستعمارية، حيث خصصت له جزءا من ميزانية أراضي الجنوب، وكانت هذه الميزانية تُنفق على أعمال الإسعافات الطبية، رواتب الأطباء العسكريين وبناء المستشفيات والعيادات، وقد أعطيت للأطباء كل الصلاحيات حيث تَعدوها إلى ممارسة التنصير بين السكان؛ فالاهتمام المتزايد بصحة سكان الجنوب، كان الغرض منه تجنب انتشار عدوى الأمراض بين المعمرين التي أصيب بها السكان سابقا.

9) عانى سكان الجنوب الجزائري كثيرا من سياسة الإدارة الاستعمارية، وظهر هذا الظلم والتعسف في النظام القضائي، بحيث تم وضع السلطة القضائية تحت إمرة سلطة عسكرية إدارية تسمى المكاتب العربية تحت قيادة ضابط عسكري، وأعطيت لهذا الأخير صلاحيات مطلقة، لكي يطبق قوانينه الخاصة على السكان دون الرجوع إلى القوانين الأصلية، فبالنسبة للقضايا الجنائية من مخالفات وجرائم لا يتم الفصل فيها في المحاكم المدنية الإسلامية بالجنوب، بل إن قضاياهم تُرفع إلى المحاكم الموجودة في مدن الشمال الجزائري، ويُضاف إلى ذلك التكاليف الباهظة للقضايا التي تجعل السكان يقفون عاجزين أمامها مع عدم وجود محاكم استئناف إسلامية، باستثناء منطقة "وادي ميزاب" التي عَقد أعيانها اتفاق حماية مع الفرنسيين من سنة 1852م إلى غاية سنة 1882م، وبموجبه رخصت لهم السلطة الاستعمارية تطبيق الشريعة الإسلامية تبعا للمذهب الإباضي وتبعا لتقاليدهم ومجالسهم.

10) تحمَّل مجتمع الجنوب الجزائري أعباء مالية ثقيلة كما أنهم عانوا من تدهور اقتصادي وكوارث طبيعية، ورغم كل هذا إلا أنَّ ميزانية الإدارة الاستعمارية كانت تسجل فائض كل سنة، هذا الفائض لدفع رواتب العمال والموظفين والعسكريين وبناء منشآت عسكرية وإدارية تخدم

مصالح المعمرين.

11) أدركت السلطات الاستعمارية أهمية تجنيد سكان الجنوب الجزائري في الجيش الفرنسي لحماية مصالحها في الجنوب، فقوات المخزن المشكلة من الفرسان والمهاريين تقوم بدور الدرك في التجمعات السكانية، بينما فرق القُوم وبعض المهاريين مكلفون بمهام عسكرية على الحدود الجنوبية للجزائر، وتقوم بإمداد القوات الفرنسية المتواجدة في الجنوب بكل ما تحتاج إليه من مؤونة وعتاد، بالإضافة إلى استغلالهم في عمل ورشات البناء وشق الطرقات، كما فرضت التجنيد الإجباري ابتداء من سنة 1912م تحضيرا للمشاركة في الحرب العالمية الأولى.

12) كانت للسياسة الاقتصادية الفرنسية في الجنوب الجزائري انعكاسات خطيرة على سكان الجنوب، حيث لم يترك المعمرون للسكان أي مورد للرزق فاستحوذوا على الأراضي واحتكروا التجارة ووسائل النقل وطرق المواصلات، ووجد سكان الجنوب أنفسهم، مُشردين ومبعدين عن أراضيهم وممتلكاتهم، غرباء في وطنهم عمال سخرة عند أعدائهم، ولم يبق لهم إلا الأراضي الفقيرة والقاحلة التي لم تطلها أيدي المعمرين، في حين فضل بقيتهم الهجرة إلى الأقطار المجاورة كتونس والمغرب الأقصى وحتى المشرق العربي.

13) السياسية التجارية الفرنسية في الجنوب أدت إلى ضعف التبادل التجاري بين الشمال والجنوب الجزائري وبين الجنوب الجزائري وبلدان غرب إفريقيا، وارتكزت تلك السياسة على خدمة مصالح السلطة الاستعمارية بالترويج لمنتجاتها في المستعمرات التابعة لها، كما أن بعض المنتجات المحلية أصبحت غير رائجة لتنافسها مع بعض السلع الأوربية التي غزت الأسواق الجزائرية وتغيرت وسائل الدفع من المقايضة إلى التعامل بالنقود ما أوجد أنماط اقتصادية جديدة لا تعتمد على المقايضة، مما سبب توقف حركة القوافل التجارية للقبائل الصحراوية نحو بلاد السودان.

14) بنت فرنسا سياستها التعليمية منذ البداية على القضاء على اللغة العربية والثقافة الإسلامية، ومحو الشخصية الوطنية باعتبارها روح الأمة وعرقها النابض، وقد قامت بالعديد من الإجراءات في كامل الجزائر بما فيه الجنوب الجزائري، فشنت حربا على الزوايا والمساجد والمدارس القرآنية،

وفي ذات التوجه عملت على استقطاب أبناء سكان الجنوب للتعلم في المدارس الفرنسية.

15) التعليم الفرنسي المطبق في الجنوب لم يكن الهدف منه سوى استيعاب أكبر عدد ممكن من أبناء الجنوب وإعدادهم لوظائف يترفع عنها أبناء المعمرين من جهة، والتحكم في طبيعته ومستوياته حسب الظروف الخاصة بكل منطقة من مناطق الجنوب.

16) تنوعت عادات وتقاليد مجتمع الجنوب باختلاف أصول القبائل والأعراق المشكلة لهذا الأخير، وكذا اختلاف البيئة الجغرافية لكل منطقة من مناطق الجنوب، وقد تجسد هذا التنوع والاختلاف في الحياة اليومية لأفراد المجتمع المتمثلة في: عادات الأكل، الشرب ونوعية اللباس، والمعتقدات المتوارثة ...، فعلى سبيل المثال لا الحصر: مراسيم وطقوس الزواج في المجتمعات الطبقية كمجتمع الطوارق ومجتمع توات، انحصر الزواج فيها بين الفئات النبيلة فقط، وأُستثنيت الفئات الأخرى، إلا في حالات نادرة نجد الزواج المختلط بين الفئات بسبب الفقر.

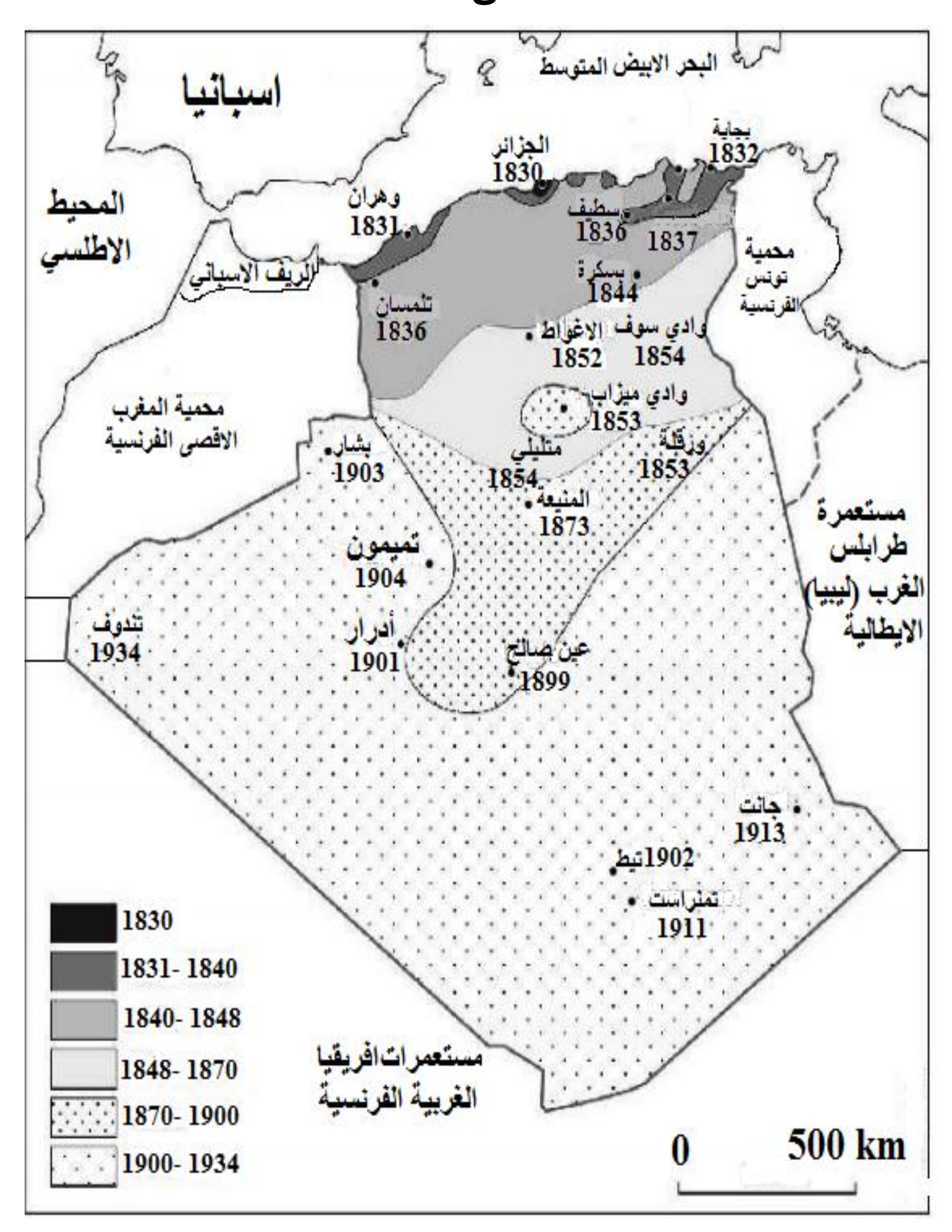
17) عُرف الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش رفضه التعاون مع المستعمر، أو إشعاره برضاه، فكان يرفض أن تقلده فرنسا أوسمة تحمل اسمها، والتاريخ يشهد له مواقف عديدة في مناسبات عدة تعكس قناعته اِتجاه الاستعمار، وتظهر بشكل قطعي أنه لم يكن ليُهادن أو يعترف بكيان دخيل، وهذه المواقف تُعبر عن نفسية الشيخ وشدة بُغضه للاستعمار، بسبب شركه وظلمه، وتعصبه الأعمى ضد الإسلام والمسلمين.

18) لعبت الطرق الصوفية منذ نشأتها دور المؤسسات الثقافية خلال العهد العثماني من خلال مساهمتها في تدريس العلوم اللغوية، الشرعية، واختصت أكثر بتحفيظ القران، لكن مع بداية التوغل الاستعماري الفرنسي في الجزائر سنة 1830م وبالخصوص بالجنوب، تباينت مواقف شيوخ الطرق الصوفية بين مؤيد ومعارض للاحتلال، فبينما قدم شيوخ بعض الطرق مواقف بطولية في مواجهة الاحتلال كان موقف بعضهم مخزيا فلعبوا دور المخدر للمجتمع الجزائري خدمة لمصالح السلطة الاستعمارية، من بين هذه الطرق التي لعبت دورا سلبيا، نجد الطريقة التيجانية.

في الأخير يبقى تسليط الضوء على حقل الدراسة المتعلق بمجتمع الجنوب الجزائري خلال العهد الاستعمار يحتاج إلى مجهود جماعي للباحثين والمؤرخين الجزائريين؛ فالموضوع يتعدى المجهود الفردي، بحيث يمكن أن يُقترح هذا الموضوع كمشروع دكتوراه مستقبلا.

ملاحق

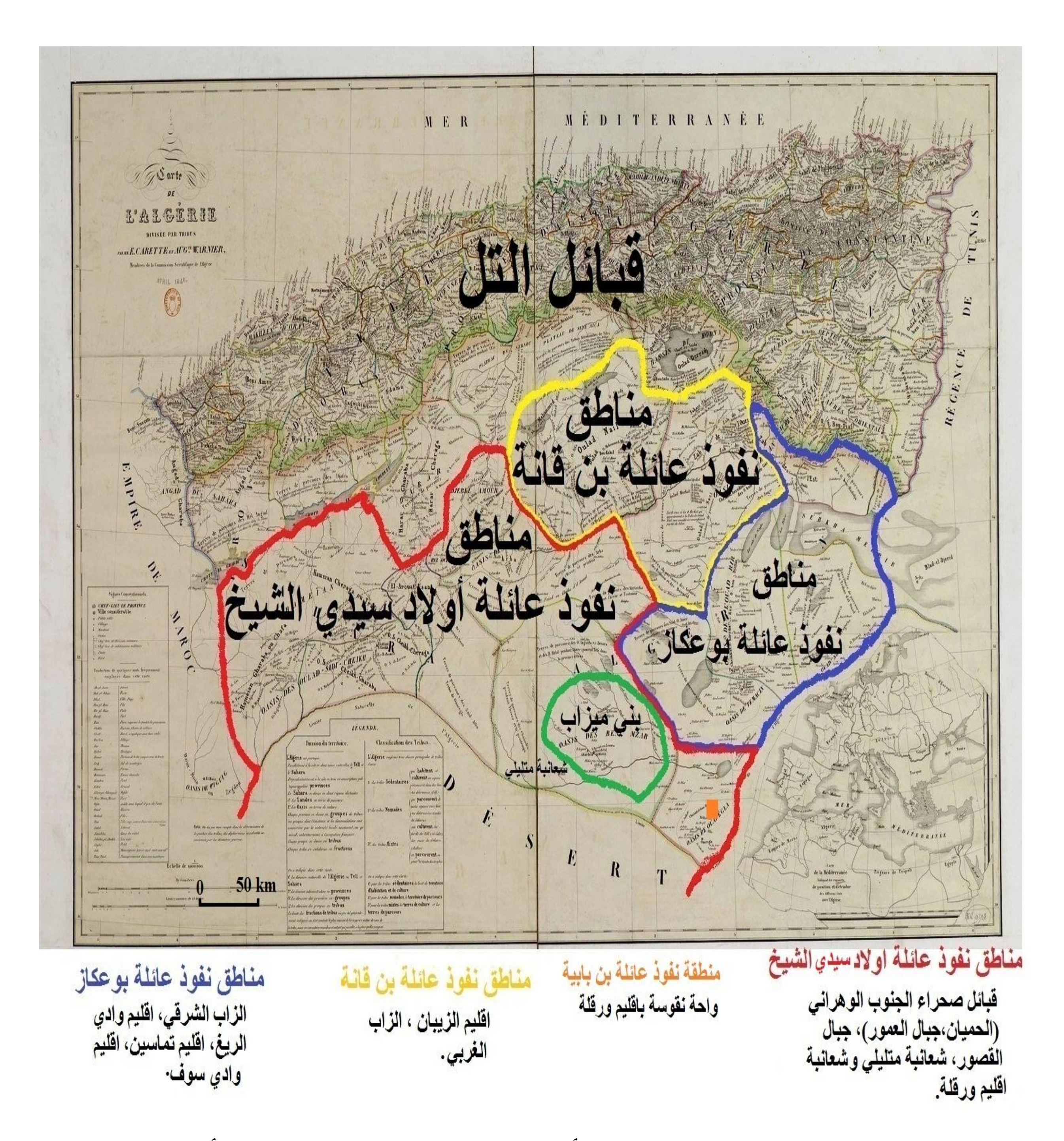
الملحق 01:



صورة لخريطة توضح مراحل التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري 1844م-1934م (بتصرف)[609]

[1]Abderrahmane, Bouchène , AL, : Histoire de l'Algérie a la période coloniale 1830 – 1962, Éditions Barzakh , Alger, 2012,p36.

الملحق 02:



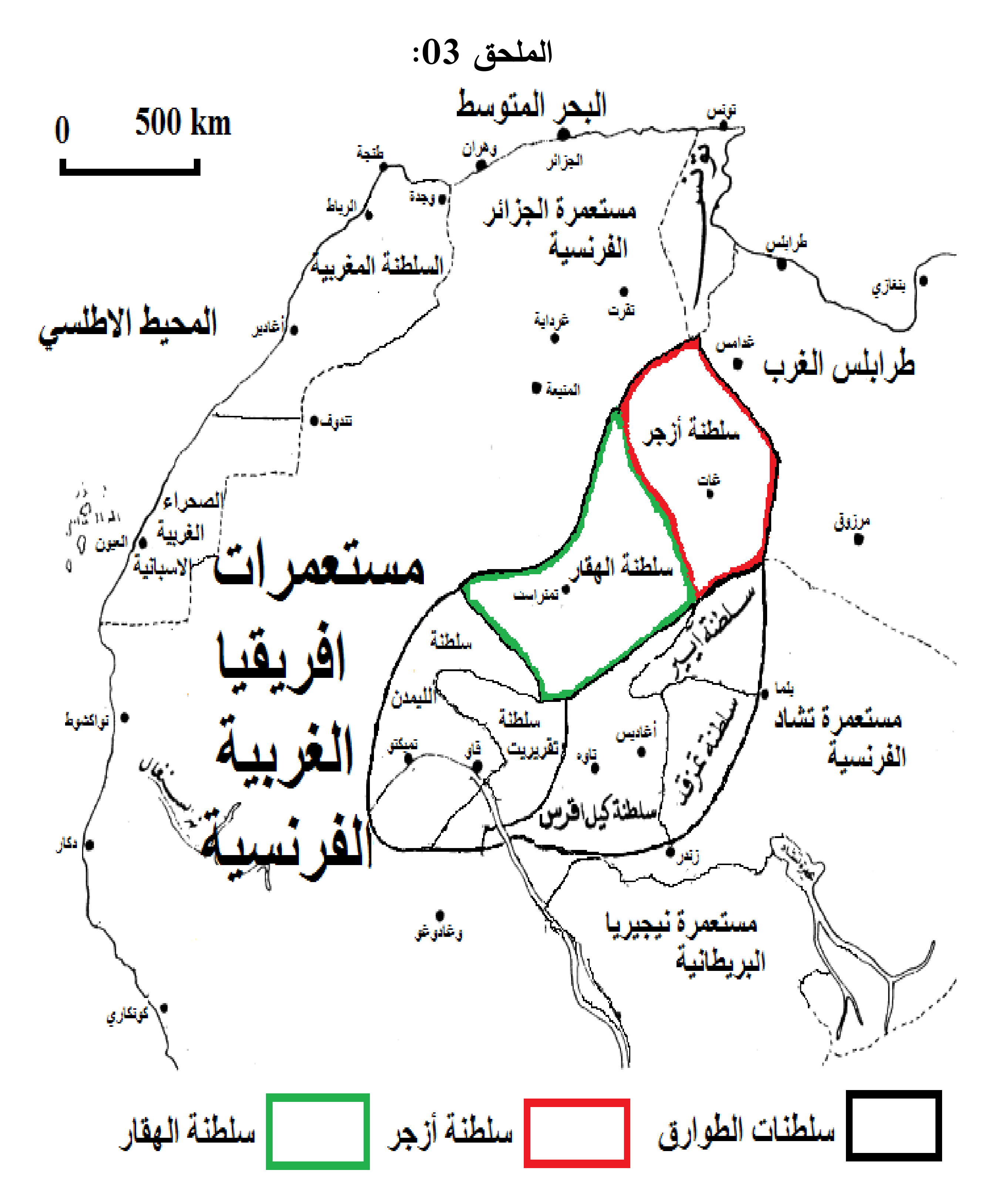
صورة لخريطة توضحمناطق نفوذ كل من أولاد سيدي الشيخ، عائلة بن قانة وأولاد بوعكازوعائلة بن بابية،خلال القرن 19م (بتصرف)[1]

---

[1] Auguste Warnier,Carette : Carte de l'Algérie divisée par tribus, http// gallica.bnf.fr,heure: 10:44, date: 15/ 05/ 2020.

ينظر أيضا:صالح، فركوس: إدارة المكاتب ...، المرجع السابق، ص ص 90- 91 و270- 297 ، فاطمة، حباش: المرجع السابق، ص ص 144- 145 وكورنيل، تروملييه: المصدر السابق، ص ص 60- 63.

الملحق 03:



صورة لخريطة توضح سلطنات قبائل الطوارق في الصحراء الكبرى بما فيها الجنوب الجزائري، خلال القرن التاسع عشر (بتصرف)[1]

[1] محمد السعيد، القشاط: المرجع السابق، ينظر ايضا: إبراهيم، مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء...، المرجع السابق، ص ص 513- 514 .

الملحق 04:

Loi du 24 Décembre 1902.

Loi portant organisation des Territoires du Sud de l'Algérie et instituant un budget autonome et spécial pour ces régions.
(Promulguée au Journal officiel du décembre 1903)
Le Sénat et La Chambre des Députés Ont Adopté,
Le Président de La République Promulgue La Loi dont la teneur :

Art. 1er Les fractions de territoires militaires, situées au sud des circonscriptions suivantes cercle de Marnia, annexe d'El-Aricha, annexe de Saïda, cercle de Tiaret, annexe d'El-Aflou, cercle de Boghar, annexe de Chellala, annexe de Sidi-Aïssa, cercle de Bou- Saada, annexe de Barika, poste de Tkout (cercle de Biskra), cercle de Kenchela, cercle de Tébessa, constituent un groupement spécial dénommé 'territoires du Sud, dont l'administration et le budget sont distincts de ceux de l'Algérie.
2. Les territoires du Sud sont dotés de ta personnalité civile; ils peuvent posséder des biens, concéder des chemins dé fer, entreprendre de grands travaux publics, contracter des emprunts. Le gouverneur général de l'Algérie représente les " Territoires du Sud. dans les actes de la vie civile; il ne peut contracter d'empruntsni concéder des chemins de fer ou autres grands travaux publics sans y être autorisé par une loi.

3. A partir du 1er janvier 1903, il sera établi, pour les territoires du Sud", un budget autonome et distinct de celui de l'Algérie.

4. Le budget des territoires du Sud' sera transmis au ministre de l'intérieur, avant le i" juillet, et régie par décret du Président de la République, sur le rapport des ministres de l'intérieur, de la guerre et des finances.

5. Il sera accordé aux " Territoires du Sud', sur le budget de la Métropole, une subvention dont le montant sera fixé, chaque année, par la loi de finances.

6. Des règlements d'administration publique détermineront les attributions nouvelles du gouverneur général de l'Algérie en ce qui touche les territoires du Sud", l'organisation administrative et militaire du nouveau groupement territorial, la nature des dépenses et des recettes à détacher du budget de l'Algérie et des budgets départementaux ou communaux pour être rattachées au budget des territoires du Sud et, en général, toutes les mesures nécessaires à l'application de la présente loi. La présente loi, délibérée et adoptée par le Sénat et par la Chambre des députés, sera exécutée comme loi de l'Etat.
Fait à Paris, le 24 Décembre 1902.
Signé , Émile Loubet.
Le Président du Conseil, Le Ministre de la guerre, Le Ministre des finances,
Ministre de l'intérieur Signé : Rouvier. Signé : G L. André.
et des cultes ,
Signé: E. Combes.
Signé F. Dobnif.

قانون 24 ديسمبر 1902.

تنظيم أقاليم الجنوب الجزائري ووضع ميزانية خاصة بها.

(صدر بالجريدة الرسمية، في ديسمبر 1903)

مجلس الشيوخ ومجلس النواب المعتمدين،

يصدر رئيس الجمهورية القانون الذي يتضمن:

المادة الأولى: أجزاء الأراضي العسكرية الواقعة جنوب الأقسام التالية : دائرة مغنية، ملحقة العريشة، ملحقة سعيدة، دائرة تيارت، ملحقة أفلو، دائرة بوغار، ملحقة شلالة، ملحقة سيدي عيسى، دائرة بوسعادة، ملحقة بريكة، مركز تكوت (دائرة بسكرة)، دائرة خنشلة، دائرة تبسة، تُشكل مجموعة خاصة تسمى أقاليم الجنوب، تختلف إدارتها وميزانيتها عن تلك الموجودة في القطر الجزائري.

2.أقاليم الجنوب تتمتع بشخصيتها القانونية؛ كحق التملك، التنازل عن السكك الحديدية، مباشرة بالأشغال العمومية والاقتراض، تخضع لسلطة الحاكم العام في جميع أعمال الحياة المدنية؛ لكن لا يمكنه الاقتراض ولا التنازل عن السكك الحديدية أو غيرها من الأشغال العمومية الكبرى دون قانون يخوله ذلك.

3.ابتدأ من 1 جانفي1903م، ستخصص لأقاليم الجنوب ميزانية مستقلة منفصلة عن ميزانية القطر الجزائري.

4.سَتحال ميزانية الأقاليم الجنوبية إلى وزير الداخلية قبل الفاتح من جويلية، وتنفذ بأمر من رئيس الجمهورية بعد تقرير تقدمه وزارة الداخلية، وزارة الحربية ووزارة المالية.

5. ستمنح إعانة مالية للأقاليم الجنوبية من ميزانية الوطن الأم، وستكون سنوية وتحدد بموجب قانون المالية.

6.ستصدر قرارات وصلاحيات جديدة تحدد للحاكم العام كيفية تسيير أقاليم الجنوب من الناحية الإدارية والعسكرية، وميزانية تلك الأقاليم ستكون مستقلة عن من ميزانية القطر الجزائري سواء ميزانية المقاطعات أو ميزانية البلديات، أي تطبيق جميع الإجراءات وفق هذا القانون، الذي هو أعد منطرف مجلس الشيوخ ومجلس النواب المعتمدين.

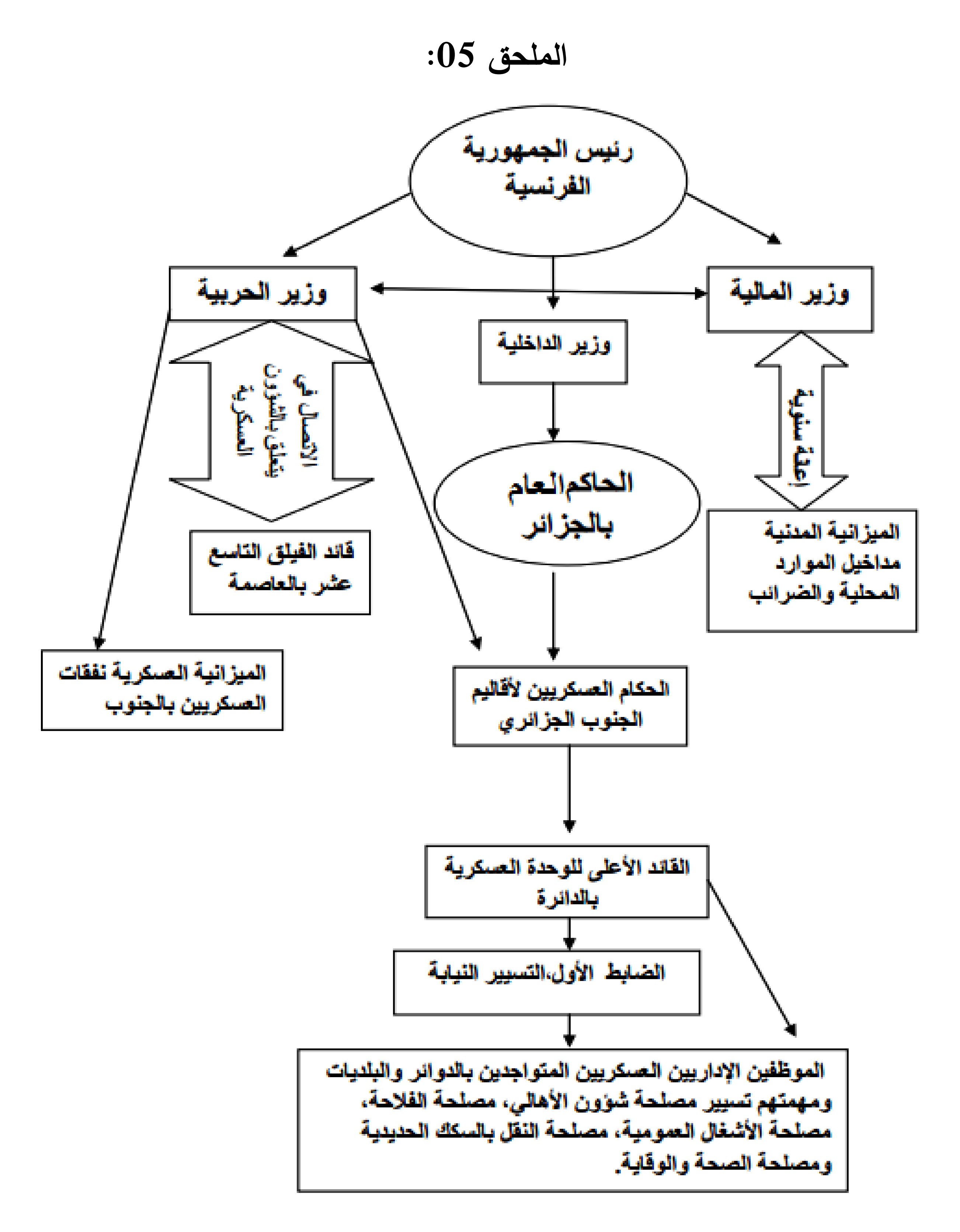
باريس في 24 ديسمبر 1902.
التوقيع: إميل لوبيه
رئيس المجلس وزير الحربيةوزير المالية
وزير الداخلية التوقيع: روفييه التوقيع: اندري
التوقيع: كامبس
التوقيع: دوبني

نص قانون 24 ديسمبر 1902 الخاص بالتنظيم الإداري للجنوب الجزائري[1]

---

[1]A.W.O :Loi du 24 Décerbre 1902, Op.cit. pp 535-536.

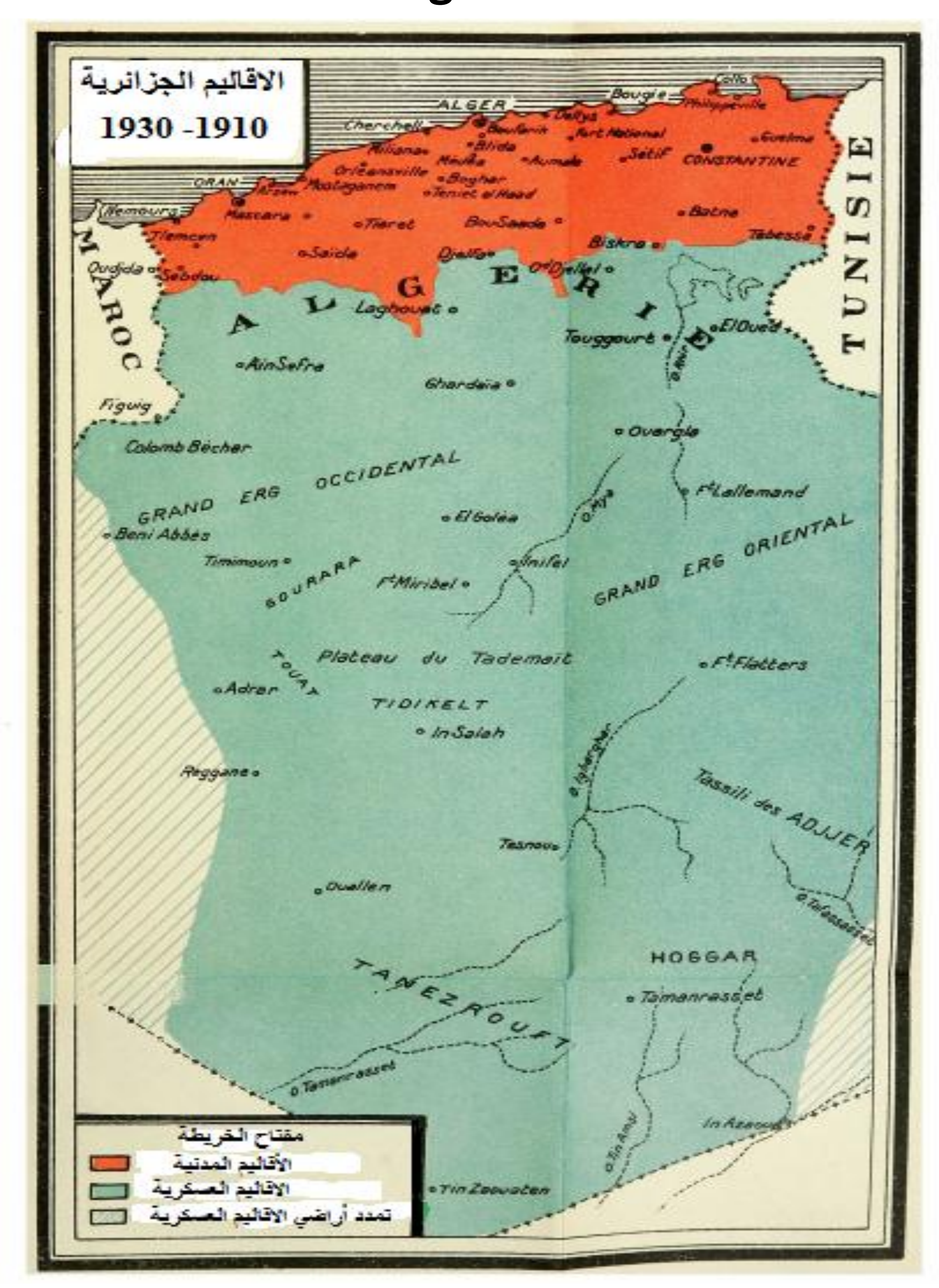
الملحق 05:



مخطط تسيير أقاليم الجنوب الجزائري [1]

[1]A.W.O: Décret du 14 Août 1905..., Op.cit. pp 5029- 5030.

الملحق 06:

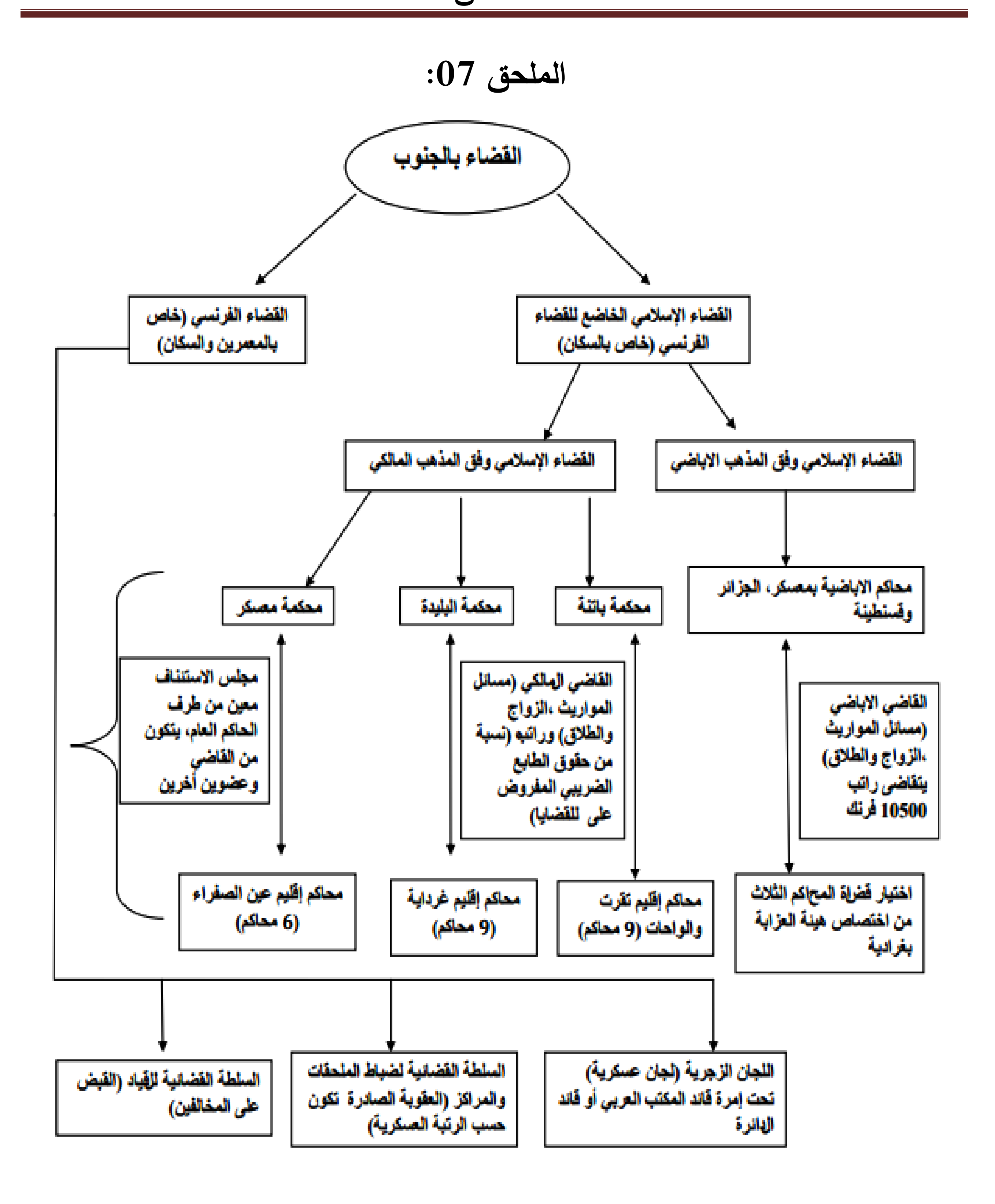


صورة لخريطة توضح مدن الجنوب الجزائري الخاضعة للحكم العسكري (بتصرف)[1]

---

[1] Raymond,Peyronnet (Commandant): Livre d'or des officiers des affaires indigènes 1830 – 1930, T1, Imprimerie Algérienne, Alger : 1930, p 64

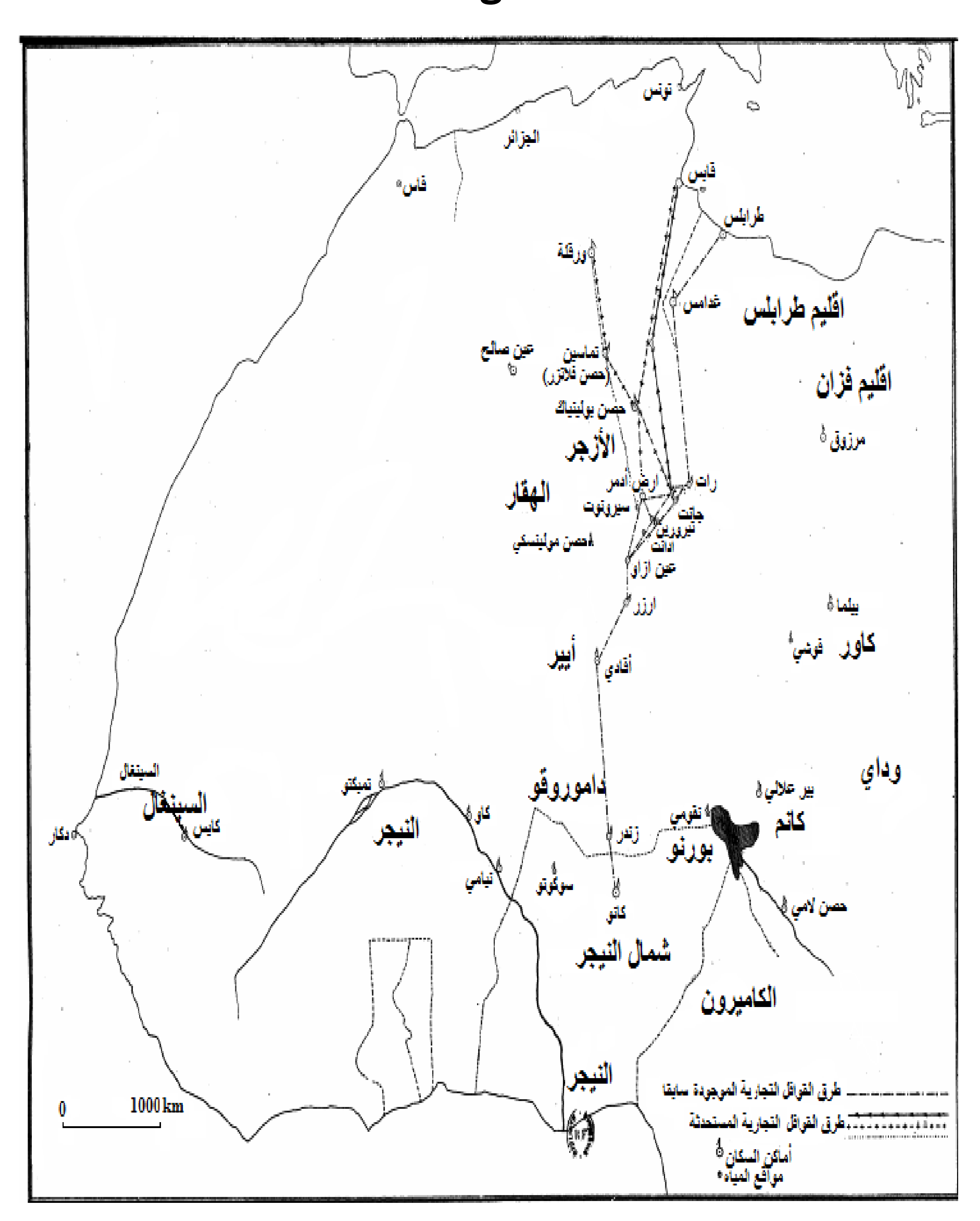
الملحق 07:



مخطط النظام القضائي بالجنوب الجزائري [1]

[1] A.N.A: Théodore, Steeg: Op.cit.p 413.

الملحق 08:

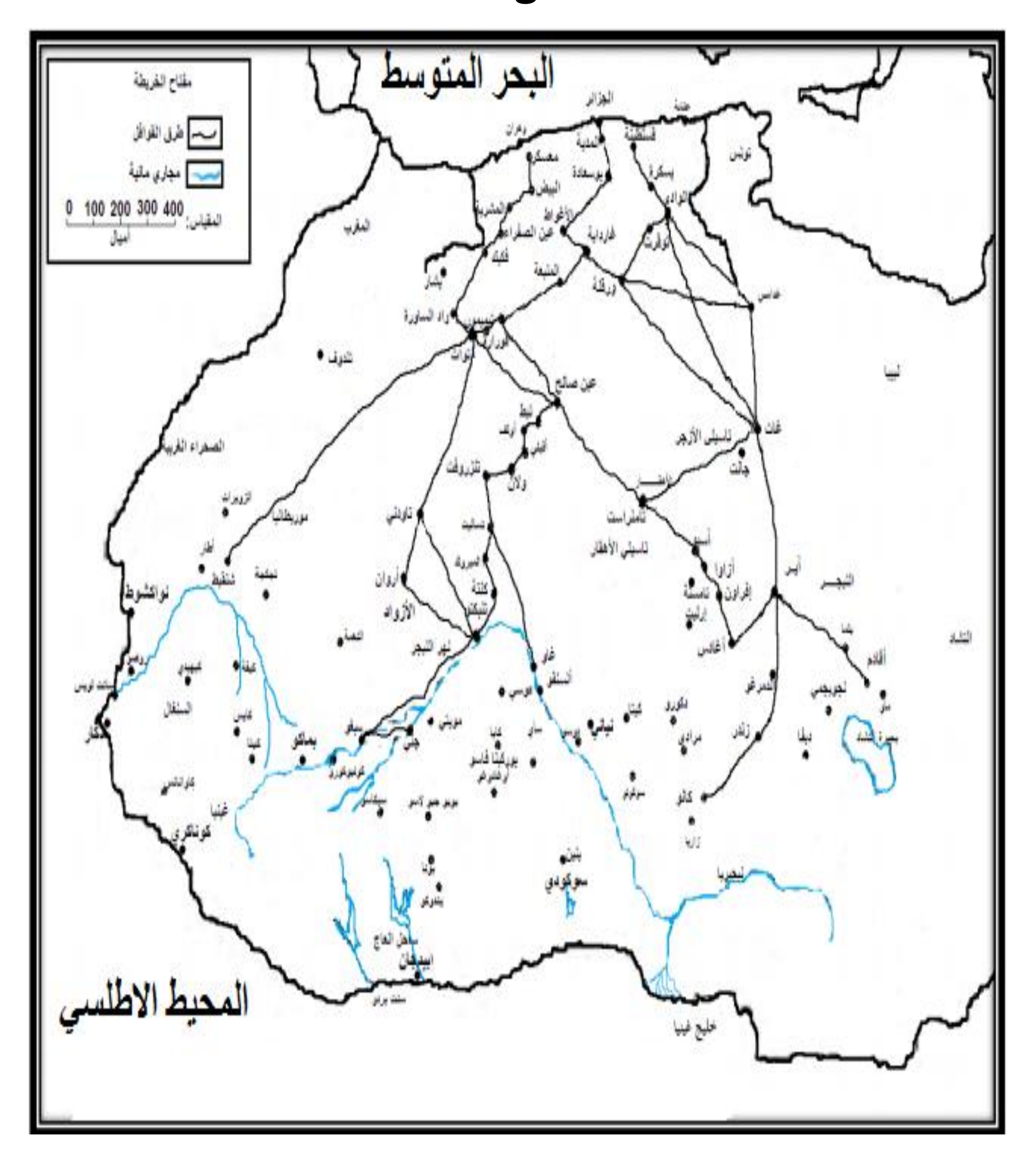


صورة لخريطة توضح طرق تجارة قوافل قبائل الطوارق في الصحراء الكبرى خلال القرن التاسع عشر (بتصرف)[1]

---

[1]Ardaillon,Antoine (Lieutenant): Op.cit. p 371.

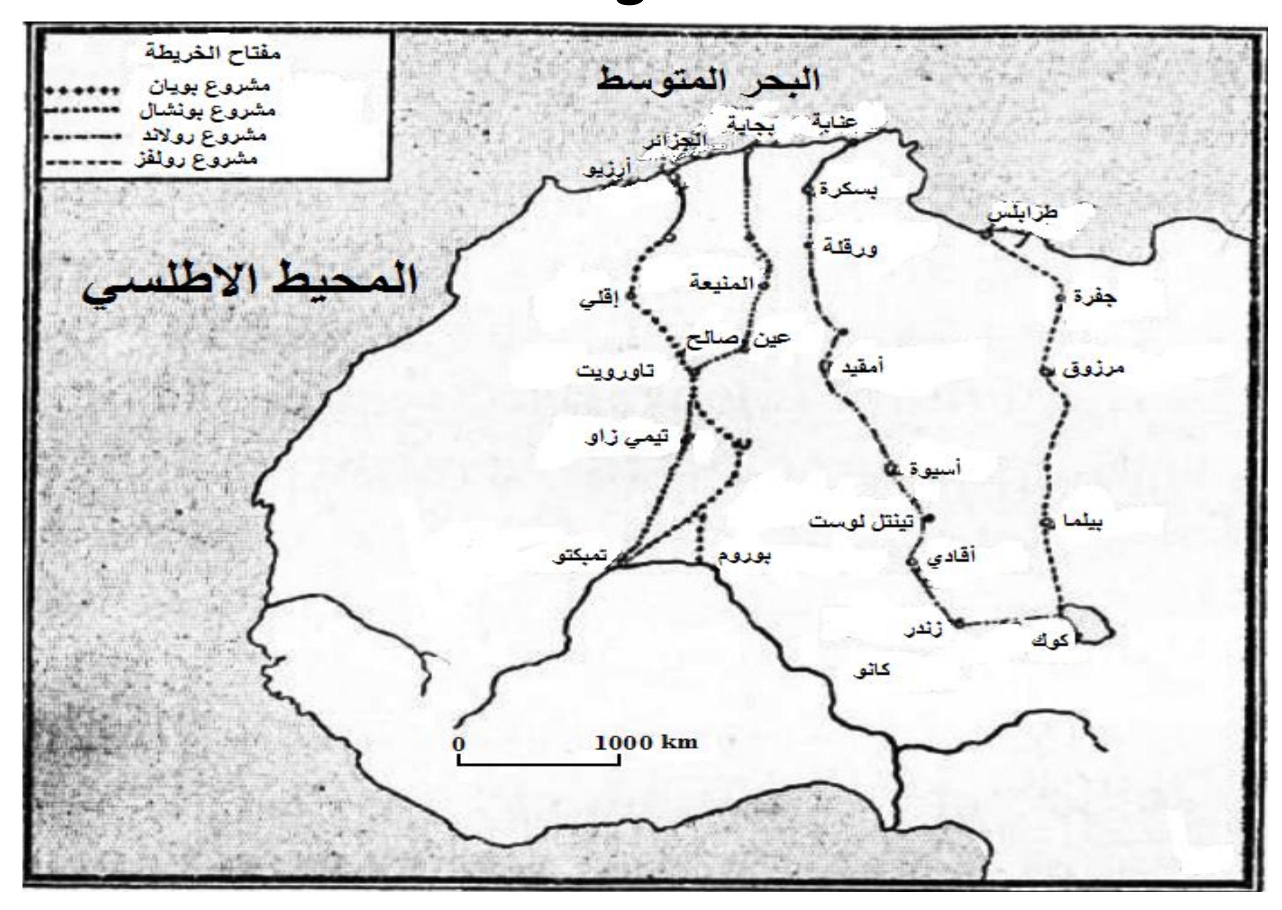
الملحق 09:



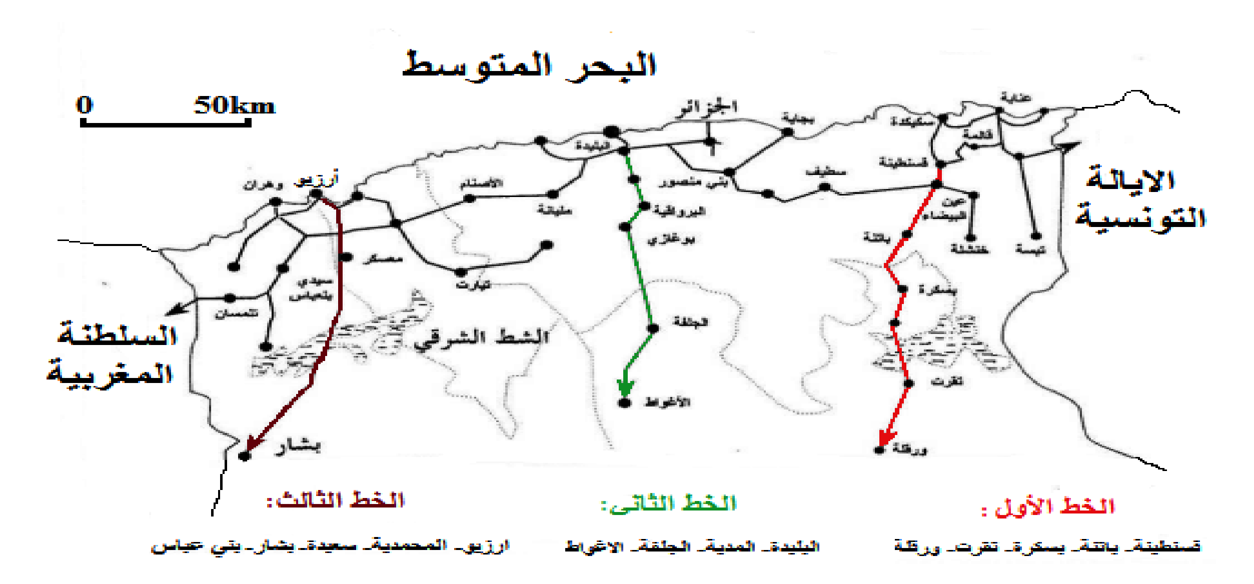
صورة لخريطة توضح طرق القوافل التجارية في غرب إفريقيا بما فيها الجنوب الجزائري خلال القرن التاسع عشر[1]

[1] سميرة دعاشي: الاهتمام الفرنسي ...، المرجع السابق، ص 33.

الملحق 10:



صورة لخريطة توضح المشاريع المقترحة لإنشاء خطوط السكك الحديدية المارة بمناطق الجنوب الجزائري (بتصرف)[1]



خريطة توضح السكك الحديدية المُنشأة بالجنوب الجزائري (بتصرف)[2]

---

[1]Henri, Schirmer: **le Sahara**, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1893, p 403.

[2] أحميد، عميراوي: المرجع السابق، ص 158.

الملحق 11:

القبيلة / العشيرة	السنة	أسباب الهجرة	الموطن الأصلي	المستقر النهائي بعد الهجرة
- فرع من أولاد الحاج عبد الحكم - فرع من أولاد الحاج احمد - فرع من أولاد عبد الرحمان - فرع من أولاد الحاج بحوص - فرع من أولاد الحاج إبراهيم	1849م	انتهاء مقاومة الأمير عبد القادر سنة 1847م وأول مواجهة بين أولاد سيدي الشيخ والقوات الفرنسية سنة 1849م	الأبيض سيدي الشيخ	ضواحي مدينة فاس بالسلطنة المغربية
- فرع من أولاد الحاج عبد الحكم - فرع من أولاد الحاج بحوص - فرع من أولاد عبد الرحمان - أولاد المصطفى	1864م	ثورة أولاد سيدي الشيخ الشراقة 1864م- 1881م	واحات الجنوب الوهراني	ضواحي مدينتي فاس وبركان بالسلطنة المغربية
- فرع من أولاد الحاج عبد الحكم ومعهم أخلاط القبائل التي كان ضمن جيش سليمان بن قدور قائد ثورة أولاد سيدي الشيخ الشراقة	1876م	الترحيل القسري من طرف السلطات الاستعمارية لأولاد سيدي الشيخ الغرابة، كنتيجة من نتائج ثورة أولاد سيدي الشيخ الشراقة	نواحي عين بني مطهر وشمال فجيج	ضواحي مدينتي فاس ومراكش بالسلطنة المغربية
- فرع من أولاد الحاج عبد الحكم - فرع من أولاد الحاج أحمد - أولاد بن عيسى - فرع من أولاد الحاج إبراهيم - فرع من أولاد الحاج بحوص	1881م	ثورة بوعمامة 1881م- 1908م	الواحات الجنوب الوهراني (أم جرار، الشلالة، بوسمغون الأبيض، عين الصفراء، فجيج، بني ونيف)	نواحي وجدة وفجيج بالسلطنة المغربية
- فرع من أولاد الحاج عبد الحكم - البحاحصة :أولاد الطيب زعماء أولاد سيدي الشيخ الغرابة	1885م	سجن زعماء أولاد سيدي الشيخ الغرابة، بسجن قارة بمكناس على خلفية مواصلة دعم مقاومة بوعمامة 1881م- 1908م	منطقة ذراع عيسى في الطريق بين عين بني مطهر وجرادة بالسلطنة المغربية	ضواحي مدينتي فاس ومراكش بالسلطنة المغربية
- أولاد التاج - أولاد بن عيسى - فرع من أولاد الحاج إبراهيم - فرع من أولاد الحاج أحمد - أولاد سيدي أمحمد وقبائل شعانبة، حميان، عمور، بني مطهر، مجادبة، ذوي منيع، بني كيل... ، التي كان يتشكل منها جيشه.	1908م	لجوء بوعمامة إلى المغرب الأقصى وبعد وفاته سنة 1908م تفرق أتباعه في المغرب الأقصى	معسكر الشيخ بوعمامة بنواحي العيون بالمغرب الأقصى	فجيج، عين بني مطهر، وجدة، العيون، وطاط الحاج،الناظور، بركان زايو، تازة بالسلطنة المغربية

جدول يبين مراحل هجرة أولاد سيدي الشيخ إلى المغرب الأقصى 1849م – 1908م[1]

[1] محمد ابن الطيب، البوشيخي: المرجع السابق، ص ص 178- 179.

الملحق 12:

المنطقة	اسم المُؤلف (ميلاده- وفاته)	عنوان الكتاب	تاريخ التأليف	محتوى الكتاب
وادي سوف	محمد العروسي 1845م- 1920م	كناش الشيخ محمد العروسي	غير معروف	التأريخ لوادي سوف منذ القدم حتى عصره [1].
	إبراهيم محمد الساسي العوامر 1881م- 1932م	الصروف في تاريخ الصحراء وسوف	1913م	التاريخ لوادي سوف والمناطق المجاورة لها منذ القدم حتى عصره [2].
		البحر الطافح في فضائل الشيخ الطريق سيدي محمد الصالح	غير معروف	ذكر مناقب شيخه سيدي محمد الصالح وذكر شيوخ الطريقة الرحمانية بواد سوف [3].
ورقلة	مجهول	تاريخ جملة مشايخ سدرة من ورجلان إلى فران	غير معروف	يتحدث المخطوط عن سير بعض علماء وصلحاء مدينة ورقلة [4].
	إبراهيم بن صالح بابا حمو أعزام 1893م- 1965م	غصن البان في تاريخ وارجلان	1932م	يتطرق إلى الحديث عن تاريخ ورقلة و نسب أهلها وعمرانها وأعلامها [5].
تقرت	محمد الطالب بن الطاهر بن دومة 1918م- 1982م	مذكرة أخبار تاريخية لواحة تقرت وبعض نواحيها	غير معروف	يتحدث المخطوط عن تاريخ تقرت منذ القرن 16م إلى غاية القرن 20م[6].
	الحاج محمد الادريسي تاريخ الميلاد غير معروف- 1852م	تاريخ بني جلاب ملوك تقرت	1851م	يعطي المخطوط لمحة تاريخية عن سلاطين إمارة بني جلاب بتقرت منذ التأسيس حتى عصره[7].

جدول مؤلفات مؤرخي وادي سوف، ورقلة وتقرت خلال القرنين 19م و20م

[1] فارس، كعوان: المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي 1830م-1962م، مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري، تحت إشراف ا.د/ عبد الكريم بوصفصاف، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ المعاصر، جامعة منتوري- قسنطينة، السنة الجامعية، 2011-2012، ص ص 328- 330.

[2] إبراهيم محمد الساسي، العوامر: المصدر السابق، ص ص 25- 413.

[3] فارس، كعوان: المرجع السابق، ص ص 64- 66.

Féraud L., Charles: «Notes historiques sur la province de Constantine. Les Ben-Djellab, sultans de Touggourt 2emP», R. A, A. Jourdan, Libraire-éditeur - Algérie, N°30, 1886, pp261- 268.

[5] فارس، كعوان: المرجع السابق، ص ص 302- 304.

[6] نفسه، ص ص 298- 301.

[7] L'Abbé, Barges: « Tableau historique de la dynastie des Ben Djellab sultans de Touggourt, par l'imam Cid El Hadj Mohamed Elldrisi », R.O.A.C, Just Rouvier, Paris, T.3, 1853, pp 219- 227.

المنطقة	اسم المُؤلف (ميلاده- وفاته)	عنوان الكتاب	تاريخ التأليف	محتوى الكتاب
بسكرة	محمد الصغير بن المختار تاريخ الميلاد غير معروف- 1920م	تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان	غير معروف	يتحدث المخطوط عن سير بعض شيوخ الطريقة الرحمانية ببسكرة (1).
	بوعزيز بن قانة	عائلة بن قانة	1879م	التأريخ لعائلة بن قانة، خلال العهد العثماني والعهد الاستعماري (2).
	الطيب البوزيدي	العقد النضيد في بيان نسب سيدي بوزيد	1943م	يؤرخ لنسب قبيلته (3).
	عاشور الخنقي	منارة الإشراف	غير معروف	ذكر انساب البوازيد وأولاد نائل (4).
	مجهول	تاريخ سيد مبارك بن ناجي	غير معروف	التأريخ لعائلة سيدي الناجي بخنقة سيد الناجي (5).
بوسعادة	محمد بن الحاج بن أبي القاسم 1859م- تاريخ الوفاة غير معروف	الزهرة الباسم في ترجمة سيدي محمد بن أبي القاسم	1892م	ترجمة لشيخه سيدي محمد بن أبي القاسم (6).
تماسين	محمود بن محمود ابن الماطمية 1880م- 1952م	غرائب البراهين في مناقب صاحب تماسين	غير معروف	يؤرخ لسيرة الحاج علي الينبوعي شيخ الطريقة التيجانية بتماسين (7).
		أشرف الأوصاف في التعريف بأهل عين ماضي الأشراف	غير معروف	يؤرخ لسير أشراف عين ماضي بالاغواط.
	الشيخ محمد السائح	التبر المسبوك	غير معروف	يؤرخ لتاريخ الزاوية التيجانية وشيوخها (8).
بشار	محمد المصطفى بن الحاج البشير القندوسي تاريخ الميلاد غير معروف- 1920م	طهارة الأنفاس والأرواح الجسمانية في الطريقة الزيانية الشاذلية المتمسكة بالشريعة المطهرة المحمدية	1902م	ترجمة لشيوخ الزاوية الزيانية بالقنادسة منذ القرن 16م حتى القرن 19م(9).

جدول مؤلفات مؤرخي بسكرة، بوسعادة، تماسين خلال القرنين 19م و20م

(1) محمد الصغير، بن المختار: تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان، مخطوط بصيغة PDF، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1916، ص ص 1- 27.

(2) Féraud L., Charles: «Notes historique...5emP », … N°26, 1882, pp376- 386.

(3) فارس، كعوان: المرجع السابق، ص ص49- 50.

(4) أبو القاسم، سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي1830م- 1954م، ج7، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص ص 329- 334.

(5) نفسه، ص 336.

(6) فارس، كعوان: المرجع السابق، ص ص 96- 98.

(7) نفسه، ص ص 59- 62.

(8) أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر ... ج7، المرجع السابق، ص 395.

(9) فارس، كعوان: المرجع السابق، ص ص 159- 160.

المنطقة	اسم المُؤلف (ميلاده- وفاته)	عنوان الكتاب	تاريخ التأليف	محتوى الكتاب
الاغواط	محمد بن بوزيدي الخالدي	كتاب التحقيق	غير معروف	يؤرخ لنسب قبيلة الشرفة بجبال العمور التي ينتمي إليها[1].
وادي ميزاب	محمد بن الشتيو بن سليمان بن عمر 1880م- 1925م	تاريخ القرارة	1880م	تاريخ تأسيس مدينة القرارة .[2]
	إبراهيم بن أيوب	تاريخ بني يزقن	1890م	تاريخ مدينة بني يزقن منذ التأسيس حتى عصر المؤلف .[3]
	الشيخ محمد بن يوسف أطفيش 1820م- 1914م	الرسالة الشافية في بعض تواريخ وادي ميزاب	1880م	نبذة تاريخية حول بني ميزاب [4].
توات	محمد بن عبد الكريم البكري	درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام	غير معروف	تاريخ توات منذ التأسيس حتى عصر المؤلف [5].
	الحاج ادّا محمد بن الحاج محمد سالم اليومرادي 1930م – 1992م	تاريخ قورارة	1959م	تاريخ قورارة منذ القرن 15م ووصولا إلى القرن 20م[6].
	عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمان التنلاني تاريخ الميلاد غير معروف- 1849م	الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية	غير معروف	يؤرخ لسير مشايخ وصلحاء توات منذ القرن 16م [7].
	محمد بن عبد الكريم الأدراري 1882م- 1974م	جوهرة المعاني في تعريف ما ثبت لدي من علماء الألف الثاني	غير معروف	تراجم لعلماء توات [8].
	عبد الرحمن سلكة	ملاحظة حول توات	1913م	ذكر كل ما يتعلق بمنطقة توات من جميع النواحي [9].
الهقار	إبراهيم ولد سيدي 1864م- تاريخ الوفاة غير معروف	نسب سكان الهقار	غير معروف	أصول عدد من قبائل الهقار [10].

جدول مؤلفات مؤرخي الاغواط، وادي ميزاب، توات والهقار، خلال القرنين 19م و20م

(1)Arnaud: «Les Tribus Cheurfa: Traduction d'un fragment du livre de la vérité», R.A, A. Jourdan, Libraire-éditeur - Algérie, N°17,1873, pp208- 214.

(2)Motylinski,(AU Capitaine): «Notes historiques sur le Mzab: Guerara depuis sa fondation 1erP », R.A, A. Jourdan, Libraire-éditeur - Algérie, N°28,1884, pp374- 391,Voir: Motylinski, (AUCapitaine): «Notes historiques…2emP » R.A, A. Jourdan, Libraire-éditeur - Algérie, N°28,1884, pp 401-447.

(3) Brahim, ben Youb: Op.cit. pp 1 -16

(4) محمد بن يوسف، أطفيش: المصدر السابق، ص ص 18- 41.

(5) نفسه، ص ص 321- 324.

(6) Rachid, Bellil: Ksour et Saints du Gourara dans la tradition orale, l’hagiographie et les chroniques locales, Alger, 2003,C.C.D.S, pp287- 290.

(7) فارس، كعوان: المرجع السابق، ص ص 71- 74.

(8) نفسه، ص ص 117- 120.

(9) Abderrahmane, Selka: Op.cit. pp522 - 555.

(10)A.W.C:Henri, Duveyrier: Op.cit. pp 318 - 322.

الملحق 13:

الطريقة	الطريقة الفرعية	مؤسسها	مناطق انتشارها بالجنوب	عدد زواياها	عدد المقاديم	عدد مريديها (أتباع)
الشاذلية	الشاذلية (الأصل)	الشيخ أبي الحسن الشاذلي المتوفى سنة 1258م	عين الصفراء	/	02	347
			جيريفيل (البيض)	/	01	02[1]
			بسكرة	/	/	125[2]
	الشيخية	عبد القادر بوسماحة (المعروف بسيدي الشيخ) المتوفى سنة 1615م [3]	غرداية	/	03	1176
			عين الصفراء	/	06	197
			جيريفيل (البيض)	05	06	120[4]
	العيسوية	الشيخ محمد بن عيسى المتوفى سنة 1526م [5]	الأغواط [6]	/	/	/
	السنوسية	الشيخ محمد بن علي السنوسي (1800م-1859م) [7]	ورقلة	/	/	05
			بوسعادة	/	1	10 (إحصائية سنة 1882م) [8]
				/	/	14 (إحصائيةسنة 1897م) [9]
	الكرزازية (الأحمدية أو الزيانية)	الشيخ احمد بن مولى الحسني مولى كرزاز المتوفي سنة 1608م [10]	المشرية	/	11	258
			عين الصفراء	/	04	107
			جيريفيل (البيض)	/	/	294
			طولقة	/	02	40 [11]
	الدرقاوية	محمد العربي الدرقاوي المتوفي سنة 1823م[12]	افلو	/	/	12
			المشرية	/	01	185
			عين الصفراء	/	01	25[13]
	المدنية	الشيخ محمد بن حمزة المدني[14]	غرداية	/	01	240
			الجلفة	/	01	30
			الاغواط	01	04	876
			بوسعادة	01	01	144[15]
المجموع				07	45	4207

جدول مناطق انتشار الطريقة الشاذلية بالجنوبالجزائري وتعداد مريديها خلال القرن 19م

(1) Louis, Rinn: Op.cit. p.p 211, 275

(2) Octave Depont, Xavier Coppolani: Op.cit.p 454.

(3) أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر ... ج4، المرجع السابق، ص 103.

(4) Louis, Rinn: Op.cit. p 368.

(5) أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر ... ج4، المرجع السابق،ص 81.

(6) Louis, Rinn: Op.cit. p 333.

(7) أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر ... ج4، المرجع السابق،ص 244.

(8) Louis, Rinn: Op.cit. p 514.

(9) Octave Depont, Xavier Coppolani: Op.cit. p 569.

(10) Louis, Rinn: Op.cit. p342.

(11)Octave Depont, Xavier Coppolani: Op.cit.p 502.

(12) Ibid. p 506.

(13) Ibid. pp510- 511

(14) أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر ... ج4، المرجع السابق،ص 122.

(15) Octave Depont, Xavier Coppolani: Op.cit. p519.

الطريقة	مؤسسها	مناطق انتشارها بالجنوب	عدد زواياها	عدد المقاديم (الشيوخ)	عدد مريديها(أتباع)
القادرية	عبد القادرالجيلاني (1079م- 1165م) [1]	المشرية	/	02	40
		عين الصفراء	/	/	20
		ورقلة	/	16	1364
		غرداية	/	09	504
		الجلفة	/	/	14
		الاغواط	01	05	401
		القليعة (المنيعة)	01	01	180
		بسكرة	/	01	142
		تقرت	01	21	1742
		وادي سوف	05	03	2305
		جيريفيل (البيض)	/	08	744
		طولقة	/	03	93[2]
المجموع			08	69	7549

جدول مناطق انتشار الطريقة القادرية بالجنوب الجزائري وتعداد مريديها خلال القرن 19م

الطريقة	مؤسسها	فروعها	مناطق انتشارها بالجنوب	عدد زواياها	عدد المقاديم	عدد مريديها(أتباع)
التيجانية	الشيخ احمد بن محمد بن المخطار بن سالم التيجاني(1737م- 1815م) [3]	عين ماضي وتماسين	عين الصفراء	/	01	05
			جيريفيل (البيض)	/	10	165
			أفلو	/	01	1129
			المشرية	/	/	01
			ورقلة	/	02	17
			غرداية	/	02	51
			الجلفة	/	02	254
			الأغواط	02	32	6460
			بوسعادة		01	55
			بسكرة	/	/	210
			تقرت	08	18	4614
			أولاد جلال	/	/	02
			وادي سوف	07	/	4344[4]
المجموع				17	69	17307

جدول مناطق انتشار الطريقة التيجانية بالجنوب الجزائري وتعداد مريديها خلال القرن 19م

---

[1] أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر ... ج4، المرجع السابق،ص 42.

[2] Octave Depont, Xavier Coppolani: Op.cit. pp 313- 315.

[3] Louis Rinn: Op.cit. p 416.

[4] Octave Depont, Xavier Coppolani: Op.cit. pp 437- 438.

قائمة المصادر والمراجع

I) المصادر

1)Archives:

1.1) A.N.A:

-SérieE: Fonds du G. G. A (1840- 1962)

- Sous Série 5E: Direction des Territoires du Sud (1870 – 1962)

- Boite N°496:Exposé de la situation générale des Territoires du Sud de l’Algérie (1903- 1941)

-Charles, Lutaud: Exposé de la situation générale des Territoires du Sud de l’Algérie, Année1913, Imprimerie Typographie Adolphe Jourdan , Alger, 1914.

-// //: Exposé de la situation générale des Territoires du Sud de l’Algérie, Pendant les Années 1914 et 1915, Imprimerie Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1916.

-Théodore, Steeg: Exposé de la situation générale des Territoires du Sud de l’Algérie, 2emP l'œuvre accomplie 1er Janvier 1903- 31 Décembre 1921, Imprimerie Ancienne Maison Bastide- Jourdan, Alger, 1922.

-Boite N°618:Statistique Financière de l'Algérie, Algérie du Nord et Territoires du Sud (1904- 1947)

-G.G.A: Statistique Financière de l'Algérie, Algérie du Nord et Territoires du Sud, Année 1914, Agha-Alger Imprimerie Agricole et Commerciale, Alger, 1921.

1.2) A.W.C:

Série A.E: Mœurs et Coutumes: (العادات والتقاليد)

- A.E 13(1): G. G.A: Exposé de la situation générale des Territoires du Sud de l’Algérie, 1erP Ce qu'ils sont- Pourquoi ils ont été créés, Imprimerie Algérienne, Alger, 1929.

- A.E 13(2) : // //: Exposé de la situation générale des Territoires du Sud de l’Algérie, 2[er]P l'œuvre accomplie 1[er] Janvier 1903- 31 Décembre 1929, Imprimerie Algérienne, Alger, 1929.

-A.E15: Bissuel,Henri: Le Sahara français conférence sur les questions sahariennes faite les 21 et 31 mars 1891 aux officiers de la garnison de Médéa- avec carte, Jourdan librairie, Alger, 1891.

A.E 23 : Joseph, Zaccone: De Batna a Tuggurt et Au Souf, Libraire Militaire, Paris, 1865.

-A.E30: Robin (Commandant) : Le Mzab et son annexion à la France, Jourdan librairie, Alger, 1884.

- A.E 31: Bissuel, Henri : Les Touareg de l'ouest, Jourdan librairie, Alger, 1888.

-A.E35: Duveyrier, Henri: Exploration du Sahara. Les Touareg du Nord, Challamel librairie, Alger, 1864.

1.3) A .W.O:

1.3.1- AP: Catalogue des Revues, Ordre des Cotes(فهرس المجلات، الترتيب حسب التصنيف)

- AP 001: B.S.G.A.O(1878 – 1927)

- Anonyme : «Les caravanes du Sud oranais en (1904 – 1905) », B.S.G.A.O, Oran, T25 ,1905, pp 311- 348.

-Messier,(C): «Territoire militaired'Ain-Sefra Sud-oranais, Exposé de la situation géographique, administrative, sociale et financièrede1906 à 1912, 2[em]P»,B.S.G.A.O, Oran, T34 ,1914, pp 145- 228.

-// //: «Territoire militaire d'Ain-Sefra Sud-oranais. Exposé de la situation géographique, administrative, sociale et financière de1906 à 1912, 3[em]P»,B.S.G.A.O,

Oran, T34 ,1914, pp 282 - 452.

-Voinot, (Lieutenant): «Le Tidikelt, étude sur la géographie, l'histoire et les mœurs du pays 2emP», B.S.G.A.O, Oran, T29 ,1909, pp 419- 480.

- AP 075 : B.L.R.F

-Loi du 24 Décembre 1902, B.L.R.F, N2430, Imprimerie Nationale, Paris, 1903, pp 535- 536.

- Décret du 01 Avril 1902, B.L.R.F, N 2365, Imprimerie Nationale, Paris, 1903, pp 176- 191.

- Décret du 22 Avril 1904, B.L.R.F, N 2543, Imprimerie Nationale, Paris, 1904, pp 253- 254.

1.3.2- J.O.R.F:

- Décret du 14 Août 1905, J.O.R.F, Paris, N 222, 18 Août 1905, pp 5029- 5030.

- Fouge, Rousse: « Notes sur la situation économique de l'Algérie, Les Territoires du Sud », J.O.R.F, Paris , N 298 , 02 et 03 Novembre 1907, pp 7550- 7551.

- Décret du 10 avril 1907, J.O.R.F, Paris, N 108, 21 Avril 1907, p 3051.

2) الكتب:

1.2) بالفرنسية:

1) Augustin, Bernard, Napoléon Lacroix, La Pénétration Saharienne 1830-1906, Imp. Algérienne, Alger, 1906.

2) Benjamin, Deporter Victor: La Question du Touat, Sahara Algérien, Gourara-Touat-Tidikelt,Caravanes et Transsaharien, Imprimerie Fontana, Alger, 1891.

3) Benjamin,Gastineau: Les femmes et les mœurs de l'Algérie, Paris, 1861.

4) Ben Youb, Brahim: Histoire du M'zab Beni-Isguen, Imprimerie Schwab Welling,

Constantine,1890.

5) Bosselard, Henri: Les Deux Missions Flatters au Pays Des Touareg Azdjer et Hoggar, 2^{em}É^{d} , LibrairieFurme Jouvet et C^{ie}, Éditeurs , Paris , 1889.

6) Cambon, Jules: Documents pour servir à l'étude du Nord Ouest africain, T2, G. G.A, Alger 1897.

7) // //: Documents pour servir à l'étude du Nord Ouest africain, T3, G. G.A , Alger 1897.

8) Charles, Amat: Le M’zab et les M’zabites, Challamel et C^{ie} Éditeur, Paris, 1888.

9) Colonieu, Victor: Le tracé central du chemin Trans-saharien, imprimerie de E. huilier, paris, 1880.

10) Depont Octave, Xavier Coppolani: Les Confréries religieuses Musulmanes Adolphe Jourdain, Alger, 1897.

11) Duponchel, Adolphe: Le Chemin de Fer Trans-saharien, Jonction Colonial, entre l’Algérie et le Soudan, Etudes Préliminaires du Projet et Rapport de Mission, avec Cartes Générale et Géologique, Topographie et Lithographier de Boehm, Paris, 1878.

12) Eberhardt, Isabelle: Mes Journaliers, édité par René Louis Doyon, Paris, 1926.

13) Eugène, Fromentin: Un été au Sahara, Librairies Plon, Paris, 1952.

14) Foureau, Fernand: Rapport sur ma Mission au Sahara et chez les Touareg Azdjer, Octobre 1893 –Mars 1894, Augustin Challamel Éditeur, Paris, 1894.

15) Foureau, Fernand: Mission chez les Touareg Mes deux itinéraires Sahariens d’octobre, 1894 –Mia 1895, Augustin Challamel Éditeur, Paris, 1895.

16) Jacquot, Félix: Expédition du Général Cavaignac dans le Sahara Algérienen Avril et Mai 1847, Gide et J. Baudry, Libraires-éditeurs, Paris, 1849.

17) G.G.A: Tableau général des communes de l'Algérie 1892, Imprimerie Pierre Fontana et Compagnie, Alger, 1892.

18) // //: Tableau général des communes de l'Algérie 1902, Imprimerie V[tm] Giralt, Alger, 1902.

19) Jonnart, Charles: Exposé de la situation générale des Territoires du Sud de l’Algérie , Année 1907, Imprimerie Administrative Victor Heintz , Alger, 1908.

20) // //: Exposé de la situation générale des Territoires du Sud de l’Algérie, Année 1909, Imprimerie Typographie Adolphe Jourdan , Alger, 1910.

21) // //: Exposé de la situation générale des Territoires du Sud de l’Algérie, Année 1911, Imprimerie Typographie Adolphe Jourdan , Alger, 1912.

22) // //: Exposé de la situation générale des Territoires du Sud de l’Algérie, Année 1912, Imprimerie Typographie Adolphe Jourdan , Alger, 1913.

23) // //: Exposé de la situation générale des Territoires du Sud de l’Algérie, Année 1913, Imprimerie Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1914.

24) Joseph Eugène, Dumas Melchior: Le Sahara Algérien, Fortin, Masson et C[ie], Paris, 1845.

25)////: Mœurs et Coutumes de L’Algérie Tell, Kabylie, Sahara, Librairie de L. Hachette et C[ie], Paris, 1855.

26) // //: Le Grand Désert, ou Itinéraire d'une caravane du Sahara au pays des Nègres royaume de Haoussa, Imprimerie et Librairie Centrales de Napoléon Chaix et C[ie], Paris, 1848.

27) Hurabielle, Jean: Au Pays du bleu Biskra et les oasis environnantes, Augustin Challamel Éditeur, Paris, 1899.

28) Lenz, Oscar : Tombouctou, Voyage au Maroc, au Sahara et au Soudan, T1, Paris, Librairie Hachette et C[ie], 1886.

29) // //: Tombouctou, Voyage au Maroc, au Sahara et au Soudan, T2, Paris, Librairie Hachette et C[ie], 1887.

30) Mangin, E: Notes Sur L'Histoire de Laghouat, Adolphe Jourdan- Libraire-Editeurs, Alger, 1895.

31)Martin,A.G.P: Oasis Sahariennes, Gourara-Touat-Tidikelt, Edition de l'imprimerie algérienne Alger, 1908.

32) Mircher, Hippolyte: Mission de Ghadamès (septembre, octobre, novembre et décembre 1862), Rapport officiel et document à l'appui, Typographie declaux, Alger, 1863.

33) Neil, Odilon: Géographie de l'Algérie, R.Gauvy libraire, Bône, 1876.

34) Paul, Eudel: D'Alger à Bou-Saada, Augustin Challamel Éditeur, Paris 1904.

35) Rinn, Louis: Marabouts et Khouans, étude sur l'Islam en Algérie, Alger Adolphe Jourdain,Libraire Editeur, Alger, 1884.

36) Rolland,Georges: Rapport Hydrologie du Sahara Algérien, Imprimerie Nationale, Paris,1895, C.C.D.S,Cote : 00899202.

37) Schirmer, Henri: le Sahara, librairie Hachette et Cie, Paris, 1893.

38) Soleillet, Paul: Exploration du Sahara Central: Voyage de Paul Soleillet D'Alger À L'Oasis D'in-Salah, Rapport Présenté À La Chambre de Commerce D'Alger, Typographie et Lithographie, a Jourdan, Alger, 1875.

39) // //: L'Afrique Occidentale: Algérie, Mzab, Tidikelt, Avignon Imprimerie de F. Seguin Aîné, Paris, 1877.

40) Trumelet, Corneille (colonel) : Les Français Dans Le Désert Journal d’une expédition aux limites du Sahara algérien, Garnier Frères, Libraire- éditeurs, Paris, 1863.

2.2) المعربة:

41) دوما، دوك دي: الصحراء الجزائرية، ترجمة قندوز عباد فوزية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2013.

42) كاريت إنتوان،دي رينو بيليسييه: الاستكشاف العلمي للجزائر خلال أعوام 1840م، 1841م، 1842م، العلوم التاريخية والجغرافية، أبحاث حول اصل وهجرات أهم القبائل في إفريقيا الشمالية والجزائر خاصة، ج6، ترجمة حمزة الأمين يحياوي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.

43) ترومليبه، كورنيال: الفرنسيون في الصحراء يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية، ترجمة محمد المعراجي، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2013.

3.2) بالعربية:

44) أطفيش، محمد بن يوسف: الرسالة الشافية في بعض تواريخ وادي ميزاب، مخطوط بصيغة PDF، د.د.ن، الجزائر،1880.

45) بن المختار، محمد الصغير: تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان، مخطوط بصيغة PDF، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1916.

46) الساسي، العوامر إبراهيم محمد: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف،تعليق الجيلاني بن إبراهيم العوامر، منشورات ثالة، الجزائر، 2007.

3) المجلات والنشريات:

1) Antoine, Ardaillon (Lieutenant): «Notes sur les Touareg Ajjer » , B.S.G.A , Alger, T16 , 1911, pp 355 -372, http:// gallica.bnf.fr.

2) Arnaud: «Les Tribus Cheurfa: Traduction d'un fragment du livre de la vérité»,

R.A, A. Jourdan, Libraire-éditeur- Algérie, N°17,1873, pp 208- 214, http://www.algerie-ancienne.com.

3) Barges, L'Abbé: « Tableau historique de la dynastie des Ben Djellab sultans de Touggourt, par l'imam Cid El Hadj Mohamed Elldrisi », R.O.A.C, Just Rouvier, Paris, T3, 1853, pp 219- 227, http:// gallica.bnf.fr.

4) Calderaro: «Béni Goumi», B.S.G.A, Alger, 1904, pp 307- 352, http:// gallica.bnf.fr.

5) Chalet, (Lieutenant): «Les Palmiers du M'Zab» , B.S.G.A , Alger, 1905,pp11 - 87.http:// gallica.bnf.fr.

6) Hernie, Le Baron (AU Capitaine) : «Notice sur Bou Saada », R. A, A. Jourdan, Libraire-éditeur Algérie, N°06,1862, pp 46- 61, http://www.algerie-ancienne.com.

7) Charles, Féraud: «Notes historiques sur la province de Constantine. Les Ben-Djellab, sultans de Touggourt 5emP », R.A, A. Jourdan, Libraire-éditeur Algérie, N°26,1882, pp 361- 386, http://www.algerie-ancienne.com.

8) // //: «Notes historiques sur la province de Constantine. Les Ben-Djellab, sultans de Touggourt 2emP», R.A, A. Jourdan, Libraire-éditeur Algérie, N°30,1886, pp 259- 274, http://www.algerie-ancienne.com.

9) // //: «Notes historiques sur la province de Constantine. Les Ben-Djellab, sultans de Touggourt 5emP)», R.A, A. Jourdan, Libraire-éditeur Algérie, N°30,1886, pp 419- 439, http://www.algerie-ancienne.com.

10) Colonieu, Victor: « Voyage au Gourara et à l'Auogurout », B.S.G, T14, Société de géographie, Paris, 1893, pp 53- 97, http:// gallica.bnf.fr.

11) Deverier, Henry: «Coup d'œil sur les pays des BeniM'zab et sur celui des Chaanba Occidentaux», R.A.C, Librairie de L. Hachette et Cie, Paris, T2, Janvier-juin

1860, pp 125- 141, http:// gallica.bnf.fr.

12) Douls, Camille: «Voyage d'Exploration à Travers le Sahara Occidental et le Sud Marocain » B.S.G, T9, Société de géographie, Paris, 1898, pp 437- 469, http:// gallica.bnf.fr.

13) G.G.A : «Notes pour Servir a l'Historique d'Ouargla 1885 », R. A, A. Jourdan, Libraire-éditeur - Algérie, N°64,1923, pp 381-442, http://www.algerie-ancienne.com.

14) Laquiérs, E: «Le préhistorique dans le Sahara et le haut-pays Oranais», R.A, A. Jourdan, Libraire-éditeur - Algérie, N°50, 1906, pp 204- 233, http://www.algerie-ancienne.com.

15) Lehuraux, (Capitaine): «Le statut territorial des Territoires du Sud de l'Algérie », R. A, A. Jourdan, Libraire-éditeur - Algérie, N°81, 1937, pp 169- 184, http://www.algerie-ancienne.com.

16) Mangin, E: «Notes sur l'histoire de Laghouat, 1er P », R. A, A. Jourdan, Libraire-éditeur - Algérie, N°38, 1894, pp: 79- 108, http://www.algerie-ancienne.com.

16) // // : «Notes sur l'histoire de Laghouat , 5emP », R. A, A. Jourdan, Libraire-éditeur Algérie, N°39,1895, pp :109-163, http://www.algerie-ancienne.com.

17) Motylinski,(AU Capitaine): «Notes historiques sur le Mzab : Guerara depuis sa fondation 1erP », R.A, A. Jourdan, Libraire-éditeur - Algérie, N°28,1884, pp 374-391, http://www.algerie-ancienne.com.

18) // //: «Notes historiques sur le Mzab : Guerara depuis sa fondation 2emP », R.A, A. Jourdan, Libraire-éditeur - Algérie, N°28,1884, pp 401- 447, http://www.algerie-ancienne.com.

19) Selka, Abderrahmane: «Notice sur le Touat » , B.S.G.A , Alger, N87 à 92, 1922,

pp 522 - 555, http:// gallica.bnf.fr.

20) Voinot, (Capitaine) : «Transsaharien et Transafricain », B.S.G.A, Alger,1913, pp 39- 107, http:// gallica.bnf.fr.

21) Voinot, (Lieutenant) : « Quelque dessin et inscription sur le préhistorique du Sahara centre», R.A, A. Jourdan, Libraire-éditeur - Algérie, N°70,1929, pp 347- 357, http://www.algerie-ancienne.com.

22) Watin, Louis: «Origines des populations du Touat», B.S.G.A, Alger, 1905, pp 209- 246, http:// gallica.bnf.fr.

4) الجرائد:

1.4) بالعربية:

- جريدة المبشر، ورود الأخبار من جميع الأقطار:

- 30 أوت 1849م.
- 30 أكتوبر 1849م.
- 15 نوفمبر 1849م.
- 30 نوفمبر 1849م.
- 30 مارس 1854م

2.4) بالفرنسية:

- Colonieu,Victor: « Voyage dans le Sahara algérien, de Géryville à Ouargla », le Tour de Monde, paris, 1862, pp 161- 199, http:// gallica.bnf.fr.

5) الخرائط:

- Warnier, Auguste: Carte de l'Algérie divisée par Tribus, **http:// gallica.bnf.fr,** heure: 10:44, date: 15/ 05/ 2020.

II) المراجع

1) الكتب:

1.1) بالعربية:

1) بوعزيز، يحي: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830م- 1954م، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 2007.

2) // //: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دار البصائر للنشر والتوزيع،الجزائر ، 2009.

3) // //: ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20م،ج1، دار البصائر، الجزائر، 2009.

4) بوشارب، عبد السلام: الهقار أمجاد وأنجاد، منشورات المتحف الوطني للمجاهد،الجزائر، 1986.

5) البوشيخي، محمد ابن الطيب، أولاد سيدي الشيخ الشراقة والغرابةالتصوف والجهاد والسياسة، ط3، مطبعة أطلال، وجدة، 2013.

6) بلاح، بشير: تاريخ الجزائر المعاصر من 1830م إلى 1989م،ج1، دار المعرفة،الجزائر، 2006.

7) داود، عمر: الحركة التبشيرية في الجزائر، نشاط الآباء والأخوات البيض في غرداية، مقاربة سوسيو- تاريخية،دار نزهة الألباب، الجزائر، 2016.

8) هلال، عمار: الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847م-1918م، دار هومه، الجزائر،2007.

9) حوتية، محمد الصالح: توات والأزواد خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، ج1، دار الكتاب العربي،الجزائر، 2007.

10) المدني، احمد توفيق: كتاب الجزائر، المطبعة العمرية،الجزائر، 1931.

11) مياسي، إبراهيم: توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881م- 1912م، منشورات المتحف الوطني للمجاهد،الجزائر، 1996.

12) // //: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837م – 1934م، دار هومه،الجزائر، 2005.

13) // //: مقاربات في تاريخ الجزائر 1830م- 1962م، ط3، دار هومه، الجزائر، 2016.

14) // //: من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

15) مرموري، أحمد: التوراق بين السلطة التقليدية والإدارة الاستعمارية في بداية القرن العشرين، منشورات

المجلس الأعلى للغة العربية،الجزائر، 2010.

16) النوري، حمو محمد عيسى: دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا مج1، د. د .ن، باريس، 1984.

17) سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي1830م- 1954م، ج3، دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1998.

18) // //: تاريخ الجزائر الثقافي1830م- 1954م، ج4، دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1998.

19) // //: تاريخ الجزائر الثقافي1830م- 1954م، ج6، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

20) // //: تاريخ الجزائر الثقافي1830م- 1954م، ج7، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

21) عبد المنعم،سعد: من تاريخ كفاح الجزائر، حروب قطاع وهران- العين الصفراء، المقاومة الشعبية 1830م – 1934م، ج1، دار القدس العربي، وهران، 2013.

22) خليفي، عبد القادر: المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.

23) عميراوي، أحميد: زواية سليم، قاصري محمد السعيد،السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844م- 1916م، دار الهدى، الجزائر، 1992.

24) العربي، إسماعيل: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

25) فركوس، صالح: تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي، المقاومة المسلحة 1830م- 1962م، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2012.

26) // //: إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي في ضوء شرق البلاد 1844م- 1871م، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

27) قنان، جمال: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994.

28) القشاط، محمد السعيد: التوارق عرب الصحراء الكبرى، ط2، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، القاهرة، 1989.

29) شهبي، عبد العزيز: الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2007.

2.1) بالفرنسية:

30) Bellil, Rachid: Ksour et Saints du Gourara dans la tradition orale, l'hagiographie et les chroniques locales, Alger, 2003, C.C.D.S, Cote : 00930060.

31) Bouchène, Abderrahmane, AL: Histoire de l'Algérie a la période coloniale 1830 – 1962, Éditions Barzakh , Alger, 2012.

32) Peyronnet,Raymond (Commandant): Livre d'or des officiers des affaires indigènes 1830 – 1930, T1, Imprimerie Algérienne, Alger : 1930.

33) Gouvion, Edmond: Kitab Aayane el Marhariba, Département d'Alger, Imprimerie Fontana Freres, Alger, 1920,C.C.D.S, Cote: 00810018.

34) Lyautey, Pierre: Vers le Maroc, Lettre Du Sud Oranais 1903-1906, Librairie Armand Colin, Paris 1937.

35) Yves,Régnier: LesChaamba sous le régime français, Les EditionsDomat Montchrestien, Paris, 1933, C.C.D.S, Cote : 0098 0100.

2) الرسائل والأطروحات الجامعية:

1.2) الرسائل:

1) بن موسى، موسى: الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها 1900م–1939م، تحت إشراف ا.د/ احمد صاري، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تخصص: حركات التحرر في المغرب العربي،جامعة منتوري– قسنطينة، السنة الجامعية، 2005– 2006.

2) بن قيطون، حمزة: المشروع الاستيطاني بإقليم عين الصفراء العسكري 1882م– 1914م، تحت إشراف ا.د/ دادة محمد، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران 1، السنة الجامعية، 2014– 2015.

3) جراية، محمد رشدي: الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث (6100 ق.م – 1000 ق.م) ،

تحت إشراف أ. د/ عبد العزيز بلحرش، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، تخصص: تاريخ الحضارات القديمة، جامعة منتوري – قسنطينة، السنة الجامعية، 2007- 2008.

4) دواس، أحسن: صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين مقاربة سوسيو ثقافية،تحت إشراف ا.د/ الأخضر عيكوس، رسالة ماجستير في تخصص الأدب المقارن،جامعة منتوري–قسنطينة،السنة الجامعية، 2007- 2008.

5) الحاج إبراهيم، الحاج أمحمد: المؤسسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية في نهاية ق19م، مزاب والأهقار نموذجا، تحت إشراف أ. د/ فاطمة الزهراء قشي، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 2، السنة الجامعية، 2011- 2012.

6) دعاشي، سميرة: الاهتمام الفرنسي بالتجارة في الصحراء و إفريقيا مابين 1850م- 1945م، تحت إشراف ا.د/ فلة موساوي القشاعي، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة غرداية، السنة الجامعية، 2014- 2015.

7)هاشمي، أمال: الوضع الاجتماعي والفكري لطوارق الهقار من خلال الكتابات الفرنسية في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، تحت إشراف ا.د/ عبد المجيد بن نعيمة، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية، 2007- 2008.

8) زقب، عثمان: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة واد سوف 1918م-1947م وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا،تحت إشراف د/ يوسف مناصرية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، السنة الجامعية، 2005- 2006.

9) حاج أمحمد، حاج إبراهيم: المؤسسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية في نهاية القرن 19م (مزاب والأهقار نموذجا)، تحت إشراف ا.د/ فاطمة الزهراء قشي، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 2،السنة الجامعية، 2011-2012.

10) عباز، الأزهاري: نظام المشايخ في ورقلة بين العهدين العثماني والفرنسي خلال (1603م- 1884م)، تحت إشراف د/ عاشور قمعون، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، السنة الجامعية، 2013-2014.

11) عزام عوادي، عبد القادر: هجرة سكان بني ميزاب إلى تونس ودورهم السياسي والفكري في الحياة التونسية خلال الفترة 1881م- 1956م، تحت إشراف د/ خير الدين شترة ، رسالة ماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور، جامعة أحمد دراية – أدرار،السنة الجامعية، 2015- 2016.

12) عطاسي، عيسى: صورة الجزائر في أدب الرحلات الفرنسي" صيف في الصحراء " لفرومنتين نموذجا، تحت إشراف د/ احمد منور، رسالة ماجستير في تخصص الأدب العربي،جامعة الجزائر،السنة الجامعية، 2005- 2006.

13) شافو، رضوان: مقاومة منطقة تقرت وجوارها للاستعمار الفرنسي (1852م- 1875م)، تحت إشراف ا.د/ أبو القاسم سعد الله، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر،جامعة الجزائر،السنة الجامعية، 2006- 2007.

14) تلمساني، بن يوسف: الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم بالجزائر (الحكم العثماني، الأمير عبد القادر، الإدارة الاستعمارية) 1782م- 1900م، تحت إشراف د/ ناصر سعيدوني، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 1997- 1998.

2.2) الأطروحات:

1) بابا، عبد الله: الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات إبان الاحتلال الفرنسي (1900م-1962م) من خلال السجلات المحكمة الشرعية،تحت إشراف د/ مبارك جعفري، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أحمد دراية- أدرار، السنة الجامعية، 2018- 2019.

2) بلجة، عبد القادر: مسألة التجنيد في الجيش الفرنسي وانعكاساتها على المجتمع الجزائري 1907م-1945م، تحت إشراف ا.د/ محمد مجاود،أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة جيلالي ليابس- سيدي بلعباس،السنة الجامعية، 2015- 2016.

3) برشان، محمد: الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في منطقة بشار 1903م-1962م،تحت إشراف ا.د/ بن نعيمة عبد المجيد،أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة وهران،السنة الجامعية، 2012- 2013.

4) داعي، محمد: الأقلية الأوربية في الجزائر 1945-1962،تحت إشراف ا.د/ محمد مجاود،أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة جيلالي ليابس- سيدي بلعباس، السنة الجامعية، 2014- 2015.

5) حباش، فاطمة: المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري 1844م- 1870م (تيارت- سعيدة – جيرفيل البيض) نماذجا،تحت إشراف ا.د/ بن نعيمة عبد المجيد،أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، السنة الجامعية، 2013-2014.

6) حوتية، فطيمة الزهراء: السياسة الفرنسية في الجنوب الغربي الجزائري وردود فعل الثورة التحريرية (1954م-1962م) ، تحت إشراف د/ نظيرة شتوان،أطروحة دكتوراه (ل.م.د) تخصص تاريخ الثورة التحريرية،جامعة جيلالي بونعامة- خميس مليانة،السنة الجامعية، 2016-2017.

7) كعوان، فارس: المؤرخون الجزائريون و نمو الوعي التاريخي 1830م-1962م مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري،تحت إشراف ا.د/ عبد الكريم بوصفصاف،أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ المعاصر،جامعة منتوري- قسنطينة،السنة الجامعية،2011- 2012.

8) مجدوب،كريمة: الاستعمار انعدام الأمن وإشكالية المقاومة الشعبية والهامشية في القطاع الوهراني (1881- 1920م)، تحت إشراف ا.د/ بلقاسمي بوعلام، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، السنةالجامعية، 2009-2010.

9) لكحل، الشيخ: مقاومة منطقة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي في الفترة مابين1851م-1908م، تحت إشراف د/ محمد الزين، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة جيلالي ليابس- سيدي بلعباس،السنة الجامعية، 2017- 2018.

10) فرج، محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين 18 م و19م، دراسة لأوضاع الإقليم السياسية والاجتماعية الاقتصادية والثقافية، مع تحقيق كتاب القول البسيط في أخبار تمنطيط لمحمد بن بابا حيدة، تحت إشراف د/ أبو القاسم سعد الله ، أطروحة دكتوراه في التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1977.

12) مرجاني، عبد القادر: السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19، تحت إشراف ا.د/ محمد مجاود،أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة جيلالي ليابس- سيدي بلعباس،السنة الجامعية، 2019- 2020.

13) سعدي، خميسي: بوسعادة في العهد الاستعماري 1849م- 1939، تحت إشراف ا.د/ عبد القادر مولاي،أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة الجزائر2،السنة الجامعية، 2016- 2017.

14) شافو، رضوان: الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة أنموذجا 1844- 1962، تحت إشراف ا.د/ تلمساني بن يوسف،أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة الجزائر2،السنة الجامعية، 2011- 2012.

15) غنابزية، علي: مجتمع واد سوف من الاحتلال الفرنسي إلى الثورة التحريرية الجزائرية 1300هـ - 1374هـ / 1882م- 1954م،تحت إشراف ا.د/ عمر بن خروف، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 2008- 2009.

16) خنفار، حبيب: المقاومة الشعبية للتوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الشرقي 1850- 1914م، تحت إشراف أ.د/ مجاود محمد، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، السنة الجامعية، 2019- 2020.

3) المجلات:

1.3) بالعربية:

1) أوزايد، بالحاج: « جهود الشيخ أطفيش الإصلاحية ومواقفه الوطنية »، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، ع12، 2011، ص ص 191- 203.

2) ايلال، نور الدين: « الوضع الاقتصادي في إقليم توات قبل 1901م »، المجلة العربية للأبحاث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجلفة، مج13، ع01، جانفي 2021، ص ص 632- 647.

3) بالحاج، ناصر: « السيطرة الفرنسية على منطقة وادي مزاب فيما بين 1853م -1882م »، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عبد الحميد مهري- قسنطينة، مج 6، ع1، جوان 2020، ص ص 349- 362.

4) بوباية، عبد القادر: « دور الرحالة والمستكشفين في حركة التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية »، مجلة عصور جديدة ، جامعة وهران، ع06، 2012، ص ص 19- 28.

5) بوعزيز، يحي: « أضواء على ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864م- 1881م »، مجلة الثقافة، وزارة الإعلام والثقافة- الجزائر، ع51، جوان 1979، ص ص 31- 50.

6) بليل، محمد: « مقاومة الجزائريين لسياسة التوسع الاستعماري بالجنوب الشرقي للجزائر 1850م- 1918م

من خلال الوثائق الأرشيفية »، مجلة روافد للبحوث الدراسات، جامعة غرداية، ع02، ديسمبر 2016، ص ص 3- 32.

7) بن بكير، ابن عمر الحاج موسى: « مشروع الثقافي الفرنسي في الجزائر ومقاومته في مزاب »، مجلة الحياة، معهد الحياة بالقرارة – غرداية، ع 16، 2012، ص ص 202- 216.

8) بن واز، مصطفى: « المستكشفون الأوربيون للصحراء الجزائرية: جرهارد رولفز و اوسكار لانز نموذجان »، المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران، مج10، ع11، 2014، ص ص 337- 352.

9) بكوش عبد الله، فتيحة سيفو: « إشكالية الحدود السياسية للجنوب الجزائري خلال العهد الاستعماري 1845م - 1919م »، مجلة عصور جديدة ، جامعة وهران، مج11، ع03، نوفمبر 2021، ص ص: 321- 334.

10) برشان، محمد: « التنظيم الإداري في الجنوب الجزائري »، المجلة الخلدونية، جامعة ابن خلدون- تيارت، ع09، جوان 2016، ص ص 177- 191.

11) جعنيط، عيسى: « مقاومة سكان الواحات للاحتلال الفرنسي في القرن 19م، ثورة الزعاطشة، أسبابها، تطورها »، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، ع09، 1995، ص ص 141- 149.

12) جراية، محمد رشدي: « الصحراء الجزائرية: دراسة في الجغرافيا » ، مجلة البحوث والدراسات، جامعة الوادي، ع24، 2017، ص ص 341- 358.

13) دعاشي، سميرة: « جوانب من مظاهر الاهتمام الفرنسي بالتجارة العابرة للصحراء وإفريقيا الغربية 1850م- 1914م »، مجلة روافد للبحوث الدراسات، جامعة غرداية، ع01، ديسمبر 2016، ص ص 75- 109.

14) // //: « الاستثمار الفرنسي للجزائريين في مهمة اختراق الصحراء الجزائرية خلال القرن التاسع عشر ميلادي »، مجلة تاريخ العلوم ، جامعة زيان عاشور- الجلفة، ع11، مارس 2018، ص ص: 160- 174.

15) هاشمي، أمال: « التوسع الفرنسي نحو منطقة الهقار »، مجلة عصور، جامعة وهران، ع18-19، ديسمبر 2012، ص ص 261- 283.

16) هرباش، زاجية: « الصحراء الجزائرية في كتابات المستشرقين الفرنسيين دوماس نموذجا »، مجلة عصور جديدة ، جامعة وهران، ع06، 2012، ص ص 29- 40.

17) وينتن، مصطفى بن ناصر: « موقف الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش من الاستعمار »، مجلة الحياة، معهد الحياة بالقرارة – غرداية، ع 2، جانفي 1999، ص ص 19- 28.

18) حالة، خديجة: « مساهمة المرأة التواتية في الثورة التحريرية الجزائرية »، مجلة الميدان للدراسات الرياضية والاجتماعية والإنسانية، جامعة زيان عاشور- الجلفة، مج 2، ع 7، جوان 2019، ص ص 313- 323.

19) يطو، فتيحة: « الصراع الدولي على الطرق التجارية في الصحراء الجزائرية » ، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية ، جامعة جيلالي ليابس – سيدي بلعباس، مج1، ع1، ص ص 359- 368.

20) // //: « معاهدة الحماية بين وادي ميزاب وفرنسا حقيقتها وعلاقتها بنظام الإلحاق »، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية ، جامعة جيلالي ليابس – سيدي بلعباس، ع01)، 2009، ص ص 65- 72.

21) كيكده، محمد مبارك: « النظام السياسي عند التوارق والتوسع الفرنسي في أقصى الجنوب »، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بالوادي، ع04، يونيو 2013، ص ص 18- 26.

22) موساوي، الطاهر: « الصحراء الجزائرية من الاستكشاف إلى التوغل والاحتلال 1828م – 1934م »، المجلة الخلدونية ، جامعة ابن خلدون – تيارت، ع07، ديسمبر 2014، ص ص 314- 329.

23) مياسي، إبراهيم: « ثورة الشيخ بوعمامة 1881م-1908م »، حوليات جامعة الجزائر، جامعة الجزائر، ع02، 1986، ص ص 299- 326.

24) مرجاني، عبد القادر: « الصحراء الجزائرية من خلال الكتابات الأوربية خلال القرن 19م "بول صوليه أنموذجا" »، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، ع22، 2018، ص ص 146- 167.

25) قاصري، محمد السعيد: « ملامح من الحياة الثقافية بمنطقة المسيلة خلال الحقبة الاستعمارية 1841م- 1941م »، مجلة عصور جديدة ، جامعة وهران، ع16-17، 2014- 2015، ص ص 302- 318.

26) علالي، محمود: « التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية-الأغواط أنموذجا- »، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، جامعة الأغواط، مج 1، ع1، جانفي 2019، ص ص 135- 152.

27) العربي، إسماعيل: « الحياة الاقتصادية والاجتماعية عند طوارق اهجار »، مجلة الأصالة ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية – الجزائر، ع72، أوت 1979، ص ص 36- 50 .

28) شافو، رضوان: « الاحتلال الفرنسي لورقلة وضواحيها، قراءة في الدوافع والمراحل »، مجلة الباحث في

العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المركز الجامعي بالوادي، ع02، ديسمبر 2011، ص ص 82- 91.

29) غنابزية، علي: «المقاومة الشعبية بواد سوف وأثرها على العلاقات مع الجنوب التونسي 1854م- 1882م »، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بالوادي، ع04، يونيو 2010، ص ص 8- 17.

2.3) بالفرنسية:

30) Sifou, Fatiha : «Un aspect de la résistance mozabite contre la domination française 1830-1914 », Dialogue Méditerranéen,Univ Sidi Bel Abbes , V9, N01, Mars 2018, pp 24-40.

4) الملتقيات:

1) مرموري، لحسن:« مكانة المرأة في المجتمع التارقي »، مداخلة على هامش المعرض الدولي الحادي عشر للكتاب، الجزائر، 2007، صص 36- 45.

2) عقبة، السعيد: « الزاوية التيجانية بتماسين ودورها الاجتماعي بالمنطقة »، مداخلة الملتقى الوطني الثاني حول: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12- 13هـ / 18م- 19م من خلال المصادر المحلية، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المركز الجامعي بالوادي- الوادي يومي: 24-25 جانفي 2012، ص ص 149- 157.

3) شيخي، عبد المجيد:« الإدارة الفرنسية في الصحراء حتى الاستقلال »، مداخلة الملتقى الوطني الأول حول: فصل الصحراء عن الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1998، ص ص 213- 222.

5) المعاجم:

- نويهض، عادل: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والنشر، بيروت، 1980.

6) الأطالس:

- بوريمة سمير، محمد لهادي لعروق: أطلس العالم والجزائر،دار الهدى، الجزائر، 1998.

فهرس الجداول والأشكال

فهرس الجداول والأشكال

الفصل الأول

الفصل الثاني

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

الفهرس العام

الفهرس العام

الملخص:

نهدف من خلال هذا البحث إلى إعطاء دراسة تاريخية لواقع مجتمع الجنوب الجزائري، التي منها الوضع السياسي المتمثل في ردود الأفعال اتجاه سياسة التوسع الفرنسي والتي تجسدت في المقاومات الشعبية التي شملت أغلب المناطق الجنوب الشرقية منها والغربية وقادها أبرز زعماء تلك المناطق، أما الوضع الاقتصادي والاجتماعي لمجتمع الجنوب فقد تأثر بالتطورات الحاصلة داخل الإدارة الاستعمارية والتي كانت تهدف من خلال سياساتها المختلفة إلى تفكيك بنية مجتمع الجنوب وذلك بمصادرة ممتلكاته من جهة وإتباع أسلوب القمع و التهجير والإبادة من جهة أخرى، وبخصوص الوضع الثقافي لمجتمع الجنوب فقد تجسد في مقاومة تلقائية اتجاه السياسة الثقافية الاستعمارية التي كانت تهدف إلى طمس مقومات الهوية الجزائرية وتجلت تلك المقاومة في الحفاظ على مقومات اللغة العربية والدين الإسلامي عن طريق التعليم في الكتاتيب القرآنية.

مجتمع الجنوب الجزائري، السياسة الفرنسية، المقاومة الشعبية، المكاتب العربية، التعليم، النخب الوطنية.

Abstract:

This research aims to examine the reality of the Southern Algerian society through a historical study by tackling the political, economic, social, and cultural aspects. The political aspect was marked by opposition to the French expansion policy, which was embodied in the popular resistance that included most of the southern and western regions and was led by their most prominent leaders. On the other hand, the southern society’s economic and social situation was affected by the developments within the colonial administration, which sought to dismantle the structure of the southern society through its various policies, such as confiscation of property and the use of repression, displacement, and extermination. Concerning the cultural side, it was defined by an innate reaction to colonial cultural programs that aimed at erasing the Algerian identity, and this resistance reflected itself in the preservation of the Arabic language and the Islamic religion through education in Quranic schools.

Keywords: Southern Algerian Society, French Policies, Popular Resistance, Arab offices, Education, National Elites.

الملخص:

نهدف من خلال هذا البحث إلى إعطاء دراسة تاريخية لواقع مجتمع الجنوب الجزائري، التي منها الوضع السياسي المتمثل في ردود الأفعال اتجاه سياسة التوسع الفرنسي والتي تجسدت في المقاومات الشعبية التي شملت أغلب المناطق الجنوب الشرقية منها والغربية وقادها أبرز زعماء تلك المناطق، أما الوضع الاقتصادي والاجتماعي لمجتمع الجنوب فقد تأثر بالتطورات الحاصلة داخل الإدارة الاستعمارية والتي كانت تهدف من خلال سياساتها المختلفة إلى تفكيك بنية مجتمع الجنوب وذلك بمصادرة ممتلكاته من جهة وإتباع أسلوب القمع و التهجير والإبادة من جهة أخرى، وبخصوص الوضع الثقافي لمجتمع الجنوب، فقد تجسد في مقاومة تلقائية اتجاه السياسة الثقافية الاستعمارية التي كانت تهدف إلى طمس مقومات الهوية الجزائرية وتجلت تلك المقاومة في الحفاظ على مقومات اللغة العربية والدين الإسلامي عن طريق التعليم في الكتاتيب القرآنية.

كلمات مفتاحية:

مجتمع الجنوب

الجزائري؛ النخب الوطنية؛ السياسة الفرنسية؛ المقاومة الشعبية؛ Popular Resistance؛ French Policies؛ Education؛ National Elites؛ التعليم؛ Southern Algerian Society؛ Arab offices؛ المكاتب العربية.

نوقشت يوم: 2023/06/01

بتقدير: مشرف جدا